

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جهاد المسلمين

خلف جبال البرقات

من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري

الدكتورة

وفاء عبد الله بن سليمان المزدوع

دار القاهرة



١١٦ شارع محمد فريد القاهرة

ت ٢٩٢٩١٩٢

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جهاد المسلمين خلف جبال البرقات

من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري

الدكترة
وفاء عبد الله بن سليمان المزروع

الناشر
مكتبة دار القاهرة
١١٦ ش محمد فريد - القاهرة
تليفون ٣٩٢٩١٩٢

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب	جهاد المسلمين خلف جبل البرقات
اسم المؤلف	الأستاذة الدكتورة / وفاء عبد الله بن سلمان المزروع
رقم الطبعة	الأولى
رقم الإيداع	١٠٥٤١
الترقيم الدولي	I. S. B. N
	977 - 6048 - 06 - 4
سنة النشر	٢٠٠٣
الناشر	دار القاهرة
عنوان الناشر	١١٦ ش محمد فريد - القاهرة
بلد الناشر	القاهرة - جمهورية مصر العربية
التليفون	٣٩٢٩١٩٢ - ٠١٢/٣١٧٧٥١٠
فاكس	٣٩٢٩١٩٢ - ٣٩٣٣٩٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إهداء ..

إلى

أبى وأمى وزوجى

إلى من بذر فى حب العلم ..

إلى من نمت تلك البذرة ورعاها وسقاها

حتى استوت .

إلى من أكمل بناء ذلك الغرس الطيب ..

إلى هؤلاء جميعا أدين بكل نجاح

فى حياتى ..

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين وخاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فلما كان التاريخ من أعذب علوم الأدب منهجاً وأهشها مشرباً وأنورها مطلعاً وذا فوائد فريدة ، تشوق الناس إلى معرفة أخبار من سلف حتى يستفيد الخالف من محاسنهم فكأنه عاصرهم وشاهدهم ^(١) .

ففى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ من أخبار الأمم السابقة وأنبيائهم ما فيه عبرة لذوق البصائر فقد وقع الاستدلال بالتاريخ فى الكتاب الكريم فى قوله تعالى ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء ﴾ ^(٢) فكان من ذلك القصص التى حكاه الله عن السالفين فتفتح بها أعين عمى ، وتوقظ بها قلوب غلف ، وتلين لها أفئدة لاتنقاد لهداية وأذان لا تسمع لداعية . وحكى لنا رسوله المصطفى ﷺ شيئاً من تلك القصص لتكون فيها لأمتة العبرة ، ولاتباعه العظة .

وقد كان من توفيق الله لى أن وقع اختيارى على دراسة صورة مشرقة من تاريخ المسلمين ألا وهى جهادهم خلف جبال البرتات منطلقاً من مبدأ المساهمة فى أبحاث هذا التاريخ المجيد والوقوف على حال المسلمين فى غرب أوروبا ، وإلقاء الضوء على تلك المناطق التى تم لهم فتحها ، ونشروا بين ربوعها دين الإسلام محتملين كل عناء فى سبيل الوصول إليها ، ومن هنا كان تاريخ المسلمين يدل على ما اتصفت به طلائع الإسلام من قوة الإرادة ومضاء العزيمة والتحمل ، فقد عبروا البحار والمحيطات لا مقاتلين فحسب بل سعوا إلى العالم بأسره دون حدود سعى المسالم الذى يدعو لعقيدة التوحيد ، وأثناء ذلك عرف المسلمون كيف يكيفون حياتهم فى كل المجتمعات التى حلوا بها .

(١) محمد بن محمد الأندلسى : الحلل السندية فى الأخبار التونسية ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٢) سورة يوسف ، آية ١١١ .

ولا شك أن فترة جهاد المسلمين خلف البرتات لها أهمية بالغة فى تلك الفترة المبكرة خلال عصر الولاة ، إذ كانت تلك المرتفعات تشكل خطراً لا يستهان به على الوجود الإسلامى فى بلاد الأندلس لمجاورتها للقلول النصرانية التى فرت إلى الجبال الشمالية والغربية من شبه الجزيرة من جهة ، والفرنجية من جهة أخرى .

فحرص المسلمون على استكمال فتح البلاد وتأمين حدود دار الإسلام وإقامة فريضة الجهاد والرباط فى سبيل الله ، فأقاموا الثغور وأنشأوا الحاميات وربطوا المرابطون فكان لذلك ما كان من أحداث ومعارك ونتائج يأتى بيانها فى هذا البحث .

كما قصدت إلى بيان ما كان عليه أهل تلك البلاد التى فتحها المسلمون خلف تلك الجبال من أحوال سيئة باستبداد الحكام ، وظلم للمحكومين وجهل تلك الشعوب . مما يؤكد الحاجة لتعريفهم بهذا الدين ودعوتهم إليه ليخلصوا من تلك الأوضاع المتردية ، على حين كان أولئك المسلمون على النقيض حضارة ، ومعرفة وعدلا ، وهداية ، مع ما يتحلى به هؤلاء من رغبة فى الدعوة إلى دينهم الجديد وما عرفوا به من جهاد لنش إسلامهم ولو كان ذلك بأموالهم وأنفسهم ، وقد ظهر أثر ذلك فى معاملتهم لأهل تلك الأقاليم وغيرها ، وفيما أوصى به الخلفاء والأمراء تلك الجيوش من الرحمة والشفعة والحكمة ، وحمل الخير إلى أهل البلاد المفتوحة مصداق لقوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة السنة وجادلهم بالسلى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (١) .

وآمل أن يسد هذا البحث حاجة المكتبة الإسلامية لهذه الدراسة التى تبين ما كان عليه المجاهدون المسلمون فى تلك البقعة من صبر وأناة وإيمان وما لاقوه من عنث ومشقة فى سبيل نشر هذا الدين ودعوة الناس إليه .

ولعل هذا من الدوافع التى دفعتنى إلى اختيار هذا الموضوع . وقد بذلت الجهد اللازم لإبراز الصفحات المشرقة من تاريخ المسلمين فى الأراضى الأوروبية ذلك التاريخ

(١) النحل آية (١٢٥) .

الذى شوهه بعض كتاب الغرب القدامى والمعاصرين من رجال الدين الرهبان المتعصبين ورجال الكنيسة ، فنسبوا إلى المسلمين فى فتوحاتهم كل أعمال الفتك والسلب والنهب ، ووصموهم بكل نقيصة وصفة ذميمة ، ولقبوهم بالقراصنة والسفاكين ... إلخ . وقد تلقى بالقبول ما كتبوا كثير من كتاب المسلمين ومؤرخيهم ، فرأيت من الواجب على أن أسهم بكتابة شئ عن هذا الموضوع يجلو الحقيقة ، ويزيل الغموض ، ويدفع التهم ، ويضع الأمور فى مواضعها ويعرف بما كان للمسلمين من تاريخ فى تلك المنطقة ، وما كان لهم من أثر فيها وما قدموه من توضيحات ، رغبة منهم فى إخراج أهلها من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإيمان وبرد اليقين .

لذا فإن إلقاء الضوء على تلك الفتوحات فى المعازل البعيدة طوال عصر الولاة لم يكن بالأمر السهل لأن تلك المناطق التى فتحها المسلمون وان انتهى سلطانهم عليها سياسياً وعسكرياً فإنه لم تنته فكرياً وثقافياً وحضارياً وإنسانياً وهذا هو الفتح الحقيقى فتح العقول والقلوب ، وترك الآثار التى مازالت تشهد له بالعظمة والوجود والاستمرار رغم رحيلهم .

ولم تكن هذه الدراسة بالأمر اليسير ذلك أن مصادر التاريخ الإسلامى عامة ومصادر تاريخ الأندلس بصفة خاصة لم تقدم لنا إلا إشارات بسيطة وموجزة ، وقد اتسمت تلك بالإيجاز الشديد تارة وتناقض بعضها تارة أخرى ، هذا بالإضافة إلى أن معظم ما كتب عنها بلغات أجنبية سواء أكتب بالإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية ، لذا فقد وجدت الكثير من الصعوبات فى الحصول عليها لمعرفة وجهة النظر الأوروبية التى تناولها الكتاب والرد على ما فيها من مفتريات على المسلمين وجهادهم ، وعرضها بصورة واضحة مظهرة للحق فى كل الجوانب ومتعرضة لتلك المعازل التى خفقت فيها راية الإسلام عالية ، وأن الإسلام قد وصل إلى ربوع غاله وأجزاء من إيطاليا وسويسرا وجبال الألب والبروفانس بعد أن تخطى بلاد الأندلس عابرا جبال البرقات وهذا ما لا يعرفه الكثير .

ولما كانت هذه الدراسة تحتاج إلى الوقوف على هذا البلد الذى سأحدث عنه
وقوفاً وإطلاعاً ميدانياً فتحملت مشقة السفر إلى تلك الأماكن للوقوف على آثارها ،
للبحث عن مصادر بحثي من كتب ودوريات وغير ذلك من مصادر لا يستغنى عنها
من يريد التقصى والتثبت فيما يكتب مما كان له أثر واضح فى هذا البحث وذل كثير
من صعوباته .

ولم اترك وسيلة لها شأن بدراستى إلا سعت بالبحث وراءها والوصول إليها من
هذه المصادر والمراجع سواء ما كتب بلغة عربية أو أجنبية من مراجع قديمة ودوريات
وسأوضح ذلك فى موضعه إن شاء الله .

ولقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وثمانية فصول ثم الخاتمة مع بعض النتائج
والتوصيات التى توصلت إليها .

ففى المقدمة أوضحت أسباب اختيارى لهذا الموضوع والدراسة الميدانية التى قمت
بها حتى وصلت إلى ما وفقنى الله إليه فى إخراج هذه الدراسة فى هذا الموضوع
الدقيق واشتملت المقدمة على التعريف بالجهاد وفضله وأنه واجب على المسلمين
وفرض لاعلاء كلمة الله بالإضافة إلى التعريف بأهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية
والبحوث التى استقى منها البحث مادته العلمية مع التعريض لبعض مؤلفى هذه المصادر
بإلقاء الضوء عليهم حتى يمكن الوقوف على قيمة هذه المصادر علمياً وتاريخياً .

وهذا عرض موجز لمحتويات هذا البحث :

أولاً : أحوال الفرنجة فى غاله ، موضحة فيه تكوين تلك المملكة الفرنجية مع بيان
أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبيل عبور المسلمين إلى تلك البلاد .

ثانياً : طلائع الجهاد من موسى بن نصير إلى الحر عبد الرحمن الثقفى ، أما
الفصل الثانى فقد خصصته لفترة جهاد السمح بن مالك ، وتناولت فى بدايته ولاية
السمح بن مالك على الأندلس ، ثم استقرار المسلمين فى المدن الفرنجية التى فتحوها
والاهتمام بتحسين المراكز الإسلامية فى غاله .

ثم انتقلت إلى الفصل الثالث المخصص لجهاد عنبسه بن سحيم الكلبي وخلفائه فتعرضت في البداية إلى تقدم المسلمين نحو الشمال حتى مدينة سانس في حوض الرون ، ثم عودة عنبسة لضبط أحوال الأندلس واستشهاده في الطريق إليها ، ثم استئناف عذره بن عبد الله الفهرى الجهاد ، ثم جهود الهيثم بن عبيد الكنانى فى وادى الرون .

أما الفصل الرابع فتحدثت فيه عن جهاد عبد الرحمن الغافقى فى غاله وتناولت فيه عدة مباحث مهمة كان المبحث الأول عن اتجاه الغافقى إلى قلب غاله بعد توطيد أمور الأندلس وجمع الشمل وسد الخلل .

أما المبحث الثانى فهو عن معركة بلاط الشهداء واستشهاد الغافقى ، تلك المعركة التى كان لها دوى عظيم لدى الفرنجة الذين بالغوا فى أهميتها ونتائجها .

أما المبحث الثالث شرحت فيه الأبعاد التاريخية لمعركة البلاط ، ثم عالجت فى الفصل الخامس أسباب تعثر جهاد الطلائع خلف البرتات ، وقد قسمته إلى أربعة مباحث .

يختص المبحث الأول بأسباب توزع السلطة بين دمشق والقيروان وقرطبه وكيف أن ذلك التوزيع كان له أسوأ الأثر فى عدم الاستقرار وحلول الاضطراب وقيام المشاكل فى وقت الجهاد . وخوف الخليفة عمر بن عبد العزيز من توزيع القوة الإسلامية فى بلاد الأندلس نظراً لبعدها وعدم وصول الأخبار منها بسرعة .

أما المبحث الثانى فيوضح الصراعات القبلية وأثرها فى تعثر جهاد المسلمين إلى توقف مسيرة الجهاد خلف البرتات ، ومن ثم هجرة البربر من أماكنهم الشمالية فى بلاد الأندلس مما اتاح الفرصة للقوى النصرانية فى الظهور فكانت بداية التجمع المسيحى ضد المسلمين .

ويظهر فى المبحث الرابع من هذا الفصل كيف توسع التجمع المسيحى فى اشثوريا وغالييسيه ونافار ضد المسلمين بالأندلس وأخذ ينمو ويكبر دون أن يشعر به أحد من المسلمين نظراً لانشغالهم بمشاكلهم وفتنهم القائمة بينهم .

أما الفصل السادس فهو عن جهاد المسلمين بعد معركة البلاط فقد تناولت فيه جهاد عبد الملك بن قطن الفهرى واثامه مسيرة الجهاد بعد الغافقى وأثبت أن المسلمين لم يتوقفوا بعد الهزيمة فى بلاط الشهداء وإنما تابعوا مسيرتهم بعزم وتصميم حتى استطاعوا ضم مناطق جديدة لنفوذهم ثم جاء جهاد عقبة بن الحجاج السلولى خلف البرتات وتثبيت سلطة المسلمين فى سبتمانيا وبروفانس وبرجنديا .

وتغيرت الأحوال فى تلك الفترة فى كل من دولة الفرنجة ودولة بنى أمية فى المشرق ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن باستطاعة المسلمين استغلال الفرصة لتدعيم أحوالهم بسبب قيام الفتنة بين العرب والبربر واستمرار الثورات حتى نهاية الدولة الأموية .

ويختص الفصل السابع بجهاد أمراء الأمويين ضد الفرنجة ، وقد تناولت فيه استئناف أمراء الأندلس للجهاد خلف البرتات منذ عصر عبد الرحمن الداخل والاهتمام بالبحرية الأندلسية ثم انتقل الجهاد من عبور بوابات جبال البرتات إلى الجهاد البرى فى جنوب غالة وأثبت فى هذا الفصل أنه حينما توقف غزو المسلمون برا واتجهوا إلى البحر ، وكانت لهم فيه صولات وجولات حتى استطاعوا تأسيس معاقل إسلامية بعيدة فى كل من البروفانس وجبال الألب وسويسرا وإيطاليا .

ويمثل الفصل الثامن والأخير الأبعاد الثقافية والآثار الضارية التى تركها المسلمون فى تلك المناطق وهى مازال تشيد بحضارتهم وبدورهم الإنسانى حتى يومنا هذا على الرغم من إنكار بعض المستشرقين من الحاقدين .

أما الخاتمة فهى عبارة عن النتائج التى توصلت إليها فى بحثى .

والحق أن هذه الرسالة التى أقدمها بين يدى الباحثين هى دراسة متواضعة على طريق البحث الجاد والدراسة المنهجية لتكون ومضه صادقة تعطى لمحة عن الفتوحات الإسلامية خلف جبال البرتات .

ولم يفتنى ان أشفع كل فصل بخارطة توضح كثيرا من مقاصده ، وتقف القارئ

على ما تحدثت عنه ، فيكون على تصور بين بالاطلاع على الخارطة . كما توخيت من الخرائط أن تبين حدود الفتح الإسلامى . وموضع القتال . وما يقرب الأمر إليه .

وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت فى إلقاء الضوء على الأحداث التاريخية التى صاحبت هذه الفترة الزمنية من القرن الأول إلى الخامس الهجرى ، على الرغم من كثرة الآراء وتضاربها والاختلافات الواردة عند المؤرخين الغربيين والمسلمين على السواء ، ولكن هذه هى طبيعة البحث والدراسة ، وأتمنى أن أكون قد وفقت فى بحثى هذا ، وهذا أملى ومطلبى وحسبى من ربى الأجر والثواب ، وإن كانت الأخرى فحسبى ما قاله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فأخطأ فله أجر اجتهداه .

ويبقى بعد ذلك أن تعرض فى هذا الملخص لأهم المصادر والمراجع التى استقيت منها مادة هذه الرسالة وكانت نصوصها وما ورد فيها من آراء خير عون لى فى تتبع حركة الجهاد الإسلامى خلف جبال البرتات حتى أضحت هذه المصادر والمراجع مصدر البنية الأساسية للموضوع بعد إخضاعها للتحجيص والجرح والتعديل وتقييم ما فى دفتها من أخبار . وتنقسم هذه المصادر والمراجع إلى ما يأتى :

أولا : المصادر العربية ويأتى فى مقدمتها :

١ - المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب (ت ١٠٤١هـ) .

وقد عظمت استفادتى من هذا الكتاب القيم وخصوصاً الأجزاء الثلاثة الأولى فيما يتعلق بولاه الأندلس والحروب الواقعة بينهم وفتنة البربر ، وأخبار ظهور النصارى ، ولقد غطت هذه المعلومات معظم جوانب البحث فى فصوله السبعة الأولى ، لذا يعد هذا الكتاب الشامل موسوعة تاريخية هامة لا غنى لدارس فى تاريخ الأندلس عنها نظراً لاعتماده على جميع مؤرخى الأندلس وخصوصاً من فقدت كتبهم مثل الرازى وابن حيان وغيرهم .

ويعيب هذا الكتاب أنه غير منظم فى سرد معلوماته مما تتطلب منى جهداً كبيراً

فى ترتيب المعلومات ، وأخيراً فكتاب المقرئ يكاد يكون العامل المشترك لجميع فصول الرسالة . ومصدراً مهماً فى تاريخ الأندلس وحضارتها .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب (ت ٦٩٥ هـ)

تقريباً .

يعد كتاب ابن عذارى الذى عاش فى القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى الأساسى الذى اعتمد عليه من أتى بعده من المؤرخين ونقلوا عنه نقلاً حرفياً دون أن يشيروا إليه ، وهو من أهم ما لدينا من المصادر عن تاريخ المسلمين بالأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ويعد من أشمل تاريخ لحوادث الأندلس السياسية والاجتماعية والحروب التى دارت بين العرب والفرنج ونصارى الاسبان وبين العرب بعضهم مع بعض ، ولذلك كان اعتمادى كبيراً عليه فى جميع فصول البحث ولا سيما أنه أورد نصوصاً هامة نسبها لأصحابها ، ولقد انفرد ابن عذارى ببعض الروايات التى لم نجدها فى المصادر الأخرى وخصوصاً فيما يتعلق بثورة البربر فى المغرب والأندلس ، والصراع القائم بين العرب البلديين والداخلين وأثر هذا الصراع على إضعاف وحدة الأندلس بشكل عام وتشجيع الدويلات المسيحية على التوسع على حساب المسلمين .

٣ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (٨٠٨ هـ) .

يعد كتاب ابن خلدون من أهم الكتب فى الحديث عن الفتوحات ، وقد اعتمد ابن خلدون فى كثير من الأحيان على الرازى وابن حيان مما يزيد من أهمية كتابه وقد عظمت استفادتى من الجزء الرابع والسادس خصوصاً ما يتعلق بأخبار الولاة والفتن الواقعة بينهم وأسباب ثوراتهم ، وجذور أجتاسهم ، كما اعتمدت على مقدمة الكتاب .

٤ - مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم . ويبدو أن هذا الكتاب قد كتب لعهد الخليفة الثانى فى

الأندلس الحكم المستنصر ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر (١) ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ .
ويتناول هذا الكتاب دراسة الدولة الإسلامية في الأندلس من الفتح إلى عصر الخليفة
عبد الرحمن الناصر ، وقد ذكر المؤلف تفاصيل مهمة عن الأحداث السياسية في
عصر الولاة ، وأبدى اهتماماً خاصاً بحركة المقاومة النصرانية التي تفجرت بانشغال
الولاة في فتنهم ، كما وضع انتشار الإسلام في غاله واستقرار المسلمين بها ، الظروف
التي أدت إلى دخول طالعة بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس ، وظهور الصراع بين
العرب البلديين والعرب الشاميين ، وتطوره إلى صراع قبلى بين القبائل اليمانية التي
وقع عليها عبء الفتح والقبائل القيسية الداخلة من الشام ، وانتهاء الصراع لصالح
القيسية ولقد استفدت منه استفادة عظيمة وخصوصاً في الفصل السادس .

٥ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس (ت ٣٦٧ هـ) يعد من الكتب المهمة
في تاريخ الأندلس ، فقد تناول فيه المؤلف سرد الحوادث من فتح الأندلس إلى عهد
الأمير عبد الله . وانفرد بذكر أخبار هامة عن مصر الولاة وعن علاقة العرب بالبربر
والفتن الواقعة بينهم كما يلقى الضوء على عامل رئيسى هو وحدة الأندلس وهو
الصراع القبلى .

٦ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (ت ٦٣٠ هـ) .

يتكون الكتاب من تسعة أجزاء جمع فيه ابن الأثير خلاصة الكتب التى سبقته
ولكن بعد أن هذبها ونقحها فاستحق أن يسميه الكامل . وهو كاتب مشرقى اهتم
بتاريخ المغرب ، ويعد من أحسن المؤلفين الذين ظهوروا فى المشرق وكتب عن الأندلس
أثناء سرده لحوادث المشرق الإسلامى باعتباره أن ذلك جزء من تاريخ الدولة الإسلامية
وهو يتناول تاريخ الأندلس بصورة مختصرة ولكنها لم تخرج عن المنهج الذى اتبعه فى
تاريخه ، وهو منهج الحوليات أى سرد الأحداث حسب السنين ، وقد كانت استفادتى
منه قيماً يتعلق بحكم الولاة والفتن الواقعة بين العرب والبربر من جهة ، وما كان
بشأن علاقة الداخل بالفرنجية من جهة أخرى .

٧ - كتاب الإمامة والسياسة المنسوب (١) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) .

أورد هذا الكتاب تفصيلات هامة عن فتح الأندلس وخصوصاً فيما يتعلق بموسى بن نصير وأبنائه حيث أورد معلومات مفصلة . وكان مؤلف الكتاب يتميز بذكر سند الرواية عند ذكر الأخبار المهمة ، وقد نشر نص ابن قتيبة حول فتح الأندلس فى كتاب ابن القوطيه الذى سبق ذكره .

٨ - الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب (ت ٤١٧هـ) .

ويعد من أهم الكتب فى تاريخ أفريقيا والمغرب ، إذ انفرد الرقيق بأخبار مفصلة غاية فى الأهمية وتفاصيل مهمة وخصوصاً فيما يتعلق بثورة البربر ، لذلك يعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التى حفظت لنا أخبار الفتح الإسلامى وأخبار عصر الولاة الأمويين ، وعنه ينقل ابن عذارى فى يانته .

٩ - الغسانى : كتاب رحلة الوزير فى افتكاك الأسير (١١١٩هـ) .

يعد نص الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية الملحق بكتاب ابن القوطيه مستلماً من هذا الكتاب الذى أورد أحكاماً مهمة عن نظام الأرض فى الأندلس وخصوصاً فى عهد موسى بن نصير والسمح بن مالك الخولانى .

ثم تأتى بعد ذلك كتب التراجم وهى تشكل مصدراً من مصادر التاريخ الأندلسى ورجعت إلى معظم هذه المصادر واستفدت من ابن القرضى فى تاريخ علماء الأندلس (ت ٤٠٣هـ) .

والحميدى فى جذوة المقتبس (ت ٤٨٨هـ)

والضبى فى بغية الملتصم (ت ٥٩٩هـ)

وابن الأبار فى الحلة السراء (٦٥٨هـ) وقد كانت استفادتى منه كثيراً فقد نهج ابن الأبار منهجاً يختلف عن بقية كتب التراجم حيث نظم تراجمه حسب الفروق الهجرية مبتدئاً بالقرن الأول ومنتهاً بالقرن السابع الهجرى دون الاهتمام بالترتيب الأبجدى للأسماء بخلاف ما سارت عليه كتب التراجم الأخرى .

أما الكتب الجغرافية التى تناولت بلاد الأندلس والفرنجية فهى فى غاية الأهمية من

حيث استعانتى بها فى إعداد تعريفات المدن ومواقعها ، ومن حيث سير المعارك والمواقع ، والجبال والأنهار التى عبروا منها ، ويأتى فى مقدمة هذه الكتب .

١ - أبو عبيد البكرى : المسالك والممالك (ت ٤٨٧ هـ)

وهو من أحسن كتب الجغرافية تحقيقاً ، وقد أفرد المؤلف فيه تفاصيل جغرافية وتاريخية مهمة وتعريف عن المدن والمواقع ، وعن منطقة جبال البرتات بخاصة حيث كان لتلك التوضيحات أهمية كبيرة فى معرفة قواعد المسلمين ومراكزهم . وقد عظمت استفادتى منه وخصوصاً فى الجزء الأول من البحث .

٢ - ابن غالب الغرناطى : كتاب فرحة الأنفس (ت ٥٧١) والمنشور منه قطعة حققها الدكتور لطفى عبد البديع ، وقد تميزت هذه القطعة النادرة بإيراد تفاصيل مهمة عن جغرافية أهم المدن الأندلسية وخصوصاً ذات الأهمية البحرية مثل طرطوشه وكركونه .

٣ - انفرد ياقوت الحموى : معجم البلدان (٦٢٦ هـ) المرتب حسب الحروف الهجائية بمعلومات فى غاية الأهمية عن المدن والبلدان ومواقعها وما إلى ذلك من معلومات سهلت إلى حد كبير معرفة مواقع تلك المدن ومدى أهميتها وقد استفدت منه فى التعريفات الخاصة بالمدن والملحق فى أخبار البحث .

٤ - وبعد كتاب القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد (ت ٦٨٢ هـ) من أهم الكتب التى ذكرت مدن الأندلس ، فقد أفرد المؤلف تفصيلات هامة عن المدن الأندلسية حسب الحروف الهجائية وما اشتهرت به هذه المدن من المعادن والنبات والأنهار .

ثانياً : المراجع الحديثة :

وتشمل ما صدر حديثاً من كتب ومقالات سواء أكان بالعربية أو بغيرها ومن أهم المراجع العربية التى رجعت إليها :

١ - كتاب الدكتور حسين مؤنس : فجر الأندلس ، فهو كتاب شامل للفترة الأولى من تاريخ المسلمين بالأندلس من لدن الفتح إلى دخول عبد الرحمن الداخل ، ولقد عظمت استفادتي في جميع فصول البحث منه لأنه كتاب شامل تناول كثيراً من الأحداث الهامة التي تعرضت لها .

٢ - جوزيف رينو : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ويأتي في طليعة الكتب المترجمة ، وترجمة أمير البيان شكيب أرسلان ، ولقد استفدت من هذا الكتاب القيم في الفصل الخاص بالفتح الإسلامي لغاله وما جاورها من مناطق ، واعتمدت عليه في تغطية معظم فصول الرسالة نظراً لأهميته ، وللكتاب ترجمة أخرى مهمة لإسماعيل العربي . رجعت إليها ونبعت على ذلك في مواضعه .

٣ - محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس . يعد هذا المرجع من أهم المراجع الحديثة في تاريخ المغرب والأندلس ، وقد تركز اهتمامي به في الجزء الأول منه ، وهذا الكتاب موسوعة شاملة لتاريخ الأندلس لا غنى للباحث عنه .

أما المراجع الأجنبية التي استفدت منها فسيجد القارئ لها في القائمة الخاصة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث .

وهناك مراجع مهمة جداً ، وظهرت استفادتي منها جلية في الفصل السابع وما يتعلق بجهود المسلمين في منطقة البروفانس وجبال الألب وسويسرا وإيطاليا ولعل أهمها .

1 - Y. A. A. : Aubenas : Histoire de Frejus . Ed. la ffirtereprints Marseille . 1974 .

تارى فريجوس

2 - Victor de Saint Genis : Histoire de Savoie,

تاريخ منطقة السافورى

3 - Edouard Baratier : Histoire de la Provence . Privat Editeur, Toulouse . 1969 .

تاريخ البروفانس

4 - Theodore Gautier " Histoire de la ville de Gap et Du Gapen-
cais .

تاريخ مدينة غاب وسكانها .

5 - Fernand Nathain : Histoire de Provinces De France .

مجلد ٨ - البروفانس

6 - Paul Guichonnet : Histoire et civilizations des Alpes .

تاريخ منطقة جبال الألب وحضارتها

7 - Yeen Prieur " La Savoie desoriginesa L'an 1000 .

السافوي منذ البداية وحتى العام ١٠٠٠

8 - Lucien musset : Invasions le Second assalit Conrre l' Europe.
Chretlenne . (viie - xlesiecles).

الاحتياجات العسكرية ، الهجمة الثانية ضد أوروبا المسيحية (من القرن السابع إلى
القرن الحادى عشر)

9 - Georges Reymond et Yean Edouard dugnd Monco antique .

موناكو القديمة

10 - E. Poupe & F. Mineur : Pepite Histoire de Draguianon .

موجز تاريخ دراغينيون

11 - Charles Lentheric : Provence Maritime Ancienne et Mod-
erne.

منطقة البروفانس البحرية القديمة والحديثة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الأول

جهاد الطلائع الإسلامية في الأرض الكبيرة

أولا : أحوال الفرقة في غاله « فرنسا » .

ثانيا : طلائع الجهاد من موسى بن نصير .

إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفي .

أولا : أحوال الفرنجة فى غاله :

ينبغى علينا قبل أن نمضى قدما فى تتبع حركة الجهاد الإسلامى خلف جبال البيرت أن نمهد بنبذة عن أحوال مملكة الفرنجة وأن نحدد المقصود بكلمة (الافرنج) أو (الفرنجة) Franks فنذكر أن هناك اختلافا بين المؤرخين المحدثين والقدامى الشرقيين والغربيين حول تحديد لفظ الافرنج . فظهر فريق من المؤرخين المسلمين يحدد شعب الفرنجة تحديدا دقيقا بأنه هو الشعب الذى يعيش تحت حكم الدولتين الميروفنجية والكارولنجية (وحدودها شمال إسبانيا وفرنسا الحالية وإيطاليا وألمانيا) من هؤلاء المؤرخين ابن عذارى ^(١) والبكرى ^(٢) . والمسعودى ^(٣) الذى حذا حذوه كثير من المؤرخين لأنه من أعلام الجغرافيين ، ويضاف إلى هؤلاء الرازى وابن حيان ^(٤) . أما المعنى العام فيعنى الشعوب المسيحية الغربية عامة ولا يعنى مسيحي الشرقى ^(٥) .

الحالة السياسية :-

استمرت دولة الفرنجة أكثر من غيرها واختلفت عن سائر الجرمان مثل القوط والوندال والبرجنديين واللومبارديين وغيرهم لسببين :

الأول : أن حركة الفرنجة كانت تتصف بالتوسع والامتداد وليس بالهجرة وغزو مناطق جديدة وحسب ، وترك مواطنهم الأولى كبقية الشعوب الجرمانية التى تخلت عن مواطنها الأولى ، وأخذت تنتقل خلال الأقاليم الأوروبية حتى استقرت بعيدا عن موطنها الأول ، ومن ثم انقطعت صلتها تماما ، أما الفرنجة فقد تميزوا بأنهم لم

(١) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج. م. كولان وليثى بروفنسال ، ص ٩٢ - ٩٧ ، ١٠٨ .

(٢) البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣) للمسعودى : مروج الذهب ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٤) المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص ٣١٠ - ٣٤٣ .

(٥) Abdurahma Ali. El. Hajji : Andalusian diplomatic Relation with west-ern europa During The Umayyad Period : P.113 .

يهاجروا ولم يتركوا موطنهم الأول عند الراين الأدنى . وإنما أخذوا ينتشرون منه ويضيفون إليه إقليما بعد آخر دون أن يتركوا مراكزهم الأساسية أو يقطعوا صلتهم بمواطنهم الأم . مما ترتب عليه احتفاظ الفرنجة بأصولهم وحضارتهم وحياتهم الجرمانية في الوقت الذي انقطعت فيه صلة بقية الشعوب الجرمانية بموطنها الأصلي وذابت عناصرها مع العناصر الجديدة التي عاشت معها^(١).

ويعتبر مجيء الفرنجة إلى داخل ولايات الإمبراطورية الرومانية أهم حدث في تاريخ الغزوات الجرمانية الأولى في الغرب . فلقد حقق مجيئهم بقاء طويلا داخل حدود الإمبراطورية واستطاع مزج مقومات الحضارة الرومانية بالكثير من خصائصهم وتقاليدهم . والفرنجة ينقسمون إلى عناصر رئيسية أهمها عنصر البحريين وعنصر البريين .

ويعتبر كلوفس Clovis هو الممثل الحقيقي لدولة الفرنجة البحريين (٤٨٦ - ٥١١ م) إذ استطاع أن ينزل الهزيمة في سواسون Soisson بسياجريوس Syagrius الذي يعتبر آخر بقايا الإدارة الرومانية في حوض السين^(٢).

على الرغم من سقوط الإمبراطورية في أوروبا الغربية قبل ذلك بعشر سنين أى في سنة ٤٧٦ م . وقد أخذ كلوفس يعمل بعد انتصاره في سواسون على مد نفوذ الفرنجة على الجهات الشمالية من غاله ، واتخذ عاصمة جديدة بدلا من سواسون وهي باريس Paris وهكذا أصبحت غالة الرومانية مقسمة بين ثلاث دول :

١ - دولة القوط الغربيين في منطقة الحدود بين غاله واسبانيا وهي المنطقة المعروفة باسم سبتمانيا Septemanie أى منطقة المدن السبعة بعد أن طردهم الفرنجة من اكيثانيا^(٣).

(١) سعيد عاشور : أوروبا والعصور الوسطى . ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) هـ . موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز جاويد . ص ١١٥ .

(٣) اكيثانيه Aquitania وكان يحكمها دوق Dux وامتدت من اللوار إلى البرتات ومن أشهر مدنها تولوز Tolose وبردو Bordeaux وبجوارها كانت توجد إمارة خاضعة للقوط تعرف =

٢ - دولة البرجنديين فى حوض الرون ومنطقة سافوى وقد أقام البرجنديون دولتهم فى جنوب غاله منذ أواخر القرن الخامس الميلادى بعد أن قضى الهون^(١) Huns على دولتهم فى فرمز Warms وماينز Mayence وسبير Speyer .

٣ - دولة الفرنجة :

إلا أن مملكة الفرنجة التى أجهد « كلوفس » نفسه فى سبيل توحيدها وجعلها وحدة سياسية متكاملة لم تستمر على هذا الوضع بعد وفاته ، فهذه المملكة الاى جمعت الفرنجة المؤلفين من عدة قبائل وامتدت من البرت إلى ما وراء نهر الراين فى جرمانيا حتى الفيزر والدانوب انهارت بعد كلوفس وذلك نتيجة للنظام السياسى الذى سار عليه الفرنجة الميروفنجيين وهو نظام تقسيم المملكة بين الأبناء^(٢) وكأنها ارث خاص بهم^(٣) .

وهذه القاعدة فى اقتسام الأرث عند الفرنجة تعتبر من الحقائق الأساسية فى تاريخ الدولة الميروفنجية^(٤) وكانوا يسيرون على قاعدة تقسيم الأرث بين الأبناء الذكور دون الإناث^(٥) مع الأخذ بعين الاعتبار أن الفرنجة كانوا يتخذون أكثر من زوجة مما أدى إلى

= باسم Gothle (جوتيه) وهناك مقاطعة أخرى عرفت باسم بريتانى . انظر عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ص ٤٥ .

(١) الهون Huns وهم إحدى القبائل الآسيوية التى هاجمت الامبراطورية الرومانية وكان يتزعمها ملك يدعى أتिला Atila ، وقد هاجموا مدن غالة وشاع عنهم قصص طويلة تعبر عن بطشهم وقسوتهم ولقد هزمهم الرومان فى موقعة شالون سنة ٤٥١ م .

انظر : سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٣) محمود سعيد عمران : معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ص ١٠٢ .

(٤) عرفت الدولة الميروفنجية The Merovingians إلى ميروفنج Merovch جد كلوفوس وواضع أساس تلك الدولة .

(٥) هـ . موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ص ١١٩ . عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوروبية ، ص ٨١ .

Einhard : The life of Charlemagne P. 57 .

كثرة افتن وازدياد المشاكل^(١).

وقد قسم كلوفس مملكته بين أبنائه الأربعة وفقا للنظام الذى ذكرناه لذلك أصبحت المملكة التى تمتد على جانبي الراين وتشمل جميع غاله ما عدا بريتانى وجاسكونى وپروفانس مقسمة إلى ثلاثة أجزاء تقريبا :

١ - اوستراسيا Austrasia أى الأراضى الشرقية الممتدة حتى ألمانيا

٢ - نويستريا Neustria أى البلاد الجديدة الغربية التى ضمها الفرنجة أثناء توسعهم غربا .

٣ - اكويتين Aquitan ثم أضيفت إليها مملكة رابعة هى برجنديا Burgandia وهى البلاد التى توسعوا فيها بين الرون والألب ، ثم أن الملوك من أسرة كلوفيس كانوا على درجة كبيرة من الانحلال والضعف حتى أطلق عليهم المؤرخون « الملوك العاطلين » أو الكسالى أى الذين لا يعملون شيئا Rois Faineants .

ونتج عن هذا الوضع المضطرب وعن ذلك التقسيم أن تفتتت الدولة الميروفنجية وضعفت أجزاؤها^(٢).

صحيح أن لوثر الأول (كلونير) Koltar استطاع توحيد مملكة الفرنجة سنة ٥٥٨م بعد وفاة اخوته الثلاثة أى أنه حكم جميع مملكة كوفس بالإضافة إلى برجنديا وپروفانس وبافاريا وثورنجا إلا أن تلك الوحدة لم تلبث أن انفصمت عراها وتشتت شملها بين أبناء لوثر نفسه عند وفاته سنة ٥٦١م وغرقت الدولة فى الخلافات والعداوات والانقسامات^(٣).

(١) جون . أ. هاموتن ، تاريخ العالم ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم ، ص ٨١ . نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ، ص ٨١ .

(٢) نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ، ص ٨١ ، عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٤٦ .

(٣) سعيد عاشور : أوروبا ، ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ . إبراهيم العدوى : المجتمع الأوروبى فى العصر الوسيط ، ص ٩١ .

وفي عهد داجوبيرت Degobert (ابن كلوتبير الثاني) وهو من آخر ملوك الميروفنجيين نرى أن هذا الملك حاول أن يجمع كلمة الفرنجة تحت لوائه وأن يفرض سلطتها على المناطق الشرقية من غالة (ألمانيا) .

وبعد وفاة داجوبيرت ٦٣٩ م لم يعد تاريخ الميروفنجيين مرتبطا بالملوك وإنما برؤساء البلاط في الأقسام الثلاثة التي انقسمت إليها الدولة الميروفنجية . فقد بدأت ظواهر كثيرة تطفو على السطح ومنها أن كثيرين من الملوك كانوا يصلون إلى العرش في سن مبكرة بسبب وفاة آبائهم فأمثال هؤلاء لا يديرون السلطة في البلاد . وإنما يديرها حاجب القصر الذي يتمتع بالسلطة الحقيقية ويجمع حوله أنصاره ويعتمد عليهم ، وأصبح الملوك في هذه الفترة عبارة عن أطيان ملكية حتى وصفوا بأن الملك منهم (لم يكن له سوى اسمه وذوائب شعره المرخاة على لحيته الطويلة)^(١) .

ولعل ظهور نظام رؤساء البلاد يرجع إلى ظهور نظام الإقطاع والعشائر الذي كان يسود المملكة وكانت مجموعة لأمرء والدوقات والكونتات تتقاسم السلطة في مختلف الولايات والأرجاء وكلما ضعف سلطان العرش اشتد نفوذ الزعماء والأمراء المحليين حتى استطاعوا خلال العصور المتعاقبة أن يحدوا من سلطة العرش وأن يحرزوا لأنفسهم كثيرا من الامتيازات والسلطات وقد برز بين هرستال Pepin De Herstal كرئيس للبلاط في قصر داجوبيرت ، وأصبح هذا الرئيس أقوى شخصية في مملكة داجوبيرت . وبمضى الزمن أصبح هذا المنصب الذي تقلده بين هرستال يستأثر صاحبه بكل السلطات الحقيقية وإليه ينتهي الأمر في أخطر شئون الدولة يباشره باسم العرش ومن ورائه ولا يباشر الملك إلى جانبه غير رسوم الملك الأسمية وبعد وفاة يبين هرستال في أواخر القرن السابع تولى بعده ابنه شارل مارتل Charles Mertel سنة ٧١٤ م وهو

(١) هـ / أ . ل . فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة مصطفى زيادة ، السيد الباز العرنى ، ج ١ ، ص ٧٠ - ٧١

(من عادة ملوك الفرنجة أنه كانت لهم لحى طويلة وذوائب شعر طويلة تتدلى على لحاهم وهو مظهر من المظاهر التي تميزها في العصور الوسطى .

الذى استطاع أن يدعم نفوذه حتى غدت السلطة الفعلية في يده سنة ٧١٩م وعندئذ أصبحت دولة الفرنجة في حالة يرئى لها بسبب التنافس الطويل بين رؤساء البلاط في نورميريا وأستراليا من جهة ولسبب الأخطار الخارجية التي أحاطت بدولة الفرنجة من جهة أخرى^(١). وكان لابد من الإسراع بالوقوف أمام تلك المشاكل ومحاربتها واحدة تلو الأخرى . ذلك بادر بالقيام بسلسلة طويلة من الحروب لتأمين وضع دولة الفرنجة فحارب السكسون والفريزيين والبافارين^(٢) على أن أخطر الأكبر الذى أصبح يدق أبواب دولة الفرنجة بشدة جاء من الجنوب بالذات . أى من جانب المسلمين الذين زحفوا وخرجوا من الأندلس عبروا جبال البرت حتى استولوا على أربونة عاصمة سبتمانيا سنة ١١٢هـ - ٧٣٠م ثم توجهوا إلى برجنديا ووجد شارل مارتل نفسه أمام خطر يستلزم التعبئة والاستعداد العام للتصدي لهؤلاء فحشد كل اتباعه لمواجهةهم^(٣). كما سنعرف في موضعه من الصفحات التالية :

وقد استطاع شارل مارتل أن يتغلب على جميع أعدائه وبخاصة السكسون في ميادين القتال .

ويرجع السر في توفيقه وبراعته في الحروب إلى جنوده الفارعين الأقوياء من السكسون الذين لم تفسدهم حياة المدن فلهم يرجع الفضل فيما حققه من ظفر ونجاح في جميع الميادين التى خاضها^(٤).

وفى عام (١٢٣هـ) ٧٤١م توفى شارل مارتل وخلفه ابنه بيبين القصر فى رئاسة البلاد .

ونلاحظ أن أهم ما يميز دولة الفرنجة والأسرة الكارولنجية بصفة خاصة هو التحالف الوثيق الذى ربط الدولة بالكنيسة .

(١) عاشور : أوروبا ، ج١ - ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) من هذه الفئات سيتألف جيش شارل مارتل الذى سيوجهه ضد عبد الرحمن الغافقى .

(٣) سميد عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ١٩٣ .

(٤) فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ص ٧٧ - ٧٨ .

فقد حرص بيبين على التقرب من الكنيسة التي رحبت به كل الترحيب إذ كان كلاهما في حاجة للآخر وكانت الظروف مواتية للطرفين فالبابوية في حاجة إلى قوة تساعد على التخلص من نفوذ اللومباردين في إيطاليا^(١)، وبيبين يحتاج إلى أن يضيف على حكمه صفة شرعية بأن يتوج من قبل البابوية .

وكان الوضع السياسي القائم في البلاد غير سليم من حيث حكم رؤساء البلاط وهم الحكام الفعليون في البلاد ، أما الملك الشرعي فستضعف لا حول له ولا قوة لذلك أجمع المجلس العام لشعب الفرنجة وقرر في عام ١٣٤هـ / ٧٥١م عزل شيلدبرت Childebert آخر ملوك استراليا وإحلال بيبين القصير محله على العرش .

وهنا يدخل تاريخ دولة الفرنجة مرحلة هامة تتمثل في عقد التحالف بين الدولة والكنيسة إذ يستغل بيبين الفرصة التي أتت إليه طائفة فيقوم بمراسلة البابا زكريا في روما لاستشارته وأخذ رأيه . ولسنا في حاجة لتؤكد مدى حاجة البابوية إليه ، فما أن استشاره في موضوع تنويجه وانتقال السلطة إليه حتى جاء رد البابا بالموافقة التامة^(٢) وأنه من الأفضل أن يكون الملك لمن يده السلطة الفعلية في البلاد .

وهكذا تشجع بيبين القصير وأعلن عزل الملك واعتلى عرش الفرنجة سنة ١٣٥هـ - ١٥١هـ (٧٥٢م - ٧٦٨م) وبذلك انتهت الأسرة الميروفنجية من سلالة كلوفيس وبدأت الأسرة الكارولنجية من سلالة رؤساء البلاط في أستراليا .

وفي هذه الفترة توفي البابا زكريا وخلفه البابا ستيفن الثاني وفي عهده قام اللومباردين بهجوم على الممتلكات البابوية لذلك لم يجد البابا أمامه غير مملكة الفرنجة فتوجه إلى هناك لعرض الأمر على بيبين حيث وعده بإعداد جيش لصد الهجمات اللومباردية وانتهاز البابا ستيفن هذه الفرصة وقام بتنويع بيبين وزوجته وولديه شارل وكارلمان . وطلب من النبلاء أن يقسموا يمين الولاء لبيت بيبين وعرف ذلك بالتصرف

(١) عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ٩٧ .

فى التاريخ باسم هبة بيبين^(١).

وقد استمر بيبين فى الحكم حتى وفاته (١٥١هـ) ٧٦٨م وعندئذ قسمت أملاكه بين ولديه شارل وكارلومان . وبوفاة كارلومان سنة (١٥٥ هـ) - ٧٧١م ، الذى تنتسب إليه الدولة الكارولنجية اتبع لشارلمان الفرصة لتوحيد مملكة الفرنجة تحت سيادته من مصب الراين حتى مصب الرون . ومن نهر المين حتى خليج بسكاي^(٢) .

الحالة الدينية :-

اعتنق كلوفيس الديانة المسيحية على مذهب أهل البلاد الاثناسيوسى^(٣) فحدث بذلك تقارب كبير بينه وبينهم وخالف بذلك بقية الشعوب الجرمانية التى اعتنقت المذهب الاربوسى^(٤) فظلت ممقوتة فى الغرب بسبب اربوسيتها وتعتبر خطوة كلوفس ذات أثر كبير فى تحديد مصير الفرنجة ومستقبل دولتهم لأنه باعتراف الكارولنجيين لمذهب الكنيسة الغربية اكتسبوا عطف الكاثوليك ليس فى غالة فقط ، وإنما فى جميع أرجاء أوروبا . ومعنى ذلك قيام رباط وثيق بين الفرنجة والرومان .

وقد ساعد كلوفيس على اعتناق الديانة المسيحية على المذهب الاثناسيوسى زوجته كلوتلدا المسيحية الكاثوليكية وقد أدى اعتناقه للمسيحية (الكاثوليكية) وارتباط دولة

(١) فشر : تاريخ أوروبا ، ج١ ، ص ٨٤ ، عفاف صبره : الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية فى زمن شارلمان ، ص ٤١ - ٤٢ . هـ . موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ص ٣١٦ . وحاطوم : تاريخ العصر الوسيط ص ٩٣ .

(٢) عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ٢٠٠ .

(٣) المذهب الاثناسيوسى نسبة إلى كاهن سكندرى يدعى اثناسيوس ومذهبه يتلخص فى أن المسيح له طبيعة تتشابه مع طبيعة الخالق فى الصفات وقد أصبح ذلك مذهب البابوية فى الغرب جميعاً خاصة فى دولة الفرنجة .

عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٤) المذهب الاربوسى : نسبة إلى كاهن سكندرى يدعى اربوس ومذهبه يتلخص بأن المسيح مخلوق ولا يتشابه مع الإله الخالق فهو دونه أى من طبيعة بشرية ، ولقد شاد هذا المذهب فى الشرق واعتنقه معظم القبائل الجرمانية . للمزيد انظر عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

الفرنجية البابوية في روما إلى التأثير على تطور الأحداث في أوروبا العصور الوسطى وسودى ذلك إلى نتائج سياسية هامة في مستقبل الفرنجة^(١).

وإذا ما نظرنا إلى غالة في تلك الفترة نجد أن ملوك البيت الميروفنجي^(٢) عندما ادركوا أن مملكتهم أصبحت جزءا هاما من العالم المسيحي أخذوا على عاتقهم حماية الشعب وقاموا بالتوسع وضم أجزاء كبيرة إلى بلادهم ، ونستطيع أن نطلق على المجتمع الذي قام في غالة في القرن السادس أنه كان مجتمعا رومانيا عمل على تهذيب الفرنجة ورفع مستواهم عن طريق الكنيسة ومؤسساتها^(٣).

ولقد اعتمدت دولة الفرنجة اعتمادا كبيرا على رجال الدين في القيام بالتبشير والدعوة المسيحية^(٤) خصوصا في الأقاليم الوثنية البربرية مثل بلاد السكسون والألمان وغيرهم . تلك العناصر التي اعتبرت أهم أداة الحرب في دولة الفرنجة ويتضمن التبشير بالمسيحية نقل المدن الرومانية والقانون الروماني إلى تلك الأصقاع وتحمس الفرنجة لحماية العقيدة المسيحية . فليس من باب الصدفة أن تكون غالة هي الدولة المترعمة دون غيرها من سائر دول الجرمان فهي التي ساهمت بنصيب وافر في الحروب الصليبية فيما بعد بالإضافة إلى أن لغتها هي التي سادت في الإمارات الصليبية في الشرق^(٥).

وأثر اعتناقهم للمسيحية تأثيرا كبيرا في تطوير وتهذيب عقليتهم الوثنية وتقاليدهم الوحشية^(٦).

(١) عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوروبية ، ص ٧٩ - ٨٠ . ج . م والاس هارديل : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، عاشور : أوروبا ، ج ١ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) سعيد عاشور : أوروبا ، ج ١ ، ص ٩٨ . إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ٤٧ .

(٣) عاشور : أوروبا ، ج ١ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٤) لقد استخدمنا كلمة تبشير في غير موضعها لأنها أصبحت مأثوفة ولا ينطبق عليهم إلا كلمة تنصير لأن المبشر هو الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ .

(٥) إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ٤٧ .

(٦) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٧٨ .

الناحية الاقتصادية :-

كانت الحروب التي خاضتها دولة الفرنجة في عصر رؤساء البلاد كثيرة ومتعددة الميادين وقد كلفت الدولة نفقات باهظة مما أدى إلى عجزها عن تدبير الأموال اللازمة لذلك رأى شارل مارتل أن يقوم بمنح إقطاعات حربية للفرسان يتعايشون منها ويقدمون له في مقابلها الخدمات الحربية . وظلت هذه الإقطاعات الحربية هي النواة الأولى لنشأة النظام الإقطاعي في أوروبا العصور الوسطى .

وعندما أحس شارل مارتل أنه من الصعب توفر الأرض لأعداد كبيرة من الفرسان وأن ذلك قد يضعف من مواد الحكومة بدأ يتطلع إلى أراضي الكنيسة ليجبر رجالها على منح إقطاعات من الأرض لجنوده حتى استطاع تكوين جيش كبير .

والواضح أن هذا النظام الذي لجأ إليه شارل مارتل أدى إلى تغير في المفهوم الاقتصادي فأصبح يعتمد على الزراعة دن غيرها من الموارد الاقتصادية مما أضر كثيرا بالنواحي المالية وانتهى بذلك نظام المدن الرومانية القديمة وحلت محلها الضياع الزراعية الإقطاعية .

وقد أصبحت جميع السلطات في مملكة الميروفنجيين كالقضاء والضرائب وتجنيد الأجناد أو النفير العام أصبحت في أيدي كبار الملاك الإقطاعيين سواء كانوا مدنيين وكنسيين على حد سواء . فأصبح الكونت هو الممثل العام للحكومة الملكية في المدينة وصبحت جميع تلك الأمور من ضرائب وتجنيد وغيرها من حقوق الممتلك على الجهة والمسؤول عنها فكان هو المسؤول عنها ويؤديها للملك أى أنه مع بقائها تابعة للملك الشرعي اسميا فقط تبعية غامضة غير واضحة المعالم ، أما الملك فأصبح مجرد صورة واهية يحكم باسم هؤلاء الكونتات ولكنهم يديرون المملكة من وراء ستار^(١) .

أما بالنسبة للتجارة في عهد الدولة الميروفنجية فقد كان لغاله علاقات تجارية هامة مع موانئ الشرق في البحر المتوسط سنة ٦٠٠ م ولكن هذه العلاقات ما لبثت أن ذبلت

(١) هـ. أ. . فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، جـ ١ ص ٧٥ .

نتيجة لقوة المسلمين البحرية من القرن السابع الميلادى مما جعل تجارة الفريجة شبه محلية ولكن لم تكن قوة المسلمين البحرية هى السبب المباشر^(١) لضعف التجارة الميروفنجية والكارولنجية ، وإنما أهم من ذلك النظم الإقطاعى ونشأة الضياع الزراعية وإهمال الطرق المحلية والخارجية البرية والنهرية والبحرية ولعل من أهم أبرز مظاهر الإقطاع تناقص فى عدد الأحرار وصغار الملاك وازدياد عدد الأقنان الذين فقدوا حريتهم لارتباطهم بالأرض أى أنهم أصبحوا عبيد الأرض الذين ارتبطوا بالنظام الإقطاعى .

الناحية الاجتماعية :-

حينما غزا الفريجة غالة وانتزعوا نصفها الشمالى من حاكمها الرومانى ونصفها الجنوبى من القوط قامت فى غالة سلطة جديدة ومجتمع جديد فقد كانوا يقيمون ملكهم على القوة ويقتسمون السلطة فى نوع من الإقطاع ، فلا يمضى وقت حتى تقوم فى غالة فى القطر الواحد عدة إمارات محلية ، ولقد خالف الفريجة جميع العناصر الجرمانية فى سياستهم الحكيمة التى امتازت بعدم الإفراط فى العنف والإساءة إلى أهالى البلاد الأصليين فقد احترموا شعور أهالى غالة ، ولم يؤذوهم فى أملاكهم وأرواحهم ، وهذا المسلك قرب بينهم وبين أهالى البلاد الأصليين من الغال والرومان ولا يعنى المساواة المطلقة فقد كانت كبرياء الفريجة تأبى عليهم الاعتراف بالمساواة المطلقة بينهم وبين أهالى غالة الأصليين^(٢) .

وقد كانت هناك طبقات عدة فى المجتمع الفريجى وهى طبقات توزع حسب الأوضاع المادية والثروات الخاصة بأصحابها فالطبقة الأولى كانت تتكون من النبلاء وأصحاب الدماء الزرقاء Sangblue ومعظمهم من الجرمان والفريجة حيث قسمت البلاد بينهم إلى إقطاعات ، بحيث أصبح النظام الإقطاعى من معالم الحياة فى العصور

(١) عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ١٩٩ . ارشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص ١٩٧ .

الوسطى قد أخذت تتضح هذه الظاهرة الإقطاعية فى المجتمع الفرنجى إقطاع تداول فيه النبلاء ، فكل واحد منهم يعيش فى إقطاعيته Manor وله جنوده ومحاكمه وله أن يفرض حق الحياة أو الموت على رعاياه ، وله ألقاب متوارثة تدرجت فى ظهورها حسب الترتيب الآتى :

الأمير Prince - السدوق Due - الماركيز Marquis^(١) - الكونت Count^(٢)
الفيكونت Vicoune - البارون Baron - الفار Sir أى السيد .

وهناك طبقة ثانية هى الدنيا وهم الأقتان Serfs وقد سادت هذه الطبقة فى المجتمع الفرنجى فجعلت منه مجتمعا مختلا قائما على أساس هرمى يسود بين أفراد البغض وتحامل كل على الآخر .

وبذلك نرى أن النظم السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية كانت تحمل بين طياتها بذر الضعف فى دولة الفرنجة حتى انحط بذلك مستواهم . وقد سهلت جميع هذه المظاهر السبيل أمام المسلمين الذين كانوا موجودين فى شمال إفريقيا والأندلس يرفعون راية الإسلام ويدفعهم الحماس الدينى للاستجابة لنداء الله والجهاد فى سبيله ونشر الإسلام بين أمم العالم كافة كلما أمكن ذلك^(٣) .

(١) الماركيز : الماركية مقاطعة على الحدود وتقابل الشرف فى المصطلح الإسلامى ويحكمها رجل يدعى

الماركيز أى حاكم المنطقة ، وكانت له اختصاصات مهمة ، وهو أعلى درجة من الكونت .

(٢) الكونت : أمير منطقة داخلية ، ويعلمونه نواب يسمون فيكونات أى نائب الكونت .

(٣) عبد القادر اليوسف : العصور الوسطى والأوروبية ، ص ١٢٨ .

عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٤٤ - ٤٥ .

القمرأوى : مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط ، ص ٢٢٣ .

جلول بأسماء الولاية في جهاد الطلائع

- ١ - عبد العزيز بن موسى بن نصير ٩٥ - ٩٧ هـ (سنة عشرة أشهر)
- ٢ - أيوب بن حبيب اللخمي ٩٧ هـ (ستة أشهر)
- ٣ - الحر بن عبد الرحمن الثقفي ٩٧ هـ (ستان وثمانية أشهر)
- ٤ - السمح بن مالك الخولاني ١٠٠ - ١٠٢ هـ (ستان وثلاثة أشهر)
- ٥ - عبد الرحمن بن عبد الله الفافقي ١٠٢ (شهران)
(ولايته الأولى)
- ٦ - عنبسة بن نجيم الكلبي ١٠٣ - ١٠٧ هـ (أربع سنين وستة أشهر)
- ٧ - عذرة بن عبد الله الفهري ١٠٧ هـ - (شهران)
- ٨ - يحيى بن سلمة الكلبي ١٠٧ - ١١٠ هـ (ستان وستة أشهر)
- ٩ - حذيفة بن الأحوص القيسي (الأشجعي) ١١٠ هـ (ستة أشهر أو أكثر)
- ١٠ - عثمان بن أبي نسمه ١١٠ هـ (ولايته خمسة أشهر)
- ١١ - الهيثم بن عدي (عبيد) الكلابي ١١١ هـ (خمسة أشهر أو أكثر)
(الكتاني)
- ١٢ - محمد بن عبد الله الأشجعي ١١١ هـ (ولايته شهران)
- ١٣ - عبد الرحمن بن عبد الله الفافقي ١١٢ هـ - ١١٤ هـ (ستان وثمانية أشهر)
(ولايته الثانية)
- ١٤ - عبد الملك بن قطن الفهري ١١٤ هـ - ١١٦ هـ (ستان)
(ولايته الأولى)
- ١٥ - عقبة بن الحجاج السلولي ١١٦ هـ - ١٢١ هـ (خمس سنوات وشهران
أو أكثر)

١٦ - عبد الملك بن قطن الفهري ١٢٣ هـ (سنة واحدة وشهر واحد)

(ولايته الثانية)

١٧ - بلج بن بشر بن عياض القشيري ١٢٤ هـ (ولايته أحد عشر شهرا أو أقل)

١٨ - ثعلبة بن سلامة العاملي ١٢٤ هـ (ولايته عشرة أشهر أو أقل)

١٩ - أبو الخطار حسم بن ضرار الكلبي ١٢٥ هـ (أربع سنوات وستة أشهر أو أقل)

٢٠ - ثوابه بن سلامة الجذامي ١٢٨ هـ (ولايته سنة واحدة أو أكثر)

٢١ - عبد الرحمن بن كثير اللخمي ١٢٩ هـ (ولايته بضعة أشهر)

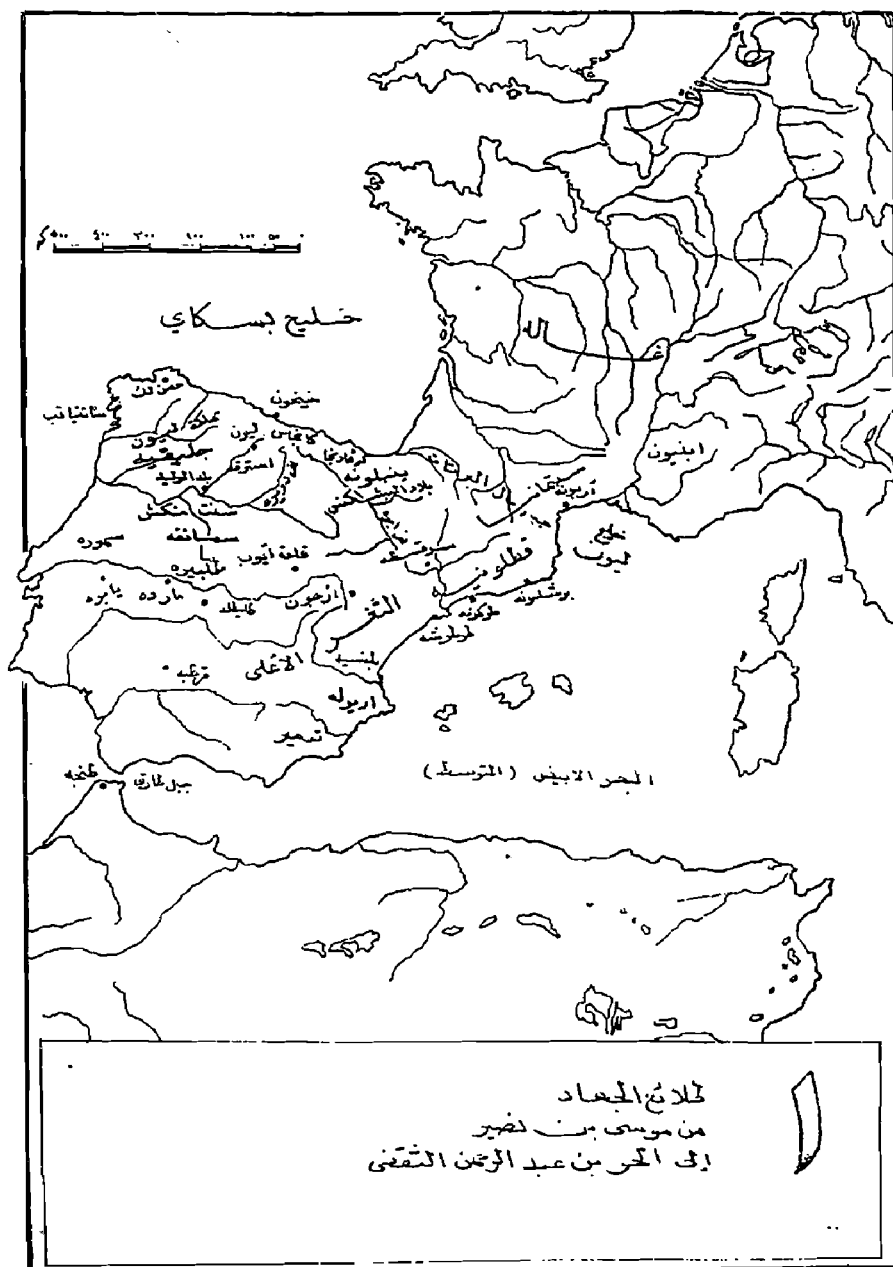
٢٢ - يوسف بن عبد الرحمن الفهري ١٢٩ هـ - ١٣٩ هـ (تسع سنوات وتسعة

أشهر أو أكثر) انتهت ولايته بولاية عبد

الرحمن الداخل سنة ١٣٨ آخر ولاية

الأندلس .

للمزيد : انظر عبد الرحمن على الحجبي : التاريخ الأنديسي ، ص ٢٠٧ - ٢١٠ .



ثانيا : طلائع الجهاد من موسى بن نصير إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفى :

ما من حضارة إلا وتقوم على عقيدة توجه سلوك الإنسان وتنظيم تصرفاته فى كل ميدان من ميادين العلم والمعرفة ، مما يجعل لكل تاريخ صفة حضارية تميزه باختلاف هذه العقيدة ، لذا كان لكل تاريخ دوافع نفسية واجتماعية منبثقة من تصور هذه العقيدة للوجود والحياة وهو أمر متفق عليه لدى جميع الأمم فى مختلف العصور ، حتى عصرنا الحديث الذى تقوم حضارته على المفاهيم الأوروبية الوثنية والمسيحية والتى تختلف تماما عن مفهوم الإسلام للإنسان والحياة مما انعكس ذلك واضحا وجليا فيما يكتبون عن الوجود الإسلامى والفتوحات الإسلامية . إذ إذ التبتست عليهم الأمور فأشابوها بالكثير من التهجيم والافتراء مع التركيز الشديد على الهفوات والأخطاء التى بالغوا فيها وشوهوا تصويرها .

وبناء على هذا التصور الخاطئ حاول كثير من الباحثين فى حركة الفتوحات الإسلامية بالمغرب والأندلس وغالة أن يضعوا تفسيرات متضاربة لنجاحها وامتدادها السريع ، فذهب البعض إلى تفسيرها بالأطماع الاقتصادية وذهب آخرون إلى تفسيرها بالدوافع الحربية إلى غير ذلك فاختلقت الآراء وتباينت الاستنتاجات .

ومما زاد الأمر بشاعة انضمام طائفة من المؤرخين من بنى ديننا إلى هؤلاء وباعتناق آرائهم وتقديسهما مبهورين مخدوعين بمقدرتهم فى التحليل والدراسة فنقلوا إلى العربية ثمرة هذه الأحقاد والضغائن بلا وعى أو تدبر فنشروها بين عامة المثقفين ثم اضطروا إلى محاولة التوفيق بين هذه المفاهيم الخاطئة لهذا الفتح ومفهوم الإسلام له باعتباره جهادا لنشر الإسلام .

فهم بهذا الغزو الفكرى وانقيادهم له تولد لديهم الإحساس بالضعف أمام الغرب مما دفعهم إلى محاولة تبرير كل ما يتعارض مع روح الحضارة الغربية وتصوراتها الفكرية والسلوكية .

إن وصف حركة الفتح بأنها دفاعية هى فى الحقيقة محاولة تبريرية لا تصمد لأية مناقشة جادة ، فهل اعتدى سكان غالة على حدود المسلمين ليفتسموها ؟ وهل تزمين

الحدود يقتضى التوغل فى أوروبا حيث وقعت الأحداث الخطيرة والمواقع الحاسمة بعيدا عن جزيرة العرب ، فكانت بلاط الشهداء جنوب فرنسا ، وكان فتح جنوب إيطاليا وبعض إقليم سويسرا .

إن التفسير الصحيح لحركة الفتح هو أنها تطبيق لفريضة دينية هى الجهاد الذى وصفه الحديث الشريف « بأنه ذروة منام الإسلام » لذا قبل أن نتعرض للفتوحات الإسلامية خلف جبال البرت يلزم أن نقف على مدلول الجهاد فى الإسلام لتبين الدوافع التى دفعت المسلمين الأوائل أن يحملوا أرواحهم على أكفهم اغلاء لكلمة الله .

فالجهاد لغة : الاجتهاد فى الأمر وبذل كل ما فى الوسع والطاقة فى طلبه ليلبغ بجهوده ويصل إلى غايته .

فالجهاد فرض على المسلمين فإذا قام به من يدافع العدو ويغزوهم فى عقر دارهم ويحمى ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقيين وإلا فلا ^(١) .

واصطلاحا : بذل المسلم طاقته وجهده فى نصر الإسلام ابتغاء مرضاة الله ^(٢) .

ولهذا قيد الجهاد فى الإسلام بأنه فى سبيل الله ليدل على هذا المعنى الضرورى لتحقيق الجهاد الشرعى .

وجاءت الآيات القرآنية معلنة أنما هو جهاد فى سبيل الله بخلاف الكافرين فإن جهادهم فى سبيل الشيطان قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ﴾ ^(٣) .

وقد طلب الله سبحانه وتعالى الجهاد من عباده المؤمنين مع ما يترتب على ذلك

(١) صالح اللحيدان : الجهاد فى الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص ١٤٢ .

(٢) أبو الفتح ناصر الدين المطرزي : المغرب فى ترتيب المغرب ، ص ١٧١ .

العمرى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ٧٩ .

(٣) سورة النساء ، آية ٧٦ .

من قتل النفوس وإزهاق الأرواح لأن المحافظة على الدين محافظة على النفس والمال .

فالغرض من الجهاد إعلاء كلمة الله ، والقضاء على الفساد ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله . وكانت الغاية منه إقامة المجتمع الإسلامى وقيام الدولة الإسلامية الصحيحة لتحقيق السلام وكف أيدي الظالمين عن الاعتداء على الإنسان ، وليس المقصود الإنسان المسلم فحسب بل الناس كل الناس فى كل بقعة من بقاع الأرض ، ولم يعرف فى التاريخ كله أسلوب يراعى كرامة الإنسان كأسلوب القتال فى الإسلام ، فلا تعذيب ولا تمثيل ولا عذر بعد عهد ولا مفاجأة بل إعلام العدو بالخيارات الثلاثة المعروفة للإسلام أو الجزية أو القتال^(١) .

لقد انطلق المسلمون للفتح بدافع العقيدة ولفتح القلوب للإيمان بالله وتحريرها من العبودية وليس بدافع القتال ، بل الهدف هو السلام والسلم والإيمان والتحرير من العبودية .

لذا لم يكن تقدم الجيش بهذا الشكل إلا باسلامه . وبه كان نصر الله لهم وبهذه السرعة - إلى ضعف قوة أعدائهم كما يدعى البعض - فالمسلمون فى الأندلس واجهوا الأمم القوطية القوية التى وصفت بالأمجاد العسكرية الكثيرة ولكن استطاع المسلمون بقوة عقيدتهم التى ميزتهم وجعلتهم فى مرتبة عالية فسموا بها فصغر أمامهم كل تجمع وقوة^(٢) .

وبهذه العقيدة هزموا أمة القوط وغيرها . رغم قلة جيشهم وحققوا ما عجزت عن تحقيقه الجيوش بحرارة لأن المسلمين كانوا يومها أمة واحدة خرجوا من أجل غاية واحدة وهدف واحد هو إيصال كلمة الله إلى العالم وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ولم يقتصر هدفهم على مكان دون آخر فما أن انتهوا من مكان حتى اتجهوا إلى غيره . فبعد اتمام فتح إفريقيا والمغرب اتجهوا إلى الأندلس ومن هناك عبروا جبال البرنات وهكذا دون حدود أو توقف .

(١) محمد نعيم ياسين : افتراءات حول غايات الجهاد ، ص ٣٠ .

(٢) عبد الرحمن على الحجي : التاريخ الأندلسى ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

لقد تمكنت الجيوش الإسلامية من فتح بلاد الأندلس خلال أربع سنوات من عام ٩٢هـ - ٩٦هـ / ٧١١ - ٧١٥م وما أن تم لهم السيطرة على شبه الجزيرة الأيبيرية حتى هربت القبائل القوطية إلى أراضى خالية مخترفين الحاجز الجبلي المعروف بجبال البرتات أو البرت^(١) الذى يفصل إسبانيا عن قارة أوروبا أما بقية القوط فقد هرب

(١) برت وجمعها برتات وأصلها كلمة لاتينية Portus وتعنى الممر أو الميناء SP. Paerto وهى ذات صلة بالكلمة اللاتينية Porta أى الباب أو المدخل . واستعمل الكتاب الأندلسيون تسمية الجبال الفرنجية كما سموها ، وجمعت أحيانا فقالوا جبال البرت أو جبال البرتات وترجمتها الأبواب . عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٩٦ .

أما الرازى : فقد ذكرها حين يتحدث عن الجبال الأندلسية فقال بعد ذكر جبل قرطبة « أما الجبل الثانى فمبتدؤه عند ساحل البحر الشرقى مقبلا من ناحية اربونه ، وهو الحاجز بين الأندلس وبلاد أفرنجة ، والفرنجية تسمية رونشغاله ويبدو موازيا لبلد بشقابه وبلد اشتريش ومنتهاه عند البحر فى جليقيه فى أقصى الشمال .

حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ص ٦٤٠ ، المجلدات ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ .

ثم يعدد بقية الجبال فيقول « وبينهما / البحر المحيط (المحيط الأطلسى) والبحر المتوسط / البر الذى يعرف بالأبواب وهو المدخل إلى بلد الأندلس من الأرض الكبيرة على بلد أفرنجية ومسافته بين البحرين مسيرة يومين » .

المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ١٠ ، القسم الأول ، ص ١٣٠ . كذلك يذكر أبو بكر عبد الله بن النظام عن جبال البرت : « منه المدخل إلى الأرض الكبيرة التى يقال لها الأبواب ، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ذات الألسن المختلفة » .

المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٣٣ .

أما البكرى فيذكر « ومنها جبل البرت وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلد غاليش ومبتدؤه من البحر القبلى المتوسط المجاور طرطوشة ومنتهاه إلى البحر الغربى بين الاشبرونه وجليقيه .

البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٨٥ .

أما ابن سعيد الأندلسى فيذكر وهنالك الحاجز الذى يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ذات الألسن الكثيرة ، وفى هذا المكان جبل البرت الفاصل من الحاجز المذكور وفيه الأبواب .

المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

أما ابن غالب الأندلسى فيذكر حين حديثه عن جبال الأندلس (والجبل الثانى المنتهى إليه الحاجز بين الأندلس وبلاد أفرنجة ، ومبتدؤه من البحر القبلى ومنتهاه البحر الغربى وهو المحيط ، المسمى البرنيه .

ابن غالب الأندلسى : قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٣٠٧ .

معظمهم إلى الشمال الغربي من إسبانيا عند مناطق الباسك Baysques التي ظلت

= وتوجد في جبال البرت أربعة ممرات أو خمسة . وصف الإدريسي أربعة منها يدرجها بالترتيب من الشرق إلى الغرب عند خليج بسكاي « وفيه أربعة أبواب فيها مضائق يدخلها الفارس بعد الفارس ، وهذه الأبواب عراض لها مسافات ، وهي مخونة الطرق وأحد هذه الأبواب الذي من ناحية برشلونة ويسمى برت جاقة ، والباب الثاني الذي يليه يسمى برت أشبره ، والباب الثالث منها سمى برت شيزرو ، والباب الرابع يسمى برت بيونه ويتصل بكل برت منها مدن في الجهتين » .

الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

أما شكيب أرسلان : فيذكر أن العرب كانوا يسمونها البيرانه جبل البورتات وهذه اللفظة مشتقة من الكلمة اللاتينية Portus وبالإسبانية Puerto أى « الممر » ، وذلك لأن من هناك كان الممر بين الأندلس إلى الأرض الكبيرة وكان يوجد في جبال البيرنيه أربعة أبواب أو خمسة معروفة عند العرب حتى استخدموها في جهادهم .

١ - عن طريق برشلونه إلى أربونه على مدينة برنيان Perpignn on قاعدة ولاية رومسيونه أو البيرانه الشرقية وهي التي سماها الإدريسي ممر جاقه Jaca .

٢ - طريق بويسردا Puycerda على منطقة سردانة (شرطانية) ، ولم يذكره الإدريسي .

٣ - طريق أشبره Asperi . وتقع مدينة جاقة أمام بابه .

٤ - طريق شيزرو أو الشيزرى Cisereus وهو رونشخاله Roncesvalles ويقع فيه الطريق الواصل من مدينتي بنبولونه Pamlona إلى شنت جوان Saint Jean .

٥ - طريق بيونه Bayonne ويؤدي إليه طريق طلوثة (تولوز) Tolosa إلى Bayonne .

انظر شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٥٣ .

عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٩٨ .

ويختلف الكتاب المحدثون في وصف البرت فمنهم من يرى أن تلك الجبال هي الحاجز الطبيعي بين فرنسا وإسبانيا ، وتوجد الممرات في أطرافها الغربية والشرقية .

انظر دولت صادق وآخرون : جغرافية العالم ، ص ٤٩٩ .

في حين يرى آخر أنها تمثل حاجزاً بين فرنسا وإسبانيا يرتفع ارتفاعاً فجائياً من السهول في الجنوب وتحوى سلاسلها الضيقة كتلال الصخور وتتميز بأنها أكثر اتصالاً وأقل احتواءً للممرات من الألب ولكنها ليست في ارتفاع بعض ، وتمتد فيما بين فرنسا وإسبانيا في نطاق التوائي معقد يزيد طوله عن ٤٠٠ كم من خليج بسكاي إلى البحر المتوسط لذلك يصعب عبور هذه الممرات .

انظر جوده حسين جوده : جغرافية أوروبا الإقليمية ، ص ١٤٨ - ٢٤٤ .

وكان يقع على مدخل تلك الأبواب التي عرفت بذلك الاسم سواء في شمال الأندلس أو جنوب بلاد الغال مدن هامة صارت مراكز للدفاع وتجمعات الجيوش وللإغارة كذلك اتخذ المسلمون تلك المعاقل مراكز للحراسة لأنها تقع على القمم المشرفة على الممرات ، وهي عبارة عن أبراج متقابلة بحيث إذا شعروا بمرور العدو أوقدوا النيران من برج إلى برج حتى تأخذ الجيوش حذرهما .

عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٩٧ - ٩٨ .

او كارا لهم حيث تمت فيها حركة المقاومة المسيحية ضد مسلمى الأندلس^(١) ولم يعبأ
الولاء المسلمون بفلول القوط المجتمعة فى منطقة اشتريش وجليقية لأنهم رأوا أن بقاء
ذلك الإقليم فى يد القوط إنما هو مجرد رمزا لبقائهم دون ما حول لهم ولا قوة .

وحينما فتح المسلمون الأندلس لم يكن قد أصبح لجبال البرت ذلك المعنى
السياسى المعروف اليوم ، وإنما كانت تعد فاصلا بين إسبانيا وغالة ولقد كانت بلاد
الفرنجية فى نظر المسلمين يومذاك امتدادا لبلاد الإيبان ، ولذا رأى المسلمون حفاظا على
بلادهم بالأندلس وصونا لحدودهم أن يمدوا فتوحاتهم إلى الأقطار المجاورة لهم وأن
يسيطروا نفوذهم عليها وينشروا الإسلام بين ربوعها حتى يضمنوا عدم اعتدائهم فيبعدوا
خطرهم عن أراضيهم وديارهم التى تم فتحها بشبه جزيرة أيبيريا .

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن اتجاه المسلمين إلى عبور البرتات وقيامهم بتلك
الفتوحات فى جنوب بلاد الغال كانت ضرورة حتمية حربية أملاها سقوط دولة القوط
فى الأندلس ، فعلى الرغم من سيطرة المسلمين على شبه جزيرة إيبيريا وإخضاعهم
للقوط الغربيين إلا أنه كان هناك بقايا فى إقليم سبتمانيا بجنوب الغال والباسك^(٢) .

ويعتبر تفكير المسلمين وانطلاقهم إلى فتح إقليم سبتمانيا تفكيراً جيداً يدل على
مهارتهم الحربية ومحاولتهم تأمين ممتلكاتهم بالسيطرة على مناطق الأطراف المجاورة
والتي يمكن أن تكون مصدرا خطراً على سلامتهم واستقراره فى شبه جزيرة أيبيريا .

والحق أن استمرار القوط فى ذلك الإقليم كان بمثابة الخطر الذى يهددهم^(٣)
حيث يمكن أن يكون ملاذا لجميع العناصر الساخطة على المسلمين ، لذلك اضطر
ولاة الأندلس إلى تكريس ومضاعفة الجهود لفتح إقليم سبتمانيا لتدعيم سلطانهم

(١) انظر الفصل الخاص بأسباب عشر جهاد المسلمين خلف البرتات الخاص بالتجمع المسيحى فى
اشتريش ص ٢٤٦ .

(٢) عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١١١ - ١١٢ .

وإداراتهم في شبه الجزيرة الأيبيرية ولذلك حرص المسلمون في كل حملاتهم في عهد الولاة على فتح إقليم سبتمانيا تحقيقاً لأهدافهم الدينية ورغبة في استطلاع الأراضي الجديدة المجاورة لذلك الإقليم المسماة بالأرض الكبيرة^(١).

والمعروف طوال تاريخ الفتوحات الإسلامية الزاهرة منذ عهد الخلفاء الراشدين والأمويين وقوف الخلفاء جميعهم بالتصدي لكل قائد يتمادى في تنفيذ أعماله العسكرية ولا يسمح له بالانتقال والتوسع من جهة إلى جهة إلا بعد التأكد من سلامة وتأمين القواعد الأولى مما جعل الجيوش الإسلامية تسير دوماً بثبات واطمئنان وتحقق نصراً وفتحاً تلو الآخر .

فلم تفتح بلاد الأندلس مثلاً إلا بعد أن دعم كل من القواد والفاتحين الكبار أمثال حسان بن النعمان وموسى بن نصير شمال إفريقيا . بحيث صارت كل من القيروان وتونس وسبئة قواعد حصينة تزود المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية بالعدة والعتاد الحربي وتحمى ظهورهم وتقدمهم وانطلاقهم في نفس الوقت . وعندما بدأ المسلمون في التحرك صوب جبال البرتات عرفوا أن القوط يملكون إقليم سبتمانيا الذي يشتمل على إقليم تمتد من جبال البرتات إلى مصب الرون Rhon . وكانت عاصمة هذا الإقليم أرجون Arjona . أما فيما يلي جبال البرتات في الشمال فكانت تحتله في الغرب دوقية (أقطانية) Aquitaine أكيثانيا وعاصمتها (بردال) بوردو Bourdux وكان يحكمها دوق Duc سمي أودو Eude ، وكانت تحتل حوض الجارون وإلى شمالها تقع مملكة الفرنجة وفي ناحية الشرق شمال سبتمانيا - Septema كانت تقوم دوقية برجندية Burgundia وتشمل بقية حوض الرون ومستقلة عن مملكة الفرنجة فالمسلمون في محاولاتهم للاتجاه شمالاً كان عليهم أن يستعدوا لمواجهة قوات أربع :

(٢) ولم يكتفوا بفتح الإقليم بل حرصوا على تقسيم المناطق المتاخمة لجبال البرت من شمال الأندلس إلى كور ومقاطعات أطلقوا عليها اسم الثغور كانت تعبر منها الجيوش الإسلامية .
عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٩٨ .

١ - بقايا القوط في سبتمانيا Septemania

٢ - قوات دوقية أقطانية Aquitania

٣ - قوات دوقية برجندية Burgundia

٤ - قوات مملكة الفرنجة^(١)

لقد جاءت محاولة المسلمين للوصول إلى ما وراء جبال البرنات مبكرة أى منذ انتهائهم من فتح الأندلس مباشرة .

وكانت خطة موسى بن نصير هي فتح القسطنطينية بطريقة تختلف عن غيره من الفاتحين السابقين وهو أن يصل إليها عن طريق أوروبا لا عن طريق الشرق ذلك بأن يقتحم جبال البرنية فيبدأ بافتتاح مملكة الفرنجة ثم يقصد مملكة اللومبارد في شمالي إيطاليا ثم يتجه إلى روما قاعدة النصرانية فيفتحها ثم يتابع سيره شرقا إلى سهول الدانوب ثم يخترق أراضي الدولة البيزنطية حتى القسطنطينية ثم يعبر آسيا الصغرى قاصدا إلى دمشق فيصل أملاك الخلافة الإسلامية فيما بين المشرق والمغرب عن طريق الشمال كما اتصلت عن طريق الجنوب .

وفي هذا الصدد يذكر المقرئ أن موسى « وكان يؤمل أن يخترق ما بقى عليه من بلاد أفرنجية ويقتحم الأرض الكبيرة حتى يتصل بالناس إلى الشام مؤملا أن يتخذ مخترقا بتلك الأرض طريقا مهيبا يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق إليه إلى البر لا يركبون بحرا »^(٢).

وقد قيل أن موسى بن نصير هو أول من فكر في تحقيق هذا الهدف فبعد اتمامه فتح بلاد الأندلس توجه هو وطارق وواضعا خطة لافتتاح ما بقى من الأندلس فتوجها للإقليم الشرقي واخترقا ولاية أرجون (الثغر الأعلى) واقتنحا سرقسطة Zaragoza وطركونه Tarazona وبرشلونة Barcelona وغيرها من المدائن والمعاقل ثم افترقا فसार

(١) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٣ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٥٩ .

طارق نحو الغرب متجها إلى جليقيه Galicia ليتمكن من القضاء على القوط واتجه موسى قاصدا جبال البرت^(١) .

وفي هذا الصدد يذكر المقرئ أن موسى - أمر طارقا - بالتقدم أمامه في أصحابه «وسار موسى خلفه في جيوشه ، فارتقى إلى الشجر الأعلى وافتتح سرقسطة وأعمالها وأوغل في البلاد وطارق أمامه لا يمران بموضع إلا فتح عليهما ، وغنمهما الله تعالى ما فيه ، وقد ألقى اربع في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا يطلب صلح وموسى يجيء على أثر طارق في ذلك كله ، ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله طامن نفوس من أقام على سلمه ، ووطأ لأقدام المسلمين في الحلول به ، أقام لتمييز ذلك وقتا ، وأمضى المسلمين إلى أفرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا وأوغلوا ، حتى انتهوا إلى وادي ردونه ، فكان أقصى أثر العرب ومنتهى موطنهم من أرض العجم (الفريجة) ، وقد دوخت بعوث طارق وسراياه بلد أفرنجة فملك مدينتي برشلونة وأربونة وصخرة اينيون وحصون لودون على وادي ردونه »^(٢) .

أما ابن خلدون فيذكر أنهم « اتخذوا في أم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصنوا قشتالة وسائطها من جهة الجوف وانقضت أم القوط وأزr الجلالقة ومن بقى من أم العجم إلى جبال قشتالة وأربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا بسائطها وراءها وتوغلوا في بلاد الفريجة وعصف ربح الإسلام بأمر الكفر من كل جهة »^(٣) .

ويبدو أن موسى كانت لديه فكرة يريد تحقيقها أثناء عزمه على التوجه إلى جبال البرت وهي أن يربط بين العرب في الأندلس والعرب المجاورين في آسيا الصغرى بفتح بلاد الأرض الكبيرة الممتدة من الأندلس حتى القسطنطينية . وكانت رغبته أن يفتحها عبر الطريق البرى من بلاد الغال وإيطاليا وهنغاريا حتى يصل إلى القسطنطينية من

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج١ ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، ج١ ، القسم الأول ، ص ٢٥٥ .

(٣) ابن خلدون : المعبر ، ج٤ ، ص ١١٨ .

الشمال بعد أن عجز المسلمون عن فتحها من ناحية الشرق .

وبعد ذلك يرجع إلى الشام عبر الطريق البرى فى آسيا الصغرى ، وقد كان معظم الفاتحين يرغبون فى أن يكونوا هم الذين بشر بهم الرسول ﷺ حين قال « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمر أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » (١) .

ويؤكد هذه المقولة ابن خلدون الذى يذكر أن موسى فكر « أن يأتى المشرق على القسطنطينية ويتجاوز إلى الشام ودروب الأندلس ويخوض ما بينهما من بلاد الأعاجم أم النصرانية مجاهدا فيهم مستلحما لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة » (٢) .

ويروى ابن قتيبة عن موسى حينما أوغل فى الفتوح ونبهه إلى ذلك أحد رجاله قال أثناء انصرافه عن الأندلس : « أما والله لو انقادوا إلىّ لقدتهم إلى روسيه ثم يفتحها الله على يدي إن شاء الله » (٣) .

ولعل موسى بن نصير كان جادا فى فتح تلك المناطق فتحا مستقرا ثابتا لإيصال ذلك المد المنير إلى تلك الأماكن المظلمة وهذا ما دعاه إلى تنفيذ عزمه هذا لولا وصول مغيث الرومى رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك برسالة يطلب من موسى فيها العودة مباشرة إلى دار الخلافة بدمشق وعدم استكمال عمليات الفتح .

ويبدو أن الوليد بن عبد الملك لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد أن بلغه عزم موسى على تلك الفتوحات والوصول إلى القسطنطينية . وهذا ما يؤكد ابن خلدون « ونمى الخبر إلى الوليد فاشتد قلقه بسكان المسلمين من دار الحرب ورأى أن ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث إليه بالتوبيخ والإنصراف وأسر إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع هو وكتب له بذلك عهده » (٤) .

(١) صحيح مسلم ، ج ٨ ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٧ - ١١٨ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

ولا غرابة فى ذلك فإن مشروعا مثل هذا قد أثار هواجس الخليفة الوليد بن عبد الملك فى دمشق ودعاه إلى تصميمه على رجوع موسى لأنه قد وصل إلى مسافات بعيدة من عاصمة الخلافة مما قد يؤدي إلى حدوث أخطار لجيوش المسلمين .

ويظهر أن الوليد كان متردد فى السماح بعملية الفتح نفسها حتى لا يفرر بالمسلمين ولا شك أن طول المدة وقلة الأخبار هى التى أثارت قلق الخليفة ودعته إلى استدعائه موسى^(١) .

وهذا ما يؤكد ابن الشباط الذى يذكر : « ولما اتصل بالوليد بن عبد الملك رحمه الله تلوم موسى بن نصير بأرض الأندلس ، وتقحمه بالمسلمين فى أرض العدو من غير مؤامرة ولا مشاورة بعث مغيثا مولاه وأمره أن يعنفه ويقفله إلى إفريقية »^(٢) .

ورأى موسى أن الوقت غير مناسب للعودة وأن الوضع يستدعى منه الاستمرار على الأقل لترتيب الأمور ووضعها فى نصابها وتركها فى يد أمينة قبل مغادرته ، لذلك استمهل رسول الخليفة حتى ينتهى من مهمته ويعودا معا إلى دمشق فوافق على ذلك وسارا معا .

وفى ذلك يذكر المقرئ أن موسى لطف مغيثا رسول الخليفة وسأله انظاره إلى أن ينفذ عزمه فى الدخول إليها والسير معه فى البلاد أياما ويكون شريكه فى الأجر والغنيمة ففعل^(٣) .

عندها قام موسى باتمام ما بدأه إذ لم يكن فى الأندلس بلد لم تدخله العرب إلى وقته ذلك غير جليقية وكان موسى حريصا على فتحها^(٤) .

وفى أثناء عزمه على فتحها وصله مغيث وبعد إقناعه سارا سويا لفتح المناطق

(١) محمد عبد الحميد عيسى : الفتح الإسلامى للأندلس ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

محمد عبد اله حنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٢) ابن الكردوبوس : تاريخ الأندلس لابن الكردوبوس ووصفه لابن الشباط ، ص ١٥١ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٥٨ .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٥٨ .

الشمالية من الأندلس الواقعة فى حوض نهر الابرؤ Ebero واستخدام الطريق الرومانى ، ثم اتجه عبر جبال البرت حتى وصل إلى مدينة ليون Leon ومنها اتجه إلى مدينة استرقه Asturga ومنها إلى مدينة لوغو Lugo ودخلت فى طاعته كل المدن ولأقاليم الواقعة فى هذه الجهات من بلاد الفرنجة وأكمل طارق بن زياد فتح أراغون Aragon واستكمل موسى فتح بعض مدن قشتالة ومنها إلى مناطق البشكنس الشمالية حتى وصل مع طارق إلى خليج يسكايه وإلى مناطق جليقية الجبلية الوعرة . وفى هذا الصدد يذكر المقرئ أن مغنيثا سار مع موسى « فافتتح حصن بارو وحصن لك فأقام هناك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلای على البحر الأخضر » (١) .

أما ابن عذارى فيذكر أنه فتح بلاد البشكنس وأوغل فيها حتى أتى قوما كالبهائم وغزا بلاد الأفرنج » (٢) .

أما ابن قتيبة فيذكر : أن موسى لما وغل وجاوز سرقسطة أشدت ذلك على الناس وقالوا : أين تذهب بنا ؟ حسبنا ما فى أيدينا ، وكان موسى قال : حين دخل إفريقيا ، وذكر عقبة ابن نافع : لقد كان غرر بنفسه حين وغل فى بلاد العدو ، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه ، أما كان معه رجل رشيد ؟ فسمعه جيش الشيباني قال : فلما بلغ موسى ذلك المبلغ ، قام حبيش فأخذ بعنانه . ثم قال أيها الأمير : أنى سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول : لقد غرر بنفسه ويمن معه ، أما كان معه رجل رشيد ؟ وأنا رشيدك اليوم ، أين تذهب ؟ تريد أن تخرج من الدنيا ، أو تلتمس أكثر وأعظم مما أتناك الله عز وجل ، وأعوض مما فتح الله عليك ودوخ لك إني سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملأوا أيديهم ، وأحبوا الدعة . قال : فضحك موسى ثم قال : أرشدك الله ، وكثر فى المسلمين مثلك » (٣) .

وعندما وصل موسى إلى بلاد البشكنس وغزا بلاد الإفرنج وبينما هو ينتقل من نصر إلى نصر أتاه رسول آخر من الخليفة يستعجله فى العودة إلى دمشق وهنا يذكر

(١) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٥٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٦ - ١٧ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٦٦ .

المقرى : « وبينما موسى كذلك فى اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكتى أبا نصر أردف به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى من القفول ، وكتب إليه الخليفة يوبخه ويأمره بالخروج ، وألزم رسوله ازعاجه ، فانقلع حيثذ من مدينه لك بجليقية ، وخرج على الفج المعروف بفج موسى ، ووافاه طارق فى الطريق منصرفا من الشتر الأعلى ، فأقفل مع نفسه ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من أثر السكنى فى مواضعهم التى كانوا قد اختطوها واستوطنوها ، وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر »^(١).

وهكذا يادر موسى وطارق ورسولا الخليفة إلى جنوب الأندلس وبقي من أثر من الجنود الاستقرار فى المواضع التى اختطوها واستوطنوها ، ولنا أن نتساءل هل استطاع أن يحقق موسى ما يصبوا إليه واستطاع أن يفتح بلاد الفرنجة خلف البرت ؟ فى الواقع أن موسى كان حريضا حتى آخر الوقت على اتمام هذا المشروع العظيم ولعل السرايا التى وصلت إلى أربونة وحولها فى المناطق الجنوبية من غالة خلال وجوده تقوى واقعية هذه الفكرة وتؤكد توثيقها^(٢). وفى هذا يذكر ابن خلدون أثناء الحديث عن فتوح الأندلس : « وتمم موسى الفتح وتوغل فى الأندلس إلى برشلونة من جهة الشرق وأربونة من الجوف وضم قادس فى الغرب »^(٣).

ويؤكد وصوله إلى أربونة أيضا رواية الرقيق القيروانى الذى يذكر « أن موسى بن نصير نهض بفتح مدائن الأندلس مدينة مدينة حتى انتهى إلى أربونة »^(٤). أما مؤرخونا المحدثون فإن لكل منهم رأيا خاصا حول إمكانية وصول موسى إلى تلك المناطق ، فيرى أحدهم أن استعجال موسى فى فتح جليقية بعد استمهاله مندوب الخليفة دليل على ذلك^(٥) ويرى آخر أن موسى اخترق جبال البرنية وغزا ولاية اللانجدوك - Langue- doc أو سبتمانبيه واستولى على قرقشونه وأربونه ثم نفذ إلى مملكة الفرنجة وغزا وادى

(١) المقرى : نفع الطيب ، ج-١ ، ص ٢٥٨ .

(٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١١٥ .

(٣) ابن خلدون : المعبر ، ج-٤ ، ص ١١٧ .

(٤) الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجى الكحى ص ٨٠ - ٨١ .

(٥) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١١٥ .

الرون حتى وصل إلى مدينة ليون واضطرب أمراء الفرنجة لذلك وأخذوا في الاستعداد لرد العرب وصدّهم وكانت المعارك الأولى بين العرب والفرجة قد وقعت في السهول على مقربة من أربونة^(١). ويرى آخر أن موسى قد وصل فعلا بغزواته إلى غالة ودخل أربونة ووجد في أحد الكنائس تماثيل فضية منقوشة^(٢).

في حين يرى آخر أنه من المحتمل أن يكون موسى قد أرسل حملات استطلاعية لكشف المنطقة وربما اجتازت هذه الحملات جبال البرت حتى وصلت إلى قرقشونه Carcasson^(٣).

ويستبعد آخر قيام موسى بكل هذه الفتوحات في فترة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة شهور، ويعتقد أن هناك خلطا بين أعمال موسى في فتح قطلونية Catalunya ووصول عسكره إلى قرقشونه Carcasson وبين أعمال عنبسة وعذرة الفهرى وغيرهم من الولاة^(٤).

أما الآخر فيرى أن موسى بن نصير قد أشرف من ذروة جبال البرت على أوروبا واستعد لقهر الأمم القاطنة فيما بين بلاد الغال والأربونية والبسפור ، وباستدعاء الخليفة له نكبت أمة الإسلام في الغرب^(٥).

في حين يرى آخر أن موسى بن نصير كان أول من بدأ بالخطوات الأولى لفتح غالة وراء البرت وتعد غاراته هذه من قبيل الغارات التمهيدية التي قام بها المسلمون من قبل الفتح الحقيقي والتوغل في تلك البلاد^(٦).

وإننا نرى أن موسى بن نصير كان له الفضل في وضع اللبنة الأساسية لعبور المسلمين جبال البرت لفتح بلاد الغال في تلك المرحلة الهامة من عمر الدولة الإسلامية .

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج١ ص ١١٥ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٥١ .

(٣) خليل إبراهيم السامرائي : الثغر الأعلى الأندلسي ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) السيد عبد العزيز : تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٥) ل.أ. سيديو : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل رعت ، ص ١٦٦ .

(٦) عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٢٧ .

وأخيرا بادر موسى وطارق وزمولا الخليفة بالعودة إلى جنوب الأندلس وبقي من جنود المسلمين من رغب فى الاستقرار فوصلوا إلى طليطلة ومنها إلى قرطبة فاشبيلية . وفى هذه المدينة استخلف موسى ابنه عبد العزيز سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ م بعد أن اختار أشبيلية عاصمة للأندلس^(١) وترك معه حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع وزيرا ومعينا له^(٢) وعبر القائلان إلى إفريقيا يحملان معهم الغنائم بعد أن استخلف موسى ابنه عبد الله على إفريقيا وابنه مروان على طنجة والسوس ، ثم مضى إلى دمشق عاصمة الخلافة .

وبمغادرة موسى بن نصير الأندلس ورحيله إلى المشرق انتهى دور موسى ومحاولاته فتح غالة وأصبح ابنه عبد العزيز واليا على بلاد الأندلس فتابع مسيرة أبيه الجهادية المباركة رغم أن مدة ولايته كانت قصيرة .

وفى ذلك يذكر ابن عذارى « لما قفل موسى بن نصير استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس ، فضبط سلطانها ، وسد ثغورها ، وافتتح مدائن كثيرة وكان من خير الولاة إلا أن مدته لم تطل »^(٣) .

أما ابن خلدون فيذكر أنه « حينما عزم موسى بالقفول قام بعد أن أنزل الرابطة والحامية بثغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها وأنزله بقرطبة فاتخذها دارا لإمارته »^(٤) .

وليست لدينا أخبار مفصلة من مصادرها الرئيسية عن الأماكن والبلدان التى افتتحها عبد العزيز وإن كان المؤرخون يشيرون باقتضاب إلى أنه أتم فتح مدن كثيرة فى عهده فيقرر ابن خلدون « أنه كان خيرا فاضلا وافتتح مدائن كثيرة »^(٥) ويؤيد المقرئ ما رواه ابن خلدون من أن عبد العزيز « ضبط سلطانها الأندلسى وضم ونشرها وسد

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٦ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٩ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢٣ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢٤ .

(٤) ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

(٥) ابن خلدون : المصدر السابق .

تغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة،^(١) ولعل في رواية ابن قتيبة نقلا من ابن القوطية ما يعزز افتتاح عبد العزيز في ولايته مدائن كثيرة ، فيذكر أن ابن قتيبة أن موسى استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس فغزا بالناس حتى بلغ أرض القوطيين^(٢) وهي جنوب غالة خلف البسرات ويؤيد هذا الرأي جوزيف رينو الذي يذكر أن إقليم سبتمانيا الواقع في جنوب فرنسا والذي يسمى اللانجدوك Languedoc وقاعدته تولوز Toulouse (طولوشه) يقال لها بلاد القوطية Gotie لأن القوط استقروا فيها فترة طويلة^(٣) وعلى هذا الأساس يمكن تفسير نص ابن قتيبة ورينو على أن عبد العزيز بن موسى قد وصل إلى جنوب فرنسا^(٤) وأنه كان له دور في استكمال الفتوحات في عهد أبيه في بلاد الأندلس^(٥) وخلف جبال البرت .

ولم تقتصر فتوحات عبد العزيز بن موسى على هذا الحد ، فقد ذكر كوديره Codera أنه طالع مخطوطا عربيا ذكر فيه أن عبد العزيز بن موسى خرج مع الناس في حملة حتى بلغ أربونه ، ويرى كوديره أنه لا بد قبل أن تصل جيوش عبد العزيز إلى أربونه من افتراض سقوط برشلونه Barcelona وجرنده Gerona ويرى أن هذه أول مرة يرد فيها خبر صريح وواضح عن وصولهم حتى أربونه وهو خبر له دلالة . ويعتقد أن سقوط تلك المدن كان قد حدث بين عامي ٩٥ هـ - ٩٧ هـ / ٧١٣ - ٧١٦ م^(٥) ولقد قاتل عبد العزيز البشكنس وتم له فتح بمبلونه Pampluna وقد أورد كل من ابن عذارى وابن قتيبة أنه وصل إلى بلاد البشكنس^(٦) وربما يكون المؤرخون قد خلطوا في

(١) المقرئ : نفع الطيب ، ج١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٥٣ .

(٣) خليل السامرائي ، النسخ المزعومة ، ص ١٢٣ - ٢٤ .

(٤) وقد اقتضينا في ذكر الدور الذي قام به عبد العزيز بن موسى في استكمال فتح بلاد الأندلس ، وذلك لأن هذا الموضوع خارج عن نطاق دراستنا .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١١١ - ١١٢ . نقلا عن كوديره .

Codera : Narbona , Gerona Y Barcelona Bajo la dominacion musulmana en estudios criticos de la historia arab. P. 293 .

(٦) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ . ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ص ٦٤ .

وصوله إلى هذه المنطقة أثناء ولايته وإنما كان وصوله إليها أثناء حملة أبيه السابقة .

وقد تعرض عبد العزيز بن موسى للقتل عام ٩٧ هـ / ٧١٥ م واجتمع أهل الأندلس على أيوب بن حبيب ابن أخت موسى بن نصير^(١). وهكذا انتهت حياة عبد العزيز ابن موسى بعد أن شهد له الجميع بأنه كان من خيرة الولاة ، رغم قصر مدته وتولى أمر الأندلس أيوب بن حبيب اللخمي وكان عاقلا صالحا فهدأت الخواطر نوعا ما واستقرت الأمور واستمر في ولايته ستة أشهر نقلت خلالها قاعدة الحكم من أشبيلية إلى قرطبة باتفاق الجماعة^(٢) وبالرغم من قصر مدة حكمه فإنه يبدو أنه قام بحركة جهادية لتطهير البلاد من مقاومة القوط ، وقد استطاع أن يترك اسمه على مدينة من تأسيسه هي قلعة أيوب Calatayud التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة طليطلة Toledo^(٣).

ثم أقاله محمد بن يزيد الذي خلف عبد الله بن موسى في ولاية إفريقيا واختار لولاية الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي الذي قدمها عام ٩٧ هـ^(٤) وتنفق المراجع^(٥) على أن الحر بن عبد الرحمن خليفة أيوب كان رجلا ذا نشاط ملحوظ في الغزوات فيما وراء جبال البرقات . وبدأ من عهده الاتجاه الحقيقي للفتح الإسلامي فيما وراء البرت . ولقد قام الحر في قمع الفتن والمنازعات وإصلاح أمور جيشه وتنظيم إدارته ، ثم استعد للقيام بحركته الجهادية ، ولقد عرف واشتهر بالصرامة والجور وشدة الوطأة فأتجه نحو الشمال في جيش كبير واستطاع أن يعبر جبال البرت

(١) ترددت أقوال كثيرة من قبائل المؤرخين حول أسباب مقتل عبد العزيز بن موسى ، ولنا في مقامنا هذا في مجال المناقشة هذه الآراء وللإستزادة انظر : ابن عبد الحكم : فتوح أفريقيا والأندلس ، ص ٨٤ - مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٢ - ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٤٤ - المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) هناك رواية تذكر أن الذي نقل القاعدة ، هو الحر الثقفي . انظر ابن عذاري : ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ١٣ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٤ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥ - ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

الناصرى : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٤ - محمد عبد الله : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ٧٣ .

إلى سبتمانيا Septemania واللانجدوك Languedoc سنة ٩٩ هـ / ٧١٨ م ويستولى عليها . وكانت مدن سبتمانيا يسكنها أعداد كبيرة من القوط الذين فروا أمام الفتح الإسلامي ، وقد تخلفت تلك المناطق عن الطاعة بعد أن فتحها المسلمون لأول مرة بقيادة موسى بن نصير فقام الحر بافتتاحها والاستيلاء عليها واستمر في زحفه المظفر حتى ضفاف نهر الجارون . ولكنه اضطر إلى الرجوع حينما وصلت أخبار تجمع النصاري في منطقة نافار (البشكنس) وعزمهم على التصدي له فرجع إليهم لقمع فتنهم^(١) وقد ذكر المؤرخ الاسباني كوندى : أن الحر هو الذى تجاوز حدود الأندلس إلى بلاد إفرنجة ونواحي أربونه فسبى وغنم وقفل بالأسرى والغنائم ولقد قيل أن خروج الحر للجهاد في بلاد غاله كان من الأسباب التى سهلت للمسيحيين الملتجئين إلى جبال استوريا^(٢) الاجتماع على العصيان والثورة منتهزين فرصة غيابه فوضعوا نواة المقاومة النصرانية كما وضعوا أساس دولة جديدة في الأندلس محل الدولة التى كانت قد بادت وقضى عليها المسلمون^(٣) .

ويذكر ايزيدور الباجى^(٤) أن الغزوات الحقيقية فيما وراء البرت لم تبدأ إلا في عهد الحر بن عبد الرحمن الذى كان ذا نشاط ملحوظ في الغزوات في غاله ووراء جبال البرت ، فقد ذكر أنه قام بغزو جنوبى غالة حتى أربونه عاصمة غالة النوربونية Gallia Narabonesis وظل يحارب أهل هذه النواحي حتى اضطروا إلى طلب الصلح فمنحهم إياه .

ولكن مؤرخى العرب والفرنجة لا يؤيدون رأى ايزيدور هذا^(٥) إذ الواقع أن الطلائع الأولى من لدن موسى بن نصير إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفى كانت قد استطاعت

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) جبال استوريا : هى المنطقة التى سكنها قبائل الباسك التى كانت نواة لنشأة الإمارات النصرانية في الشمال .

(3) Codera : Limites Probables de la conquista araben la cordillera Pirenaica. P. 111 .

(٤) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٤ نقلا عن ايزيدور الباجى .

أن تصل إلى تلك المعازل المهمة فيما وراء جبال البرت ووضعت النواة الجهادية الأولى
التي استمر عليها من جاء بعدهم من أمثال السمع وغيره .

أما الحر بن عبد الرحمن فقد استمر في قمع الفتن والمنازعات حتى عزله عمر بن
عبد العزيز في منتصف سنة مائة لقسوته وصرامته . فكانت ولايته سنتين وثمانية
أشهر^(١) وولى الخليفة عمر السمع بن مالك بدلا منه .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٨ - المقرئ : نفح العليب ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، ص
٢١٩ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

جهاد السمح بن مالك الخولاني

أولاً : ولاية السمح بن مالك

ثانياً : استقرار المسلمين في المدن الفرنجية .

ثالثاً : الاهتمام بتحصين المراكز الإسلامية في غالة .

أولا : ولاية السمع بن مالك على الأندلس :

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - قد وقف على مادب من الخلل والضعف فى موقف العرب بالأندلس ، فاختر لها السمع بن مالك الخولانى بعد أن قرر عزل الحر بن عبد الرحمن^(١) .

وكانت هناك حادثة هامة أدت إلى اختيار السمع ووضعته موضع الثقة من الخليفة وفى ذلك يقول صاحب أخبار مجموعة : « وذلك أن الخلفاء كانوا إذا جاءتهم جبايات الأمصار والآفاق يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس وأجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذى لا إله إلا هو ما فيها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه وأنه فضل أعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية بعد أن أخذ كل ذى حق حقه فأتى وفد إفريقية بخراجها وذلك أنها لم تكن يومئذ تغرا فكان ما فضل بعد أعطيات الأجناد وفرائض الناس ينقل إلى الخليفة فلما وفدوا بخراج إفريقية فى زمان سليمان أمروا بأن يحلفوا فحلف الثمانية ونكل إسماعيل بن عبيد الله مولى بنى مخزوم ونكل بنكوله السمع بن مالك الخولانى فأعجب عمر بن عبد العزيز من فعلهما ثم ضمهما إلى نفسه فاختر منهما صلاحا وفضلا فلما ولى عمر ولى إسماعيل إفريقيا وولى السمع بن مالك الأندلس »^(٢) .

وهكذا بعد أن أبقى عمر بن عبد العزيز الرجلين فترة فى دمشق إلى جانبه واختبر منهما دينا وخيرا أمر بتعيينهما بعد أن وثق فيهما واطمأن على أن يكون حكم المسلمين فى يد أمينة . وهذا هو الأصل التاريخى لولاية السمع وهو أصل منطقى ومقبول .

وكان أول ما تبادر إلى ذهن الخليفة بعد تلك الولاية أن يأمره بأن يحمل الناس

(١) يقال أن سبب عزله يرجع إلى قسوة الحر وفظاظته فى معاملة كل من المسلمين والمسيحيين على السواء فكثرت منه الشكايات .

للمزيد انظر محمد عبد الله : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ ١ ص ٧٣ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

على طريق الحق وألا يعدل بهم عن منهج الرفق^(١) وكانت هذه أول وصايا أمير المؤمنين للسمح وأن يحرص على تنفيذها بدقة فكانت ولايته على الأندلس مشارضى من مختلف الفئات الأندلسية لما رأوا فيه من الصفات الجيدة والتصرفات العادلة وبدلنا على ذلك التفافهم حوله^(٢).

فقد كان من خيار زمانه ثقة وعدالة^(٣). ولأنه أمثل ما أمره به عمر بن عبد العزيز من القيام بالحق وإتباع العدل والصدق^(٤).

وولى السمع عام ١٠٠هـ / ٧٢٠م وفى ذلك يقول ابن خلدون : « بعث عمر ابن عبد العزيز على الأندلس السمع بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة^(٥) وقرر عمر أن تكون الأندلس ولاية مستقلة عن إفريقية وتابعة للخلافة مباشرة لما رآه من أهميتها واتساع شئونها وعظم مكانتها وفى ذلك يقول ابن عذارى : « فانفرد السمع بولايتها وعزلها عمر عن ولاية إفريقية اعتناء بأهلها واهتماما بشأنها »^(٦).

وتميز السمع بأنه كان حاكما وافر الخبرة والحكمة والعقل وحسن التصرف فى الأمور فقبض على زمام الأمور بحزم وهمة وبادر بقمع المنازعات وألغى وإصلاح الجيش والإدارة ، فقد كان رائدا فى تنظيم جهاز الحكم على أسس جديدة ومتطورة ، وكانت سياسته الإصلاحية عامة وشاملة فنشطت الإدارة وتحسن الاقتصاد وتطور الجيش ونهض العمران ، ولقد أبدى فى جميع أعماله حزمًا وعدلا فالتف الزعماء حوله وخبت نار الفتنة واستقر النظام والأمن وبعد ذلك نقطة تحول هامة فى تاريخ الأندلس بحيث ظهرت تلك الشخصية المتميزة فى تلك الفترة الحاسمة وسيكون لهذا أثره فى موقف المسلمين خلف البرقات . واستطاع السمع فى فترة بسيطة أن يثبت بأنه

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٦ .

(٢) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٢ .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٤ .

(٤) و(٥) ابن خلدون : المعبر ، ج٤ ، ص ١١٨ .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٦ .

الرجل القدير والقائد الباسل والسائس الحازم إذ قام بفرق الفتوق ووازن بين الداخل والخارج ، وانصف الجند فى الأعطيات ، ووزع على المجاهدين جانباً من الأراضى وعهد بما بقى منها إلى وكلاء أمناء ذوى دراية واسعة ، واستطاع أن يعث تقريراً مفصلاً وافياً إلى الخليفة ببيان عن البلدان التى فتحت ، وما فيها من النفوس والجبايات ليسر فى الأندلس رأيه . وأوفاه عن طبيعتها وإمكاناتها ، ومشاكلها السياسية والاقتصادية^(١) بناء على ما أمره به ، وفى ذلك يقول صاحب أخبار : مجموعة لما ولى أمير المؤمنين عمر بن العزيز السمح بن مالك على الأندلس « أمره أن يخمس أرضها ويخرج منها ما كان عنوة خمسا لله من أرضها وعقارها وبقر القرى فى يدى غنمها بعد أن يأخذ الخمس وأن يكتب إليه بصفة الأندلس وانهارها »^(٢) .

وكان رأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار فقليل له « أن الناس قد كثروا بها وانتشروا فى أقطارها فاضرب عن ذلك^(٣) واستطاع السمح أن ينقنه بوضع المسلمين هناك وطمأنه عليهم وبأنه لا خوف عليهم فى تلك الديار ، وأنه لا سيعد اليوم الذى تصير فيه تلك الديار بأجمعها تدين بدين محمد صلى الله عليه وسلم^(٤) .

ثانيا : استقرار المسلمين فى المدن الأندلسية :-

وبعد ذلك بدأت الخطوة الثانية للسمح بناء على رغبة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى أمره أن يخمس^(٥) أرضها ويخرج ما كان عنوة^(٦) خمسا لله من أرضها وعقارها

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ ١ ، ص ٦٤ ، إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ١٥٠ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(٤) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٧١ .

(٥) التخميس :- قال أبو يوسف : فأما الخمس الذى يخرج من الغنمة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - قلله وللرسول سهم ولذوى القرى سهم ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم =

ويقر القرى من يد غنائمها بعد أن يأخذ الخمس^(١) ومعنى ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أمر بتخمس الأرض امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ واعلموا أننا غنمتم من شيء فإن لله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾^(٢) كما أن عمر بن عبد العزيز أمر بتوزيع الأراضي على المقاتلة في الأقاليم المفتوحة على أن يؤدوا الخراج عنها^(٣).

= بدليل الآية : ﴿ ما أنفأ الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ سورة الحشر - آية ٦ .
وانظر أبو يوسف : (يعقوب بن إبراهيم) صاحب أبي حنيفة : الخراج ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، ص ٦٣ .

وروى أبو عبيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخصاس ، فأربعة منها لمن قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة فريح لله وللرسول ... إلخ . وقال أيضاً : أن الأصل في الخمس عندى : أن يوضع في أهل المسمين في التنزيل . وقال : فهذا حكم الخمس النظر فيه إلى الإمام وهو مفوض إليه على قدر ما يرى ، وأما الصدقة فلم يأتنا عن أحد من الأئمة والعلماء أنه رأى صرفها إلى أحد سوى الأصناف الثمانية الذين هم أهلها .
انظر أبو عبيد : الأموال : تحقيق محمد خليل هراس ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

وهناك خلاف في تعريف الخمس : ملخصه أن الشافعى يرى : أن يقسم خمسة أسهم على الخمسة المعنيين في الآية ثم يصرف سهم الرسول بفرقونه على مصالح المسلمين كأرزاق الجيش والقضاة ونحو ذلك . وقال أبو حنيفة : أن سهم الرسول قد ارتفع بعد موته وكذا أسهم ذوى القربى فيقسم الخمس عنده على الثلاثة الباقين ، أما مالك : فإنه يفرض التصرف إلى الإمام باجتهاده يضع الخمس كله في مصالح المسلمين .
انظر أبو عبيد : المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

(٦) أرض العنوة : العنوة : القهر والغلبة ، وفي حديث الفتح أنه عليه السلام دخل مكة عنوة : أى قهراً وغلبة وهو من هنا يعنوا إذا خضع وذل .

انظر : ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .
وقال ابن سيده : فتحت هذه البلدة عنوة : أى فتحت بالقتال قوتل أهلها حتى غلب عليها ، وفتحت البلدة الأخرى صلحا : أى لم يغلوا ولكن صولحوا على خراج يؤدونه .
انظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ١٠١ .

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ .

(٢) آية ٤١ من سورة الأنفال .

(٣) الخراج ما يخرج من غلة الأرض ، ثم سمي ما يأخذه السلطان خراجاً فيقال : أدى فلان خراج أرضه ، وأدى أهل الامة خراج رؤوسهم معنى الجزية .

كما قام السمع بإعادة بناء القنطرة الرومانية على نهر الوادى الكبير باستشارة من الخليفة . وبعد تلك الإصلاحات التى قام بها السمع أدرك أن الوقت قد حان للاستعداد لتكملة جهاد المسلمين فى الأرض الكبيرة خلف جبال البرتات . ولعل السبب الرئيسى الذى أدى إلى تأجيل السمع عن التحرك السريع صوب الشمال هو الإصلاحات العامة والتنظيمات المهمة التى قام بها فى بلاد الأندلس حتى لا يخرج تاركا خلفه أى مشاكل أو ثغرات تؤدى إلى عرقلة حركة الجهاد خلف البرت .

ثالثا : الاهتمام بتحسين المراكز الإسلامية فى غالة :-

بعد عبور جبال البرتات وغزو جنوب غالة (فرنسا) أهم عمل قام به السمع أثناء ولايته (ويلاحظ أن فرنسا كاصطلاح جغرافى لم تكن قد وجدت بعد ، ولم تكن هناك لغة تسمى اللغة الفرنسية وكانت الأراضى الممتدة خلف جبال البرتات شمالا تعرف وقتئذ بالأرض الكبيرة Tere - Majoro ، أو بلاد الفرنجة أو بلاد الغال أو غاليا Gaulia^(١)) .

وتعتبر فتوحات السمع بن مالك البداية المنظمة تلك الفتوحات فى الأرض الكبيرة فقد عرف عنه أنه جندى جريء وقائد عظيم^(٢) استطاع أن يدرك منذ الوهلة الأولى ومنذ بداية خطواته الجهادية أهمية إقليم سبتمانيا وخطورة استمرار القوط فيه على وضع ومراكز المسلمين أثناء سير جيوشهم ، ولم يصل إلى هذه النتيجة إلا بعد دراسة

= المطرزي : المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

الجرجاني : التعريفات ، ص ٥٢ .

القنوي : أنيس الفقهاء ، ص ١٨٥ .

قال أبو عبيد : فهذا هو المحفوظ عندي أن عمر أعطاهم الأرض البيضاء بخراج معلوم كالرجل يكرى أرضه بأجرة مسماه وكذلك معنى الخراج فى كلام العرب إنما هو الكراء والغلة ألا تراهم يسمون غلة الأرض والدار والملوك خراجا .

للمزيد انظر أبو عبيد القاسم بن سلام ، الأموال ، ص ٧٤ - أبو يوسف : الخراج ، ص ١٢٩ .

(١) أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٦ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الجزء الأول ، ص ٧٥ .

دقيقة شاملة لشعون المسلمين في كل من الأندلس وغالة . فقرر الاهتمام بتحسين المراكز الإسلامية في غالة فاتجه إلى مقاطعة سبتمانيا تلك الولاية الساحلية فقام بتخطيط يضمن سيره وتحركه بثبات واطمئنان فقرر أن يتخذ من برشلونه Barcelona قاعدة لتجمع الجيوش المتجهة إلى فرنسا . ويعتبر اختيار هذه المدينة اختيارا صائبا لعدة أسباب، منها موقع برشلونه البحري وصلاحيته كميناء لرسو السفن ، بالإضافة إلى ذلك قرب المدينة من ممرات جبال البرتات وخاصة ممر بارينيان Perpignan الموصل بين برشلونه وأربونه ومن هذا الممر سارت الجيوش إلى جنوبي غالة وخاصة إلى سبتمانيا وأعادت فتحها وأختيرت أربونه^(١) قاعدة عسكرية لفتوحاته في منطقة سبتمانيا وجنوبي غالة للأسباب التالية - قربها من البحر مما يجعلها قاعدة بحرية هامة للمسلمين لتلقى الإمدادات عن طريق الأساطيل بدلا من اجتياز جبال البرت المليئة بالمخاطر والممرات المتعددة الضيقة فضلا عما بها من قبائل متوحشة لا عمل لها إلا السلب والنهب والاعتداء بالإضافة إلى ذلك طبيعة أربونه فمناخها المعتدل القليل البرودة يشبه إلى حد كبير مناخ مدن العالم الإسلامي وخاصة مدن المغرب والأندلس ، لذلك وقع اختيارهم لها قاعدة عسكرية للجيوش الإسلامية لتنتقل منها لفتح بقية المدن في غالة .

ومعنى ذلك أن برشلونه Barcelona أضحت القاعدة الجنوبية لتجمع القوات الإسلامية القادمة من الأندلس ومنها تتجه إلى القاعدة الشمالية أربونه ومن هناك تسير الجيوش مجتمعة لفتح مدن غالة^(٢) .

استهل السمع استعداداته الحربية كما ذكرنا بأن جعل من برشلونه في مقاطعة قطالونيا قاعدة لغزو سبتمانيا ، ثم اجتمعت له الجيوش هناك ، فعبر بها جبال البرتات، ثم نزل لإقليم سبتمانيا وزحف على عاصمته أربونه واستولى عليها بعد حصار دام

(١) الحميري : الروض المعمار ، ص ٢٤ .

(٢) خليل السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ١٢٥ - ١٢٦ - شكيب أرسلان : غزوات ، ص ٨٥ - إبراهيم

العدوي : المسلمون والجرمان ، ص ١٧٨ - سيدو : تاريخ العرب للعلول ، ص ١٦٦ .

Edward Jams : The Origins of France . P. 15 .

ثمانية وعشرين يوما ثم أخذ يحصنها ويرودها بالهاميات لتكون قاعدة الجيوش الإسلامية ومنها تقدمت الجيوش وعلى رأسها السصح فاستولت على المدن المجاورة لأربونة مثل قرقشونه Carcassonna وبيزيه Beziers وماجلونه Mague Lone^(١) واستطاعت أن تشتت كل القوى التي تصدت لمقاومتها ، وكان ذلك عام ١٠١ هـ / ٧٢٠ م ثم اجتاحت المسلمون بعد ذلك منطقة غالة القوطية كلها وأخضعوا جميع قواعد سبتمانيا Septimania حتى تمكنوا من الوصول إلى تولوز Toulouse ، ثم اتجه بعد ذلك نحو الشرق ليغزوا مملكة الفرنجة الجنوبية .

وقد عرفنا مما سبق^(٢) أن غالة كانت تخكم من قبل الأسرة الميروفنجية منذ أواسط القرن ٥ م . وأن ملوكها قد بلغوا درجة كبيرة من الضعف والعجز حين دخول المسلمين إلى بلاد الأندلس ومنها إلى غالة ، وأصبح يدير البلاد حجاب عرفوا باسم حجاب القصر وصاروا يتصرفون في كل الأمور ، وفي تلك الفترة كان الحاجب هو يبين هرستال Pepin de Herstal الذى لم يستطع رغم قوة شخصيته أن يفرض سلطته على المقاطعات الفرنجية التي استقل أمراؤها بها بعد ضعف الملوك ، وكان من تلك المقاطعات المستقلة مقاطعة أكتيانيا التي كانت تحت إمرة الدوق أودو Eudes ووقع عليه عبء الدفاع عنها^(٣) .

وكان أوده آنذاك أقوى أمراء الفرنج في غالة وأشدّهم بأسا واستطاع بعد الاستقلال باكوئين Aquitain أن ييسط حكمه على غالة الجنوبية من اللوار إلى البرنات والتف حوله القوط والبشكنس والنافار وأخذ يطمح في الاستقلال وانتزاع ملك الفرنجة وبدأ العدة لقتال شارل مارتل (ابن يبين هرستال) رئيس بلاط مملكة الفرنجة المتغلب عليه

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، الجزء الأول ، ص ١٧٩ .

Haroon Khan Shewani : Muslim Colonies in France, Morthern Italy Switzerland . P. 35 .

(٢) أنظر الفصل الأول .

(٣) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ص ١٩٣ .

ولكنه عدل عن ذلك لأنه أحس بخطر قدوم المسلمين الداهم عليه فتوجس خيفة ^(١).

تقدم السمع بن مالك واتجه نحو عاصمته تولوز (طولوشه) Toulouse « وأخذ المسلمون بمخفقتها وقاموا باستعمال المنجنيقات وسائر آلات الحصار فى قتاله حتى أوشك أهلها أن يسلموها ، وإذا بأدو قد أقبل بجيش يسد الفضاء حتى قال مؤرخوا العرب أن العثير المتطاير من زحف أقدامهم كان يغطى عين الشمس من كثرتهم ، فتلا السمع لعسكره الآية القرآنية « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » ولما تدانى الجمعان خيل أن الجبال تلاقى بعضها ببعض ، وكانت المعركة من أهول ما يتصوره العقل ، وكان السمع يظهر فى كل مكان وسيفه ينطف دما وهو يشدد عساكره بقوله ويفعله ، وكان كالفحل الهائج لا يرد رأسه شىء أو كالأسد الزائر يحمل على العدو فلا يقف أحد فى وجهه ، فما هو إلا أن أصابته طعنه خربها صريعا عن جواده ، فلما رآه المسلمون مجدلا فت فى أعضادهم ونكصوا على أعقابهم » ^(٢).

وهكذا قتل السمع بأسرع مما كان يظن ، قتل وهو فى قمة انتصاراته وتقدمه الزاحف ، ولكنها إرادة الله . ولو انتصر المسلمون فى معركة طولوشه لأمكنهم من التحكم فى وادى نهر الجارون وفى الحدود الشمالية لمقاطعة غشقونية Gascony ^(٣).

ولقد اختلف المؤرخون فى تعيين مكان وتاريخ المعركة التى استشهد فيها السمع

(١) سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٩٣ - محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ج ١ ، ص ٧٦ ،

Edward james : op. cit., P. 15 - watte and cachia history of islamic spain P. 21 .

جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، ترجمة وتعليق إسماعيل العربى ، ص ٤٧ .

(١) شكيب ارملان : غزوات العرب ، ص ٩٥ - ٩٦ - جوزيف رينو : الفتوحات ، ص ٥١ .

(2) Levi-Provencal : histoire L'Espagne Musulmane . P. 58 .

إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٤٣ .

فتذكر بعض المصادر أن السمع استشهد في طرسونه Tarzone^(١) . فى أرض الروم^(٢) . وهذا المصطلح « الروم » يستعمل أحيانا كثيرة لكل الشعوب الأوروبية وهو غير مقصور على سكان الأندلس^(٣) .

وهناك المصادر التى لا تذكر مدينة أو مكانا لاستشهاده وإنما تشير إلى أن السمع استشهد بأرض الفرنجة فى ذى الحجة سنة اثنتين ومائة^(٤) .

أما لفظ (الفرنجة) فهو يدل على سكان بلاد ما وراء جبال البرتات أى الأرض الكبيرة ولا سيما غالة . ويوجد جنوب غالة مدينة اسمها قريب من طرسونه وهى طرسكونه ولعله تحريف حدث أثناء النسخ فأصبحت طرسكونه (جنوب غالة الفرنجية) طرسونه (شمال شرق سرقسطة فى الأندلس)^(٥) وكانت طرسونه قاعدة من قواعد شمال الجزيرة الأندلسية وهى (عاصمة كورة تطيلة وربما كانت مدينة أربونه تابعة لمدينة طرسونه إداريا)^(٦) .

أما تاريخ المعركة التى استشهد فيها السمع فراجع أنه فى ذى الحجة سنة اثنتين ومائة فى يوم التروية أو يوم عرفة^(٧) .

(١) طرسونة Trazona مدينة بالأندلس تقع إلى الجنوب الغربى من تطيلة مسافة ٢٢ كم واسمها عند الرومان تورياسو Turiaso ، وهى من المدن العربية المعروفة وكان يسكنها العمال والقواد بالشفور ، انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٨٩ .

(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ص ١٩٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٣) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٨٦ .

(٤) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ١٩٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦ - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٨ - المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص ١٤ .

(٥) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٨٦ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٨٩ .

(٧) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٣٧ - الضبى : بغية الملتبس ، ص ٣٣٦ . ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ١٩٥ - ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦ - المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الثانى ، ص ١٤٠ .

ويخطيء ابن حبان فيما يرويه عن المقرئ أنه يسمى ذلك اليوم الذى استشهد فيه السمح بوقعة البلاط فيذكر أنه « قتل فى الوقعة المشهورة بالبلاط »^(١) وبعد استشهاد السمح فى تولوز وقع الاضطراب فى الجيش الإسلامى كله وارتد المسلمون إلى منطقة دفاعهم وحصنهم أى إلى سبتمانيا^(٢) بعد أن فقدوا زهرة جندهم ، وسقط منهم عدد من الزعماء الأكابر ، وتولى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى قيادة الجيش ونجح فى الانسحاب بغلوله إلى أربونه وكان لمقتل السمح أثر سىء على معاويات المقاتلين وبثرة صفوفه ولو لم يكن منهم الله بالقائد الهمام الذى لم شعشهم وأنقذ البقية الباقية لضاع الجيش بعد الاضطراب الذى وقع فى صفوفه ، وتعتبر هذه الولاية الأولى لعبد الرحمن الغافقى . ولكن رغم قصرها لم تدم أكثر من ستة أشهر^(٣) إلا أن رجوع الغافقى بالجيش سيكسبه تجربة يعود منها بعدها إلى فتح تلك المناطق على نطاق أوسع^(٤) وهكذا كانت تولوز أول صدمة للعرب^(٥) خلف جبال البرت .

(١) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثانى القسم الثالث ، ص ١٥ .

(2) Leviprovecal : histoire, I. P. 58. codera : Narbona , gerona y barcelona bajo la dominacion musulman en estudios criticos de la historia arabe espanole, VIII. P. 307 .

(٣) المقرئ : النفع ، المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص ١٥ .

(٤) عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٢٧ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٥ . إبراهيم بيضون : الدولة العريفة فى أسبانيا ، ص ١٥١ . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، ص ١٣٨ .

(٥) يذكر شكيب أرسلان فى كتابه غزوات العرب ، ص ٩٦ - ٩٧ - وريشو : الفتوحات الإسلامية ، ص ٥٢ . أنه بعد عزيمة المسلمين فى تولوز دبت الحماسة فى قلوب أهل اللانجدوك والبيراته وهبوا لخلع طاعة العرب ، ويحاول المستشرقون هنا نسبة أعمال غير إنسانية للعرب الفاتحين فيذكرون مثلاً أنه فى أربونه بعد وصول التجذات من العرب قام العرب بشن الغارة على البلدان المجاورة الذين كان الرهبان والقسيسون فى ذلك الوقت هم أصحاب الكلمة وكانت الكتاكس والأديار مملأى بالنفائس والذخائر ، وقام العرب على حد قولهم - بتدمير الأديار والبيع وأنهم هدموا دير جوسل بقسرية بيزيه Beziers ودير صنجيل بالقرب من أرل Arles والدير المشهورة المسمى بالتراتيل . وغيره من الأديرة وكان العرب يقومون إلى الأجراس والنوافيس فيكسرونها ولكن الواقع أن العرب لا يسيئون معاملة الذين يذخون فى طاعتهم بدون مقاومة وإنما هذه الأحاديث المبالغ فيها مدسوسة على المسلمين ، فالمسلمين منذ بداية عهدهم لم يشهد التاريخ أفضل وأعدل وأرحم منهم . =

ويرد منيديو في كتابه تاريخ العرب عن تلك الاعتداءات فيقول « واليوم ولا يزال قومنا يحزون إلى الشرقيين - وهذا ما كان الغربيون يسمون به العرب جميع التخريبات التي ترى آثارها في الولايات التي حاربوها مع أن العرب كانوا يظهرون معتدلين عند النصر ولم يحاربوا بمثل ما كان يحارب الهون والنورمان من اندفاع والهمجية ، أفلم تكن تلك التهم نتيجة ما كان العرب يؤثرون به خيال القوم ، وكانت وجوه العرب السمر ، ونظرتهم الحادة ، وسرعة انقضاض خيولهم وغرابة أزيائهم ، وأقاصيص الجنود الهاربين المملوءة بالمبالغات تطير منها النفوس جزعا ، وكان العرب قد أتول بلسان غير معروف وكان العرب قد أتوا حاملين ديننا جديدا إلى أناس مؤمنين بتعاليم أساقفتهم ، فما كان غير الحقد على أعداء إله النصرارى ليصدر عن هؤلاء الأساقفة .

سيديو : تاريخ العرب العام ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النخدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثالث

جهاد عنبة بن سحيم وخلفائه

أولاً : تقدم المسلمين نحو الشمال حتى مدينة سانس ١ في حوض
الرون «

ثانياً : عودة عنبة لضبط أحوال الأندلس واستشهاده في الطريق
إليها .

ثالثاً : جهاد عذره بن عبد الله الفهري .

رابعاً : جهاد الهيثم بن عبيد الكنانى .

أولا : تقدم المسلمين حتى مدينة سانس فى حوض الرون :-

بعد عودة جيش السمح بقيادة عبد الرحمن الغافقى سالما إلى أرض الأندلس استمر الغافقى يرتب الأمور بوضعها فى نصابها حتى قدم عنبسة بن سحيم الكلبي واليا على الأندلس سنة ١٠٣ هـ ، وفى ذلك يقول المقرئ : « قدم أهل الأندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى إلى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن أبى مسلم عامل إفريقيا فقدمها فى صفر سنة ثلاث ومائة (١) »

ولما قتل يزيد بن أبى مسلم استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك على إفريقيا بشر ابن صفوان فأقر عنبسة على الأندلس (٢) .

وكان ولاية إفريقيا يضعون فى اعتبارهم تولية ولاية الأندلس حسب اعتبارات قبلية فإذا كان والى إفريقيا يمينا كان والى الأندلس يمينا وإذا كان قيسيا كان والى الأندلس قيسيا ، ولكن لحسن الطالع كان عنبسة بن سحيم الكلبي والى الأندلس الجديد رجلا بعيدا عن كل تعصب قبلى .

ولقد سبق أن أوضحنا المكانة الكبيرة والقتالية للسمح بن مالك الخولانى وقدرته على فتح دولة الفرنجة وانتصاراته العظيمة وتوطينه للمسلمين فى تلك المدن واهتمامه بتحسين المراكز الإسلامية فى غالة لذلك كان استشهاده خسارة كبيرة على الإسلام والمسلمين فى جهادهم بالأرض الكبيرة أدت إلى اضطراب الجيش الإسلامى وفقدانه عددا كبيرا من زعمائه وجنوده الأبطال ، ولكن الله تعالى هيا للمسلمين من يتولى أمرهم حيث تمكن القائد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى بسرعة من سحب الجيوش الإسلامية إلى أربونه ليستطيع هناك لم شمل المسلمين وإعادة تنظيم رجاله ومعرفة أسباب الهزيمة فى موقعة تولوز التى تعتبر أو نكبة لقبها المسلمون فى أوروبا ، وعاد بجيش المسلمين سالما إلى الأندلس فاستمر فى تنظيم وترتيب صفوف الجيش

(١) المقرئ : نفع الطيب : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٢) القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٠٢ .

الإسلامي وإخماد الفتنة حتى قدم عنبسة بن سخيم الكلبي الذي اختاره والي إفريقيا واليا على الأندلس .

ويذكر بعض المؤرخين أن والي إفريقيا الذي عين عنبسة هو بشر بن صفوان ومنهم من يقول : إنه يزيد بن أبي مسلم^(١).

وبما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك قد قام بتعيين بشر بن صفوان واليا على إفريقيا بعد مقتل يزيد بن أبي مسلم وأن وفاة السمع بن مالك كانت في ذى الحجة سنة اثنتين ومائة من الهجرة وقدوم عنبسة واليا للأندلس في صفر سنة ثلاث ومائة من الهجرة وقتل يزيد بن أبي مسلم كان بعد ولاية عنبسة وعلى هذا فإن مباشرة عنبسة لولايتة كانت بعد مقتل يزيد بن أبي مسلم ولا يمنع الجمع بين القولين من أن يزيد ابن أبي مسلم قد عين عنبسة على الأندلس وايد بشر بن صفوان توليته هذه وأقر عنبسة على ولاية الأندلس وما في أيدي المسلمين من أرض الفرنجة .

وبعد الوالي الجديد الذي تولى أمر الأندلس رجلا من طراز كبار الفاتحين^(٢) فقد كان رجلا عظيما تقيا ورعا مجاهدا عسكريا وإداريا على درجة عالية ، كما كان حريصا أميناً على الدولة الإسلامية التي أوكلت إليه إدارتها ، وتبين لنا ذلك من خلال

(١) وقد اختلف المؤرخون فيمن ولي عنبسة ، فيذهب صاحب بغية الملتمس وصاحب جذوة المقتبس إلى أن بشر بن صفوان أمير أفريقية هو الذي قلده الولاية في سنة ١٠٦ هـ .

انظر : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣١٩ - الضبي : بغية الملتمس ، ص ٤٣٢ - ويذكر ابن عذارى والمقرئ الذي ينقل عن ابن حبان الأندلسي وعن ابن خلدون أن قدومه كان في سنة ١٠٣ هـ . واليا من قبل يزيد بن أبي مسلم .

ابن الأثير : الكامل ج ٥ / ١٣٥ ، ابن عذارى : البيان ج ٢ / ٢٧ ، المقرئ : المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص ١٦ - ١٨ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٤ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الزندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ص ١٨ - الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب ، ص ١٠٢ - المراكشي : المعجب ، ص ٣٦ - المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الثاني ، القسم الثالث ، ص ١٦ - ابن أبي الضياف : انخاف أهل الزمان ، ص ٨٩ .

جهوده وأعماله حينما قدم على الأندلس فاستقام أمرها وحالها^(١) فقد بادر عنبسة منذ البداية إلى إزالة الأثر السيء الذى ترتب على هزيمة السمع ابن مالك ومقتله فى تولوز فحرص قبل الخروج إلى الجهاد خلف البرت فى أن يصلح من شأن ولايته فقضى السنوات الأولى منها فى تنظيم أمور الأندلس وتهئية مطامع الخلافات فيها بين العرب بعضهم وبعض ، وبينهم وبين البربر ، لأن الأندلس كانت حين قدومه تعيش حالة من الاضطراب والمشاكل ولقد شغل أهلها بتصفية ثأرهم القبلية أكثر من انشغالهم بالقضاء على بقايا القوط فى الأندلس أو عن اتمام إخضاع البربر فى إفريقيا ، وذلك استغرق عنبسة وقتا من الزمن فى تنظيم تلك البلاد المضطربة وضبط نواحيها وإصلاح جيشها^(٢).

وكانت مهمة عنبسة مهمة دقيقة بحق فقد جاءت ولايته إلى الأندلس وعربها حديثوا عهد بهزيمة ، حيث تلقوا أول هزيمة قاسية فى تاريخهم العسكرى الأوروبى خلف جبال البرتات ، حيث تركت تلك الهزيمة آثارها الواضحة على بنية السلطة القائمة أصلاً بل على التوازن القبلى فإذا اليمينيون^(٣) يحتاجون الولاية ويقبضون على زمامها فترة من الزمان ، وفى المقابل كان القيسيون^(٤) يتلاعب بهم الغضب فى انتظار

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ٨٢ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ص ٨٢ - العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٨١ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص ١٣٨ .

(١) اليمينيون : تنسب القبائل العربية التى عاشت فى النصف الجنوبى من شبه جزيرة العرب التى تتكون من العرب العاربة أى الحقوقة إلى قحطان باعتباره الجد الأعلى ، وكان ذلك القسم الجنوبى ينقسم إلى قسمين عظيمين هما كهلان وحميز ، ويتفرع من كهلان فرعان هما مالك وعرب ومن أشهر قبائل مالك الازد التى هاجرت من موطنها شعبين (سبأ) أثر انهيار سد مأرب إلى موطنهم الجديد فى عمان والسراره ومكة ويثرب والشام وكان ذلك قبيل القرن الخامس الميلادى ، وفى الإسلام تدفقت أعداد كبيرة من أزاد السراة وازد عمان إلى الكوفة والبصرة .

السمعاني : الزنساب ، ص ٢٨٨ - النوبى : نهاية الأرب ، ص ٧٨ - ٧٩ .

Encyclopedie of islam. I P. 529 .

(٢) القيسيون : تنسب القبائل العربية التى عاشت فى النصف الشمالى من شبه الجزيرة العربية والتى تتكون من العرب المستعمرة إلى عدنان باعتباره جدها الزعلى ، وكان ذلك القسم الشمالى ينقسم =

الفرصة المناسبة^(١).

وعلى الرغم من أن السياسة القبلية هي التي جاءت بعنسة إلى السلطة لكنه أثبت أنه الرجل القدير المتمكن الذي استطاع أن يملأ المكان والذي حرص على فرض التوازن المطلوب بين العرب في الأندلس ونجح في بعض سنوات من حكمه تنظيم إدارة ولايته ورتق فتوقه وإصلاح ما فسد منها . أما السنة الأخيرة من ولايته فكسرتها للغاية الأصلية وهي استمرار جهاد المسلمين خلف البرقات ونشر الإسلام في الأصقاع التي لم يصلها بعد^(٢).

لذلك بادر عنسة إلى محاولة إزالة الأثر السيء الذي ترتب على هزيمة ومقتل السمع عن طريق استئنافه للجهاد واستعادة سائر إقليم سبتمانيا^(٣).

ففي أواخر سنة ١٠٥ هـ / ٧٣٤م استنفر عنسة المجاهدين لعبور جبال البرقات فتكون لديه جيش كثيف قرر أن يتجه به إلى بلاد الفرنجة لذلك قاد الجيش الإسلامي من قاعدة برشلونة وعبر ممر بارننن Perpignan^(٤) واستقر في القاعدة الثانية أربونة وعمل على تدعيم خطها الدفاعي أمامه لكي يتسنى له فتح المناطق المجاورة لذلك أصبحت أربونة المقر الرئيسي له فقام بتحصينها وشحنها بالرجال والعتاد واستقر فترة من

= بدوره إلى قسمين هما مضر وريبعة ، وامتازت قبائل مضر بالكثرة العددية حتى قيل أكثر من ربيعة ومضر وتنقسم مضر إلى قسمين كبيرين أولها قبائل خندق وثانيها قبائل قيس ، أما قبائل خندق فتتقسم إلى قسمين كبيرين بنى مدركة وطابخه ، أما قبائل قيس فتشمل ثلاثة أقسام كبيرة هي : سعد وجديلة وحفصه . للمزيد انظر : السمعاني : الأنساب ، ص ٥٣٣ - اليعقوبي : البلدان ، ص ١٢٣ .

إبراهيم ييوضون : الدولة العربية في أسبانيا ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(1) Levi-Provencal : op. cit., P. 58 . Codera : Narbonne. P. 113 .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ .

(٣) خليل إبراهيم السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ١٢٨ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآفامهم في الأندلس ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

Levi-Provencal : op. cit. 1. P. 58 - Codera : Narbonne P. 311 .

شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٨ .

الزمان يرتب أموره وينظم أحواله وهكذا دانت له سبتمانيا واسترد كثيرا من معاقلها التي سبق أن فقدوها المسلمون بعد مقتل السمع ثم زحف على امتداد نهر الرون حتى اقترب من قرقشونه .

فى أوائل سنة ١٠٦ هـ فحاصرها حصارا شديدا حتى صالحه أهلها على ما يلى :

١ - أن يتنازل له أهلها عن ما يتبع أعمال المدينة (أى الأراضى التابعة لها)

٢ - أن يطلقوا جميع من عندهم من أسرى المسلمين ويردوا إليهم أسلحتهم وأمتعتهم .

٣ - أن يعطوا الجزية لعنيسة .

٤ - أن يلتزموا بأحكام الذمة فيحاربوا من حارب المسلمين ويسالموا من سالمهم^(١) .

ثم اتجه عنيسة إلى مدينة نيم Nimes^(٢) فدخلها بلا مقاومة وأخذ منها رهائن نقلهم إلى برشلونه أى أن عنيسة لم يسر فى الاتجاه الذى سار فيه السمع وسط أراضى غالة بل سار إلى الشرق فى محاذاة البحر حتى وصل إلى نهر الرون فاستولى حينذاك على نيم وأخذ من أهلها رهائن نقلهم إلى مدينة برشلونه قاعدة الثغر الأعلى^(٣) وهنا تتضح لنا أهمية الثغر الأعلى فى اتخاذه حصنا ومركزا للجهاد وراء البرتات ، ثم واصل عنيسة سيره ولم يشأ أن يتجه إلى مقاطعة أكييتانيا Aquitaine لأن دوقها أثر مهادنة

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١٩٧ .

(٢) انظر الملحق الخاص بتمريفات المدن فى نهاية البحث .

(٣) تعتبر منطقة الثغر الأعلى قاعدة للفتوحات وراء البرتات ، كما أن الأسرى الذين بأسرهم المسلمون يرسلون عادة إلى مدن الثغر ومن هنا يفرقون فى البلاد ، وكانت مدينتا برشلونه وطركونة بصورة خاصة قواعد عسكرية يكمن المسلمون فيها عند طلب الفرصة فى الغزو وكانت مراكز التجمع للأسرى ومنها يفرق إلى سائر أنحاء الأندلس ، وقد عامل المسلمون هؤلاء بكل عطف ورحمة كمادة المسلمين فى تلك المواقف .

للمزيد انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٦ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٢٨ .

أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٢٦ .

المسلمين والتودد إليهم بعد أن رأى تصميمهم على الاستيلاء على سبتمانيا حتى لا يوقع نفسه بين المسلمين وبين رئيس بلاط مملكة الفرنجة شارل مارتل^(١) لذلك لم يتجه عنيسة إلى هناك وواصل سيره حتى أدرك مجرى نهر الرون ووجد الطريق أمامه مفتوحا فسار مسرعا دون أن يلقى أى مقاومة وصعد مع النهر حتى أدرك نهر الساءون ودخل إقليم برجنديه Burgunda^(٢) واستولى على أوتون Autun^(٣) وغنم منها مغام كثيرة وافرة سنة ١١٢هـ / ٧٣١م ولم يكتف بذلك بل اتجه متوغلا حتى استولى على ماسون Macon^(٤) وشالون Chalon^(٥) ومن هناك قسم جيشه إلى قسمين : القسم الأول سار إلى ديجون^(٦) Dijon ولانجر Langres^(٧) ، والقسم الثانى توجه إلى أوتون Autun^(٨) ومنها إلى مدينة سانس Sens ولا شك أن سانس كانت أقصى نقطة وصل إليها الجيش الإسلامى داخل غالة ، وفى سانس تصدى للمسلمين أسقف المدينة ويسمى أيبون Ebbon استعدادا لوقف زحفهم ، فحصن المدينة وجمع مواطنيه الذين اتجهوا معه لحماية مدينتهم ، ولكن الله قذف الرعب فى قلوب الكفار ، فلم يكن أحد منهم يقف فى وجه المسلمين إلا ويطلب الأمان ، ولم يزل المسلمون يتقدمون فى البلاد ويؤمنون العباد إلى أن وصلوا إلى وادى الرون وهناك ابتعدوا عن السواحل وأولوا فى الداخل ،^(٩).

ويذهب المؤرخون الأوروبيون إلى أن حملة عنيسة لم تقف عند هذا الحد بل

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٨٢ .

(٢) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٣) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٤) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٥) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٦) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٧) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٨) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(9) Levi-Provençal : op. cit., I. P. 59 .

شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

وصلت إلى أوزه Ozes^(١) وفيين Vienne^(٢) ووصلت في نواحي فالنس Va-lance^(٣) وإلى ليون Lyon^(٤).

وفي الحقيقة أن تراجع المسلمين عن مدينة مانس لم يكن بسبب مقاومة أسقفها بل بسبب وعورة المنطقة التي أحاطت بهذه المدينة^(٥) ويدعو أن قائد المسلمين أدرك أن بقاء الجيش في هذه المنطقة ربما يعرضه للإبادة إذا تهيأت للعدو فرصة الهجوم فقرر العودة .

ثانيا : عودة عنيسة لضبط أحوال الأندلس واستشهاده في الطريق إليها :-

عاد عنيسة بمن معه من الجند محملين بالغنائم بعد أن وصلوا إلى قلب بلاد غالة وزوا حوض الرن كله وتخطوا نهر اللوار وأصبحوا على مسافة قصيرة من نهر السين نفسه وقد تم ذلك خلال سنتي ١٠٢ - ١٠٣ هـ (٧٣٠ - ٧٣١ م) وطبيعي أن تشير هذه الانتصارات التي أحرزها عنيسة المخاوف في مقاطعات فرنجية كثيرة فارتفعت معظم الدوقيات الجنوبية والوسطى ، وشعرت مملكة الفرنجة أنها أمام خطر حقيقي - وشعر الفرنجة أن الحملات المقبلة للمسلمين ستكون حاسمة من كل وجه ، فأما أن يتم المسلمون فتح مملكة الفرنجة أو يرتدوا عنها ولكن للأسف كانت أحوال مسلمي الأندلس في تفكك واندحار بعد أن تفشت بينهم الاضطرابات وسادت المشاكل بسبب العصبية القبلية بين العرب بعضهم بعضا والمنازعات بين العرب والبربر ، ذلك عزم عنيسة بعد هذا الفتح الظافر وبعد أن ترامت إلى مسامعه أنباء الاضطرابات على الرجوع لإصلاح ما فسد أثناء غيابه فعاد بعد أن أدرك الفرنجة قوة المسلمين بعد تلك الإغارة الواسعة المدى^(٦) ، وكان محققا عندما قرر عدم ترك المسلمين في تلك

(١) (٢) انظر الملحق الخاص بتعريفات المدن .

(٣) (٤) انظر الملحق الخاص بتعريفات المدن .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ ، المدري : المسلمون والجرمان ، ص ١٨٢ .

(٦) السامرائي : الفجر الأعلى ، ١٢٩ ، مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص ١٣٩ .

المناطق الوعرة خوفاً من الهجوم المباغت عليهم وبالفعل ما أن قرر العودة حتى داهمت جموع من الفرنجية ، وهاجمه الأعداء على غرة فأصيب بجروح توفى على أثرها فاستشهد رحمه الله سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م فقام بقيادة الجيش من بعده عذره ابن عبد الفهرى^(١) .

أما عن الكيفية التى انتهت بها حياة عنيسة فقد صممت عنها المصادر العربية^(٢) والأجنبية^(٣) وإن اجمعت كلها على أنه استشهد خلال بعض المناوشات فى طريق العودة وذلك فى شعبان عام ١٠٧هـ / ٧٢٦م وكانت مدة ولايته أربع سنوات وثمانية أشهر .

غير أن الخطأ الذى وقع فيه عنيسة أنه بالغ فى اطمئنانه للفرنجية وخاصة أدو دوق أكيثانيه ، ولم يخطر بباله أن الفرنجية كانوا يتربصون به وأن استسلامهم كان خوفاً من قوته وجيوشه الإسلامية ولذلك فإن حين انتهت عنيسة من عملياته الحربية وترك سبتمانيا واتخذ طريقه إلى الأندلس داهمته جموع من الفرنجية فقضت عليه^(٤) .

والحق أن حملة عنيسة كانت أقرب إلى استكشاف حربي منها إلى حملة تستهدف الفتح ، لأنه لم يعمل على الاستقرار فى أى بلد خارج نطاق إقليم سبتمانيا ، ولو كان عنيسة على نية الفتح الثابت والاستيطان لأتم الاستيلاء على ما غلب عليه من المبدائن ، ولأقام الحاميات على الأقل فى بعضها إن لم تكن كلها على عادة العرب فى فتوحهم ، وربما كانت نيته من أول الأمر أن يقوم بحملة تشبه حملات عقبة الكبرى أى غارة بعيدة المدى تشق البلاد شقا وتطلع المسلمين على أحوالها

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج١ ، ص ٣٤٤ ، الضبى : بغية الملتصم ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ١٩٧ . المراكشى : المعجب ، ص ٣٥ ، ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧ ، ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١١٨ ، المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٩ .

(٣) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١١٣ ، خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢٤٤ .

(٤) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٨٢ - ١٨٣ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وتمهد لما بعدها ولو استقر عنبة في ليون مثلاً أو في أحد مراكز غالة الوسطى لكان في إمكاننا أن نقرر أن عنبة قد فتح جنوبي غالة ووسطها . أما وقد عاد أدراجه بعد أن سار نحو ألف ميل شمالي قرطبة فلا نستطيع القول إلا أن حملة عنبة الرائعة لم تكن أكثر من حملة استكشافية طويلة أنت بمغامم وفيرة ونشرت في نواحي غالة كلها أخبار وجودها ومهدت لمن جاء بعده .

ولإراد عنبة السيطرة على ما تبقى للقوط من أملاك ، ودراسة البيعة الجديدة التي تجاوز ممتلكات سبتمانيا وليس العمل على فتحها والاستقرار بل أراد من مناوراته أيضاً أن يشعر جيرانه المسيحيين في سبتمانيا بقوة الإدارة الجديدة فيها والقضاء على الشائعات التي راجت عن ضعف قوة المسلمين في جنوب بلاد الغال بعد موت السمع بن مالك^(١) .

لذلك نرى صحة الرأي القائل بأن حملات عنبة لم تكن أكثر من حملات استيطانية طويلة أنت بمغامم وفيرة ونشرت في نواحي غالة وجودها ومهدت لمن جاء بعده وأنه أشبه بالمناورات الحربية التي عرفها المسلمون منذ عهد رسول الله ﷺ فلقد كان القائد يقوم باستكشاف الأرض قبل الدخول إليها ودراسة أحوالها والبيعة التي سيفوزها قبل أن يقرر الاستقرار فيها فكان المسلمون يكتشفون ويوفدون العيون لجمع كل الأخبار حتى إذ ما تحرك الجيش بعد ذلك للاستقرار يكون تحركه في أمن وسلام وطمأنينة ويستطيع أن يترك الحاميات للدفاع عن تلك المناطق التي ستكون في حوزته . ولكن الحاميات التي وضعها عنبة لم تكن كافية ، ولم يؤمن طريق عودته مما كان سبباً في أن يتمتع الفرنيجة طريقه ويداهموه ، ولا شك أن قتله بهذه الصفة وهو ذلك القائد العظيم الذي أحرز الانتصارات الرائعة والسريعة للإسلام والمسلمين خلف البرت

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

إبراهيم العدوي : المسلمون والجرمان ، ص ١٨٢ .

Reinaud : op. cit., P. 23 - Levi Provencal : op. cit., P. 41 - 42 .

Sherwani ; op. cit., P. 35 .

كانت خسارة على الأمة الإسلامية التي فرحت بالانتصارات الكبيرة التي استطاع تحقيقها في فترة وجيزة ، ولكن إرادة الله فوق كل شيء . والذي يتتبع أخبار الفرنجة اثر حملات عنبسة يجد أنه أدخل في قلوبهم الرعب من سرعة اقتحام جيوش المسلمين بلادهم وهم لا يعرفون عنها شيئا .

ومهما يكن فإن فتوحات عنبسة في غرب أوروبا هي من أعظم الفتوحات الإسلامية ووصل إلى ما لم يصل إليه أى قائد آخر فرحم الله عنبسة ومن سبقه من قادة المسلمين فقد انفرد بهذا الفخر العظيم بين الفاتحين فخر الوصول برايات الإسلام إلى قلب أوروبا الغربية^(١) .

ويذكر أن أودو دوق اكيثانيا رأى أن يفاوض المسلمين ويهادنهم خوفا من هجومهم عليه ، لذلك استطاع المسلمون بسط سيادتهم على جنوبى شرقى غالة ، وتذكر أيضا أن سبب عدول عنبسة بن سحيم عن التوغل في اكيثانيا هو صداقته للدوق أوده الذى كان وقتئذ على علاقة سيئة بشارل مارتل ابن يبين هرستال صاحب الدولة الميروفنجية ، وتذكر بعض المراجع أيضا أن من أسباب هزيمة السمع بن مالك عند تولوز كان أودو ، وأن عنبسة أثناء حملته تلك اتجه نحو بلاد الدوق رأسا واستولى على قرقشونه ثم انحرف إلى سبتمانيا من جديد وسار نحو نيم وأن الدوق لم يحارب المسلمين ولم يعترض طريقهم كما فعل يوم ساروا إليه بقيادة السمع بل لم يحاول أن يهاجم من خلفهم بعد أن تركوا بلاده خلفهم وساروا نحو نهر الرون حتى قاربوا نهر السين^(٢) .

ويعلل ذلك الموقف بأن الدوق كان في ذلك الحين صديقا مواليا لهم ، وربما كانت هذه الصداقة هي مصدر بعض الروايات الفرنجية التي تتهم الدوق بأنه استدعى

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٨ .

Levi Prevençal : op. cit., p. 41 - 42 .

(٢) نهر السين : انظر الملحق الخاص بالتعريفات .

العرب لغزو غالة بسبب علاقته السيئة بشارل مارتل .

والواقع أن أودو لم يكن على وئام مع دولة الفرنجة ، وربما كان شارل يحسده على مكائنه ويود لو أزال تلك الولاية ولاية اكيثانية الغنية من يد أودو ^(١) فلقد أوردت لنا الروايات اللاتينية أخبارا متفرقة عن عدااء الرجلين وما كان بينهما من خصومة وليس هذا بغريب فقد كان معظم الإقطاعيين فى غالة يخافون شارل ويكرهونه وكان الكثيرون منهم فى حالة حرب معه ، وهذا هو السبب الذى دعى أودو إلى مصادقة العرب ولم يكن انصراف عنبسة عن أراضي الدوق مصادفة بل كان أمرا طبيعيا أملت الظروف العامة ، فقد انصرف العرب عن أراضيهم لأنه حليفهم وربما كان هذا الحلف هو السبب فيما وفق إليه المسلمون من انتصارات فاقت كل ما كان منتظرا من حملة عنبسة ^(٢) .

وتذكر بعض المصادر اللاتينية أن دوق أودو صاهر رجلا بربريا يدعى مونوسه -Mu- nuza وقام بتزويجه من ابنته التى تدعى لامبيحه أو مينين Lampegie or Minine ^(٣) وأنه ساعد عنبسة فى غزو يرجندية ليعيد خطر المسلمين عن بلاده .

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٣٩ .

ورغم هذه الآراء التى أوردها المؤرخون نقلا عن مؤنس حول علاقة عنبسة بالدوق أودو أولا أننا لا نرجح هذه الآراء لنجعلها سببا رئيسيا فى انطلاقه نحو أرض الغال ، وإنما كان الدافع الدينى الغرض الجهادى والحماس الإسلامى هم الأساس الأول فى سياسة عنبسة واتجاهه نحو أرض غالة بتلك الصورة الرائعة .

(٢) عن علاقة مونوسه بأودو انظر الفصل الرابع المتعلق بعبد الرحمن النافقى .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

ثالثا : جهاد عذرة بن عبد الله الفهرى :-

رغم استشهاد عنبسة بن سحيم إلا أن الحركة الجهادية لم تتوقف بل استكملها ولاية خلفوه ساروا على نهجه واقتفوا أثره رغم ما ساد الأندلس من أحداث .

والمتتبع لأحداث الأندلس يجد أنه توالى عليها فى مدى الأعوام الخمسة التى تلت وفاة عنبسة ستة ولاة أولهم عذرة بن عبد الله الفهرى والذى تسميه المراجع الأجنبية باسم Hodeyra أو Hodra والذى تولى قيادة الجيش عقب وفاة عنبسة فارتد به إلى قاعدة المسلمين الحصينة فى أربونه وقام بنفس الدور الذى قام به عبد الرحمن الغافقى بعد استشهاد السمع (١) .

ويذكر أن عذرة واصل جهاده فى بلاد غالة بعد أن وصلته الامدادات اللازمة من الأندلس وهو فى القاعدة الحصينة أربونه (٢) ولقد اهتم عذرة بإقليم سبثمانيا بصفة خاصة ، ويرجع السبب فى احتفاظ المسلمين بهذا الإقليم إلى نشاط الولاية بعد عنبسة وأولهم عذرة الذى نظر إلى إقليم سبثمانيا على أنه أحد الثغور الهامة (٣) التى تتولى الدفاع عن دولة الإسلام بالأندلس وأنه لا بد من حمايتها من أى عدوان خارجى يقع

(١) اختلف المؤرخون المعاصرون حول ولاية عذرة ، فيرى بعضهم أن عذرة لم يكن من الولاية الرسميين وأن ولايته كانت غير رسمية حتى مجئ الوالى الرسمى ، واعتمدوا فى تفسيرهم هذا على رواية ابن عذارى : جـ ٢ ، ص ٢٦ ، ومن هؤلاء محمد عبد الله عثمان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ٨٣ . واختلف البعض فى مدة ولايته فيرى مؤنس أن عذرة ظل فى ولايته سنتين وثلاثة أشهر (شوال ١٠٧هـ - ربيع الأول ١١٠هـ) فبراير - مارس ٧٢٦م - يونيو ، يولييه سنة ٧٢٨م . بمعنى ذلك أن رأى مؤنس هو الأقوى .

أما السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٣٣ : فيرى أن ولاية عذرة لا تتمتع بالشهرين بدليل قدوم يحيى بن مسلمة الكلبي واليا من قبل أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فى شوال سنة ١٠٧هـ ، ٧٢٦م واعتمد فى رأيه هذا على رواية ابن عذارى : جـ ٢ ، ص ٥٧ ، والمقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٧٩ . ولكن لو أبقينا بفتوحات عذرة استنادا إلى المراجع الأجنبية فمعنى ذلك أن رأى مؤنس هو الأقوى لأنه ليس من الممكن فى تلك المدة القصيرة التى لا تتجاوز شهرين أن يفتح عذرة كل تلك المناطق .

(٢) خليل إبراهيم السامرائى : الثغر الأعلى الأندلسى ، ص ١٣٢ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٩ .

عليها في السنوات التي تلت عنبسة ، لذلك تابع المسلمون إغارتهم في جنوب بلاد الغال لإزهاق عدوهم حتى قيل أن رياح الإسلام أخذت تهب على تلك المناطق من كل ناحية ، فدعم المسلمون سلطتهم في سبتمانيا وانطلقوا خارجها بعد أن شجعهم ضعف المقاومة التي صادفوها في طريقهم إلى التوغل والاستمرار في لافتوح ، بعد ذلك عادوا إلى حوض الرون حيث أغاروا على بلاد الألبيين (Les Albigens) وإقليم رويرج Le Rouergue وجيفودان Gévaudan وليفليه Levelay وصارت سبتمانية ولاية إسلامية عزيزة الجانب لا يستطيع أن يمسها أحد بسوء أو يطمع في أخذها من يد المسلمين ، بل أخذ أمراء الفرنجة في الجهات المجاورة لسبتمانيا يعملون على التقرب من المسلمين ، كما أن أهالي تلك المنطقة صاروا ينعمون بحضارة وإدارة مستقرة^(١).

ذلك أن المسلمين وضعوا لسبتمانيا نظاما جيدا للحكم باعتبارها أهم منطقة من مناطقهم الدفاعية عن دولة الإسلام بالأندلس ، ولكن دون الاضرار بمصالح سكانها الأصليين وقد كانت أربونه Narbonna العاصمة هي الحامية الإسلامية الرئيسية على حين توجد حاميات إسلامية صغرى في كل بلد كبير من سبتمانيا^(٢).

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٢٥ ، رينو : الفتوحات ، ص ٥٤ .

Sherwani : muslim colonies in france, northern italy and switzerland. P. 36 .

إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

Reinaud : Invasions des sarrazins en france. P. 25 codera : Narbona. P. 312 - 313 .

(٢) كان لتلك الحاميات أثر كبير في إقرار السلام بين الأهالي إذ تربت جميع الأمور في مسائل جمع الضرائب وغيرها ، وقام المسلمون بالاحتفاظ بعدد كبير من الجند للغزو والإغارة حين تتطلب الأمور الدفاع في منطقة غالة ، ولقد خفف المسلمون عن الأهالي الضرائب التي عانوا منها في حكم الفرنجة القاسى ونعموا بالعدالة والحرية في عهدهم ، حتى أن كبار الحكام من دوقات المدن والمقاطعات صاروا حلفاء للمسلمين حيث تمتعوا بالحكم الذاتي . ومن ذلك ما عامل به المسلمون دوق مرسيليا المدعو (مارونت) فقد كان يحكم تلك المدينة وما حولها من أراضى دوقية ويؤدى للمسلمين ما يقررون عليه من الأموال ، ثم أن المسلمين تركوا الأراضى التي فتحوها عنوة فى =

وليس باستطاعتنا أن نجزم بالحد الذى توقف عنده عذرة فى فتوحاته بغالة وإن كنا نقبل ما تذكره الروايات اللاتينية عن الأعمال التى تمت أثناء ولايته لأن عبد الرحمن الغافقى الذى جاء بعد ذلك وجد المسلمين فى وضع جيد فى غالة ، ولو كان أمرهم وقف عندما انتهت إليه أعمال عنبسة بن سحيم وهو الرجوع إلى الأندلس ، لما استطاع الغافقى أن يقوم باتمام الفتوحات بتلك الصورة الرائعة ، لأن الولاة الذين سبقوه قد مهدوا له ، لذلك تقدم تقدما ظافرا واستطاع أن يحقق ما حققه من فتوحات^(١).

ولكن الروايات الإسلامية جميعها لا تنسب لعذرة أى فتوحات ولا أى تقدم بل تحصر ولايته فى شهرين فقط ، وتعتبر مدة حكمه مدة غير قانونية وغير رسمية بل استمر فيها مؤقتا حتى يعين الخليفة فى المشرق هشام بن عبد الملك الوالى الرسمى^(٢).

وتنسب الرواية الفرنجية كثيرا من أعمال التخريب والفساد إلى المسلمين فى تلك الفترة بعد وفاة عنبسة إلى تولية عبد الرحمن الغافقى ، وتذكر أن المسلمين قاموا بالنهب والسلب ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، وأن معظم المناطق قد امتلأت بالمهاجمين وعمها التخريب . وما تبقى منها فقد اشتعلت فيه النيران ، وقد أصاب الذعر معظم أهالى البلاد وقام الفاتحون بحمل جميع المقتنيات الثمينة التى يسهل حملها والأدوات المختلفة والأسلحة والخيول التى يمكن أن تزيد من قوتهم وتضعف من شأن أهل البلاد

= تلك الأرجاء بيد أهلها ، وفرضوا عليهم تقديم حصة تتراوح ما بين ثلث وربع المحصول ، وبذلك أقبل أهل سبتمانيا وجيرانهم على الحكام المسلمين وتعاونوا معهم فى إغارتهم ونهموهم بالأمن والطمأنينة فى ظلهم ولم يفكر أودو أو شارل مارتل فى انتزاع تلك الجهات من أيديهم ، بل أدرك أودو قوتهم فعمل على مصادقتهم ، أما شارل مارتل فقد شغل بالتصدي للثورات فى بلاده وصارت سبتمانيا بعد غارة عنبسة وعذرة حتى مجئ الغافقى موضع رهبة للفرنجية ولم يحاولوا التصدي للمسلمين .

للمزيد انظر العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(١) حسين مؤنس : فجر الإسلام ، ص ٢٥٥ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٣٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧ - ابن خلدون : المبر ، ج ٤ ، ص ١١٧ ، المقرئ : نفع الطيب : المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٦ - ١٧ .

الفرنجية وعادوا بها إلى الأندلس . ومن بين الأماكن التي وقعت في أيديهم وتضررت من غزوهم مقاطعة ديوسيزودويس Dioceseder bodes فاستقروا فيها وتخصنوا في قلعة منيعة تسمى روكبريف Roquebrive وفي قلعة تسمى بالاجير Balaguier وقد استولوا على هذه المدن بدون أى مقاومة بل أن الأهالي أنفسهم قدموا لهم المساعدة وقد انتشرت قصة ظهرت على شكل رواية شعرية كتبت في بداية القرن التاسع الميلادي^(١).

ولقد نسبت الروايات النصرانية الكثير من الحوادث المخزية إلى المسلمين وذكروا أن أغلب الظن أن تلك الحوادث قد وقعت ما بين سنتي ١٠٧ - ١١٢ هـ - ٧٢٥ - ٧٣٠ م حيث قام المسلمون بالغزوات التي تنسبها إليهم الروايات النصرانية في إقليم دوفنيه Duphne وليون Lyon - وبورجونيا Bourgogne .

ويذكر رينو أن المسلمين تركوا الأماكن التي وصلوا إليها مليئة بالخراب والدمار ففي ضواحي فيين Vienne على ضفاف نهر الرون لم تعد الكنائس والأديرة سوى ركام من الخرائب ، وكذلك أصيبت كنائس ليون (Lyon) بالخراب ودمرت كل من مدينتي ماكون (Macon) وشالون (Chalon) كما تعرضت مدينة بون (Beaune) لخراب فظيع والتهمة النيران^(٢) كنائس سانت نزيير (Saint Nazure)

(١) تقول القصة أن هناك شابا صغيرا يدعى داتون حمل سلاجه عند اقتراب المسلمين وابتعد عن أرضه مع عدد من المقاتلين لمحاربة المسلمين وترك أمه وحيدة ، وتوجه إلى ساحة القتال وبينما هو في الطريق غزا المسلمون منزله وأسروا أمه ، فلما عاد وسمع الخبر حمل سلاجه ومضى إلى الحصن يريد اقتحامه وسخر منه المسلمون خلف أسوارهم ، وقال له بعضهم إذا أردت أن نرد لك أمك فاعطنا الحصان الذي تمتطيه وإلا قتلناها أمام عينيك فرفض دادون أن يجيبهم إلى طلبهم فذبحوا أمه ، وروا إليه برأسها ، فبلغ من رعب الفتى وحزنه أن ذهب فترهب في ناحية على ضفاف نهر الدردون Dourdon وقد انشئ فيما بعد دير كويك Cougue يتصرف من Sherwani : op. cit., P. 35 .
Reinaud : op. cit., P. 26 - 29 ٥٥ - ٥٤ ص : الفتوحات ، ٣٦ - ٣٧ - ينو : ٥٤ - ٥٥ .

حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) وينسب الأستاذ سيد أمير على هذه الأعمال إلى الهيثم بن عبيد الكنانى وليس إلى علره انظر مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ص ١٤٦ .

وهدم دير سانت مارتن (Saint Martin) وغيره من الكنائس والأديرة^(١).

هذا ما يذكره المؤرخون الأوروبيون ، أما المصادر العربية ومؤرخو الإسلام فلا يذكرون شيئا عن تلك الحوادث على الإطلاق حين ينفرد المقرئ بذكر توغل المسلمين في داخل بلاد الفرنجة بقوله : « إن الله ألقى الرعب في قلوب النصارى ولم يعد أحد منهم ليظهر إلا ليستأمن فاستولى العرب على البلاد وفتحوا الأمان لمن أراد وساروا مصعدين حتى وصلوا إلى حوض رودانه وهناك ابتعدوا عن الشواطئ وتوغلوا داخل البلاد^(٢) » ولم يذكر المقرئ البلاد التي وصلوا إليها حينما توغلوا في تلك المناطق .

ويرد الدكتور حسين مؤنس في كتابه فجر الأندلس على تلك الروايات الأوروبية فيذكر ردا على رينو بأن المراجع التي أشار إليها رينو لم تشر إلى أن العرب هم الذين خربوا تلك النواحي بل كان ذلك العصر عصر اضطراب وحروب بين النصارى بعضهم مع بعض في غالة ، وأن أمراءهم هم الذين أنزلوا بالكنائس والأديرة التخريب والاضرار ما يفوق كل وصف ، أما العرب فطوال تاريخهم المليء بالفتوحات والظفر لم يخربوا كنيسة قط ولم يحرقوا ديرا فتعاليم دينهم السامية تمنعهم من ارتكاب ذلك ، ولو قارنا المسلمين بالشعوب التي كانت تسود غالة من فرنجة وقوط وبرجنديين يتبين لنا أن المسلمين كانوا أعظمهم حضارة وأبعدهم عن السلب والنهب وهذا هو القول الذي اتصف به المسلمون في كل حروبهم السابقة واللاحقة^(٣).

ومما يؤكد هذا الرأي ما ذكره السير توماس أرنولد^(٤) عن عدالة الإسلام وأهله

(١) جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادى : تقديم : إسماعيل العربى ، ص ٥٨ - ٥٩ .

Sherwani : op. cit., P. 40 - 41 .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٥٥ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، وانظر نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم لجيش زيد بن حارثة في غزوة مؤتة وقد وصفت دستور الحرب بين المسلمين وغيرهم في دار الحرب ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٤) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، وإسماعيل النحرارى ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

حيث يقرر أن الرهبان والراهبات عاشوا فى أمن وطمأنينة لم يتعرض لهم حكام المسلمين بسوء ، ولم يكن ثمة ما يدعو القسيس إلى إخفاء شأته الدينية وفى الوقت نفسه لم تزل المناصب الدينية دون تقلد المسيحية المناصب العالية فى البلاط .

هذا ما ذكر عن الأحداث فى ولاية عذرة بن عبد الله الفهرى ، ولا يمكن أن أسلك أعماله وما قام به فى سلسلة الفتوحات المنظمة التى قام بها الولاة فى غالة ، وإنما يعد نشاطا عاما قام به المسلمون من قاعدتهم التى استقروا فيها أريونة ومن بعض قواعد جنوبى غالة مثل تولوز وطرسونة ، أما الفتوحات الثانية المستقرة المعروفة فتبدأ بعد تلك الفترة^(١).

فقد تتابع ولاية الأندلس من قبل أمراء إفريقية ، « فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي أنفذه بشر بن صفوان الكلبي وإلى إفريقية لما طلب منه أهل الأندلس واليا بعد مقتل عنبسة بن سحيم فقدمها يحيى بن سلمة آخر سنة سبع ومائة وأقام فى ولايتها سنتين ونصف ولكنه لم يغز وقدم إليها عثمان بن أبى نسعة اللخمي واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب إفريقية وعزله لخمسة أشهر بحذيفة بن الأحوص القيسى فوافاهما ستة عشر ، وعزل عاجلا يقال لسنة من ولايته واختلف هب تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان^(٢) .

ولا يذكر لهؤلاء الولاة من مجهودات خلف جبال البرتات أو أى محاولات للوصول بالمسلمين إلى أماكن جديدة ، بل تعد تلك الفترة من أسوأ الفترات التى امتلأت بالفتن والمشاكل ، إذ ما يولى وال واحد حتى تقام الدعاوى ضده فيعزل ويولى آخر بدلا منه . وتميزت تلك الفترة بالعدد الكبير من الولاة ، ففى أقل من سبع سنوات تعاقب على الحكم سبعة من الولاة وكان تعاقبهم على هذا النحو سببا فى تفاقم

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٦١ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٤ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣١ ، ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ، ص ١١٨ - ١١٩ ، المقرئ : نفع الطيب المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ ، ابن أبى الضياف ، انخاف أهل الزمان ، ص ٨٩ .

الخلل بين الزعماء والقبائل وتخلف المسلمين عن الخروج إلى الجهاد خلف جبال البرتات^(١) وتلت تلك الفترة من الجمود العسكري الذى حفل بالأزمات والمشاكل الداخلية ، ففقد الاستقرار السياسى ولعبت العصبية القبلية دورها الكبير دون أن يتمكن أحدهم من الاحتفاظ بمنصبه أشهراً ومعظم هؤلاء الولاة لم يتركوا أثر يذكر فى تاريخ الأندلس أو غالة ، بل كان لتخلفهم عن الفتح والجهاد أثر كبير فى تشجيع الفرنجة على مهاجمة القواعد الشمالية ومشجعا للخوارج من القوط والبشكنس على تنظيم وإعداد قواتهم للتصدى للمسلمين^(٢).

رابعا : جهاد الهيثم بن عبيد الكنانى :-

تولى الهيثم بن عبيد الكنانى بعد فترة لم يستقر فيها وال مدة تمكنه من التنظيم فيذكر ابن بشكوال « أن الهيثم ولاء عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب إفريقية ، فى الأندلس فى المحرم سنة إحدى عشرة ومائة ، وقيل أنه ولى ستين وأياما وقيل أربعة أشهر وكان بقرطبة^(٣) .

أما ابن عذارى فيذكر أن ولايته كانت عشرة أشهر^(٤) . أما ابن تغرى بردى فيذكر فى حوادث سنة ١١١ هـ أن عبيدة بن عبد الرحمن عامل إفريقية ولى عثمان بن أبى تسعة على الأندلس واستعمل عليها الهيثم بن عبيد الكنانى^(٥) .

ولقد كانت سياسة الهيثم سياسة مبنية على التحدى والعصبية الضيقة ولا يستغرب ذلك عندما نعرف أن الهيثم قد فرض على ولاية الأندلس أثر استلام القيسين للسلطة

(١) للمزيد من المعلومات حول سبب نفاقم المشاكل وكثرة تولى الولاة فى تلك الفترة . انظر الفصل السادس عن أسباب تخلف جهاد المسلمين وراء البرتات وما نتج عنه من مشاكل أدت بانتهاء الدولة تدريجيا .

(٢) إبراهيم ييغون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٩٦ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص ١٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

فى القيروان بقاءة عبدة بن عبد الرحمن السلمى الشديء التعصب لقيسيته ،
وامتدت آثار هذه الحركة إلى الأندلس ففرضت عليها سنوات من الحكم القيسى
المضطرف (١) .

أما شكيب أرسلان فيصف الهيثم بن عبدة بأنه كانا شاميا فظا بخيلا جاسيا ،
فأسف شيوخ العرب والبربر وساءت ملكته فيهم (٢) ، فاتحدوا عليه فألقى بهم فى
السجون وأهلك بعضهم .

ولكنه يذكر له أنه قمع الفوضى ورد النظام وكان حازما قوى العزم ولكنه كان
صارما شديء الوطأة فطارء الشغب والفوضى بشدة واضطهد معظم الزعماء والمخالفين
له فى الرأى وبالأخص اليمنية وقام باضطهادهم ومطاردتهم (٣) .

ثم بعد القضاء على المشاكل توجه الهيثم للفتوحات ، فسار بجيشه إلى الشمال
ليقمع الثورة التى بدأت تظهر فى الولايات الجبلية واستأنف الغزو فعبى جبال البرقات
مخترقا مقاطعة سبتمانيا إلى وادى الرون ففتح ليون Lyon وماسون Macon وشالون
Chalon على نهر الساون واستولى على أوتون Autun وبيون Beaune وأراضى
برجنديا Burgunda الجنوبية .

ولكن هذا الفتح الكبير لم يكلل بالنجاح ولم يكن له أثر ثابت ، نتيجة لاختلاف
القبائل وتمرد البربر مما أدى إلى تفكك الجيش الفاتح وإلى تخلف المدن المفتوحة عن
قبضة الفاتحين فاضطر الهيثم للعودة إلى الجنوب ولكنه لم يلبث أن توفى بعد أن
حكم الأندلس مدة عامين (٤) .

(١) إبراهيم بوضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٩٦ ، رينهارت دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، ترجمة
حسن حبشى ، ج ١ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ،
ص ٢٩٦ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١١٤ .

Codera : Narbon op. cit., P. 313 .

(٣) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٤) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٤ .

أما أرسلان : فيرى أن نهاية الهيثم كانت بسبب جوهر وظلمه رميه بالناس في السجون وذكر أنه كان من جملة هؤلاء المسجونين رجل يدعى زياد ابن زيد رفع شكواه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك واتهم الهيثم أنه يسير في سيره لا مناص من أن تنتهي ييوار الأمة وتجلب عليها الشقاء والنكبات فأرسل الخليفة محمد بن عبد الله وأمره بالتحقيق في الشكاوى بحق الهيثم وأمره أن ينزل به العقاب ويعزله ويقتص منه إذا ثبت اجراءه فجاء محمد هذا ومضى بالتحقيق اللازم على أحسن وجه ، وعندما ثبت لديه جرمه ألقاه في السجن وأطلق الذين نكبهم ورد إليهم أموالهم ، وقيل أنه نفاه إلى إفريقيا ، وأمر بتطويقه في شوارع قرطبة راكبا على حمار تشهيرا له ونكالا وفاقا^(١).

أما المصادر العربية المعتمدة فتذكر أن الهيثم بن عبيد غزا أرض مقوسة^(٢) وافتتحها وقيل أرض منوسة^(٣) وقيل أرض مقوسة^(٤).

ولقد اختلف المؤرخون المعاصرون حول هذا الاسم هل اسم منوسة هذا لشخص ؟ أو مكان ؟ في حين أشارت بعض الدراسات الأوروبية الحديثة أن منوسة اسم لأحد القادة المسلمين من البربر دخل الأندلس مع طارق بن زياد وعين واليا لشنال الجزيرة الأندلسية ، وأرادوا نقاشا حول شخصيته وأحداثا تتعلق به في ولاية عبد الرحمن الغافقي بلبت المصاهرة مع أودو دوق اكتيانية ثم كان مصرعه بأيدي فرقة من الجند المسلمين^(٥) كما خلطت الرواية بينه وبين عثمان بن أبي نسعة^(٦) وتحكى بعض الروايات أن اسم منوسة أو مقوسة اسم لمكان فهل تكون مدينة ماسون Macon الفرنسية الواقعة شمال مدينة ليون Lyon الواقعة على نهر الرون Rhone هي المنطقة

(١) أرسلان : غزوات العرب ، ص ١١٤ .

(٢) المقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

(٥) أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٨ - ٦٩ .

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ص ٩٩ - ١٠١ .

(6) Sharwani : op. cit., P. 45 .

التي توصل إليها الهيثم^(١).

في حين يرى آخر أنه اسم قائد بربرى له علاقة باودو في زمن عبد الرحمن الغافقى^(٢).

ونرى أن هذا الإبهام قد أوقع المؤرخين جميعا في خلاف حول الموضوع كله فيرى كوندى Conde وريينو Reinau ودوزى Dozy وبرفنتسال Provencal أن مونوسه زعيم مسلم بربرى ثار على المسلمين في نواحي بنبلونه ، وعارض هذا الرأي جماعة من الإسبان وعلى رأسهم كوديرا Codera فيرى أن مونوسه ما هو إلا تحريف لاسم مكان هو منريسا Manresa معتمدا على أن لفظ مونوسه قد ورد في المصادر العربية مبهما دون تحديد بينما يرى ايزيدور الباجى Isidoro Oacence أن مونوسه اسم لشخص بربرى لعب دورا خطيرا في العلاقات بين المسلمين والنصرى^(٣).

وعلى كل حال فإن الأراضى التي غزاها الهيثم بن عبد الكنانى تؤكد أن هذا الوالى قد سار على سنة من سبقه من الولاة في بلاد الأندلس ورغم هذه الآراء المختلفة التي أوردها المؤرخون والتكهنات التي تكهنوها حول هذه الشخصية أو المكان ، إلا أننا نرى أن كل هذه الآراء مجرد احتمالات لا أساس لها من الصحة وأن جميع الأدلة التي أوردها لا تأتى ببرهان أكيد ، يوضح لنا طبيعة هذه الشخصية أو هذا المكان .

ويرى هذا الرأي أيضا خالد الصوفى حيث يذكر أن مونوسه شخصية وهمية لا أساس لها من الصحة .

كما أن د. الحجى يشاركنا الرأي فيرى أن جميع ما ورد عن مونوسه يعتبر من قبل الأفاضل الوهمية ويرى أن اسم مونوسه ليس اسم إنسان وإنما اسم لمكان^(٥) غزاها الهيثم في بلاد غالة .

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٥١ وهذا يستتارل علاقة أودو بمونوسه في الفصل الخاص بعبد الرحمن الغافقى - للمزيد انظر الفصل الرابع .

(٣) عن حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٤) خالد الصوفى : تاريخ العرب في الأندلس ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٥) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٩٣ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الرابع

جهاد عبد الرحمن الغافقي في غالة

أولاً : اتجاه الغافقي إلى قلب غالة .

ثانياً : معركة بلاط الشهداء واستشهاد الغافقي .

ثالثاً : الأعداد التاريخية لمعركة البلاط .

أولاً : اتجاه الغافقي إلى قلب غالة : -

أولاً : إتجاه الغافقي إلى قلب غاله :

عرفنا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أثناء عودته بجيش المسلمين من بلاد الفرنجة بعد مقتل قائدهم السمع بن مالك الخولاني وكان عبد الرحمن قد بلى بلاد حسنا في تولوز (طولوشه) فأجمع جند العرب وهم لا يزالون فوق أرض المعركة على انتخابه قائدا لهم فتولى عبد الرحمن جمع شتات الجيش والرجوع به سالما إلى الأندلس وتولى مقاليد الحكم فيها ، ولكن تلك الفترة كانت مؤقتة فلم تستمر إلا شهرين فقط تولى بعدهما وال جديد هو عنبسة بن سحيم الكلبي . وكان من الطبعي أن يتحول ذلك القائد المؤقت إلى وال دائم على الأندلس ، فالولاية آنذاك كانت تجمع بين القيادتين العسكرية والمدنية وبعد أن أثبت الغافقي قدرته العسكرية برجوعه بالجيش إلى الأندلس ، اختاره أهلها وال عليهم دون انتظار أمر الخليفة من دمشق بتعيين وال جديد مكان السمع وكانت هذه هي فترة ^(١) ولايته الأولى على بلاد الأندلس .

أما ولايته الثانية فقد كانت بعد وفاة الهيثم بن عبيد الكنانى فيذكر المؤرخون ^(٢) أن عبيدة بن عبد الرحمن السلمي كان واليا على إفريقيا والمغرب قبلغته وفاة الهيثم بن عبيد كما بلغه أن أهل الأندلس قدموا على أنفسهم محمد ابن عبد الله الأشجعي ^(٣) ولكنه لم يوافق على تعيينه ووجه إلى الأندلس عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي المكي ^(٤) فاستبشر أهل الأندلس به ورحبوا بقدومه . فقد كان عبد الرحمن من أعظم

(١) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢١٧ . عمر فروخ : العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، ص ٩٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ج ١ ، ص ٢١٦ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ١١٩ . الناصرى : الاستقصا ، تحقيق جعفر ومحمد الناصرى ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٥ ، ص ١١٩ ، ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٤) يقال له الغافقي : نسبة إلى غافق قبيلة من الأزد ، وهو ابن الشاهد بن عك بن عدنان بن عبد الله ابن الأزد ، وقيل بل هو غافق بن الحارث بن عك بن الحارث بن عدنان ، وإليهم ينسب الحصن المعروف بغافق فى الأندلس على مسافة مرحلتين من قرطبة ، وقيل أنه حصن بالأندلس من أعمال فحص البلوط .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٩ ، أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٢٤ .

قواد المسلمين فى الأندلس عرف بحسن القيادة والشجاعة وقوة الإرادة والشكيمة والنزاهة والحياد وعد التعصب لعنصر أو فريق دون آخر ، لذلك قوبلت ولايته بفرحة عمت قلوب الناس على مختلف طبقاتهم ، فقد كان يطوف بالمدن ويستمع لشكاوى الناس ويحقق فيها ولا يميز مسلما على مسيحي واستطاع أن يعزل كثيرا من القواد والولاة الذين ثبت ظلمهم للرعية واستطاع أن يقوم بزيارة الكثير من المناطق الأندلسية المختلفة للاطلاع على شعونها وتنظيمها ، وعهد بإدارتها إلى رجال أكفاء قادرين وعادلين يقومون على السهر عليها ، وكان الغافقى مصمما على الثأر الذى منى به المسلمون فى السنوات الماضية فى غالة ، وكان فى نيته إخضاع هذا البلد كله ، وكان يفكر فى مد حدود الفتوحات الإسلامية إلى أوسع مدى ممكن^(١) . كما أنه قام برد الكنائس وبعض الأملاك إلى النصارى واستطاع أن يفرض الضرائب على الجميع بالتساوى ، واهتم بتقوية الجيش فضم إليه عناصر جديدة وحسن الثغور واستعد لإخماد أية بادرة للثورة ، وحرص على أن يبقى نفسه دائما بعيدا عن التورط فى الانقسامات الداخلية السياسية لذلك وصفه شكيب أرسلان : بأنه من أبطال الإسلام المعدودين وأنه من أفذاذ الرجال جمع الشجاعة والإقدام والعدل فى الأحكام والسهر على مصالح الأنام وبعد النظر فى السياسة^(٢) .

ويذكر المقرئ عن ابن يشكوال « أنه كان من التابعين الذين دخلوا الأندلس وكان يروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما »^(٣) .

كما وصفه الحميدى : « بأنه حسن السيرة والعدل فى قسمة الغنائم »^(٤) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٤٠ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ج-١ ، ص ٨٤ - ٨٥ ، إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٤٩ ، خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢١٧ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٢٦ ، رينو : الفتوحات الإسلامية ترجمة إسماعيل العرى ، ص ٦١ .

Sherwani : op. cit., P. 42 - 43 .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، ج-٣ ، ص ١٤ .

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٤٧ .

وكان عبد الرحمن من الذين دخلوا الأندلس للجهاد والرباط وكان هؤلاء بضعة وعشرين شخصا وهم الذين أسسوا جامع قرطبة ومن أشهرهم حنش بن عبد الله الصنعاني وموسى بن نصير وغيرهم^(١).

روى عن عبد الله بن عمر ، كما روى عنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعياض بن عياض وسواهما^(٢).

ومن هذه الروايات مجتمعة نستطيع أن نستنتج أن الغافقي كان نسيجا وحده^(٣) والدليل على ذلك تولية عبدة بن عبد الرحمن القيسي عامل إفريقيا المتعصب لقيسيته لعبد الرحمن على الأندلس على الرغم من أنه يمني من غافق وخصوصا إذا علمنا أن تلك الفترة غالبا ما كانت تسير على نظام تولية اليمنيين في كل من إفريقيا والأندلس أو تولية القبسيين بحسب ميول وإلى إفريقيا وقد عرفنا أن عبد الرحمن كان رجلا من طراز آخر من الناس مسلما سليم الإيمان حريصا على أصول الشريعة وتحري الحق والعدل لا يحفل في سبيل الله بغضب من ييدهم الأمر ، ولا يخشى في سبيله لومة لائم وفي هذا يذكر ابن عبد الحكم وغيره من المؤرخين عن إحدى غزوات عبد الرحمن « وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد ، فأمر

(١) حنش بن عبد الله السبائي الصنعاني رضى الله عنه من أهل الفضل والدين يروى عن جماعة من الصحابة منهم على وابن عمر ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وروى عنه الحارث بن يزيد وابن أنعم وقيس بن الحجاج وعامر بن يحيى ، وغزا المغرب مع روفيع ، وشهد غزوات الأندلس ، وموسى ابن نصير له بإفريقيا آثار ومقامات وسكن القيروان واختلط بها دار ومسجد وينسب إليه ، الآن في ناحية (باب الريح) وتوفي بإفريقية سنة مائة . انظر المالكي : رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ، ص ١٢١ ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٢٦٠ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٧ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٧ . الغساني : رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، ص ١١٢ ، المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس ، ص ٩٢ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٧٤ ، ابن الفرض : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٥٦ ، الضبي : بقية الملتصم ، ص ٣٦٦ ، ابن الآثير : الكامل ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، المراكشي : المعجب ، ص ٣٧ .

بها فكسرت ثم أخرج الخمس وقسم سائر ذلك بين المسلمين الذين كانوا معه فبلغ عبيدة فغضب غضبا شديدا فكتب إليه كتابا يتوعده فيه فكتب إليه عبد الرحمن أن السماوات والأرض لو كانتا رتقا لجعل للمتقين منها مخرجا^(١).

وهذه إشارة إلى مدى رفعة وسمو خلقه ووقوفه عند حكم الله وفقهه في دينه^(٢).

ولقد اختلف في سنة ولايته وفيمن ولاه . فيتفق الحميدى والمراكشى والضبي على أن ولايته كانت في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقيا^(٣) أما القرى فيذكر أن عبد الرحمن الغافقى قدم من قبل بن الحبحاب صاحب إفريقيا فدخلها سنة ثلاث وعشرة^(٤) في حين يذكر ابن عذارى أنه تولى في صفر سنة ١١٢ هـ^(٥) ويرجح ولايته سنة ١١٢ هـ استنادا على رأى الأخير الذى سرد سنوات جميع الولاة من قبله .

ونعود لولاية الغافقى فنذكر أنه كان خير من تولى قيادة الأندلس في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المسلمين فيما وراء البرت فقد قرر بعد التنظيمات التى أقرها إكمال فتوحات المسلمين في غالة فهو لم ينس مصرع السمح بن مالك الذى قتل أمامه فكان مقتله مشيرا للأشجان دافعا له للانتقام من هؤلاء الفرجة مرغبا في الفتح لرفضهم الإسلام . لذا يعد عبد الرحمن الغافقى من طراز يختلف عن سبقه من الولاة فإذا كان عنبسة بن سحيم من الرجال الذين تستهويهم الغارات البعيدة المدى والضرريات

(١) إشارة إلى آية (٣٣) سورة الزنباء « أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس ، ص ٩٢ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٧٤ ، الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٦٦ ، ابن الأثير الكامل ، ج ٤ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ، الضبي : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ ، المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٤) القرى : نفع الطيب ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، ص ٢٢٠ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

المدوية فإن الغافقى من طراز آخر حتى شبه بحسان بن النعمان^(١) أى من الفاسحين الذى يرسمون خطة الفتح الثابت المستقرة فيعمد إلى مهاجمة مراكز القوة والمقاومة الفعلية لكى يتم له فتحها بخطى ثابتة ومستقرة وناجحة ليضمن انضمام تلك المناطق إلى حوزة الإسلام^(٢).

وكان الغافقى يدرك تماما أهمية المعركة القادمة فى مصير غالبية كلها ، وكان متحرقا ومتعطشا إلى تبليغ دعوة الله أو كما قيل يهتز شوقا إلى القتال ، وكان يعلم أنه مقبل على معركة حربية أشد خطرا من معركة طارق بن زياد فقد كانت ظروف طارق أفضل منه بكثير إذ كان التمهيد والاستعداد للفتح الإسلامى واضحة ، فالبلاد منقسمة على نفسها والثورات تحتاج إسبانيا شمالا وجنوبا ، وطارى يعتمد على الكثير من العناصر الساخطة لكشف عورات البلاد بالإضافة إلى اليهود الذين هلكوا لمقدم المسلمين وكانوا عاملا مساعدا على الفتح أما الغافقى فقد اختلفت ظروفه عن طارق لعدة أسباب مهمة منها : أنه وسط بلاد تختلف اختلافا واضحا عن بلاد الأندلس من حيث المناخ والسكان ، ولم يكن للمسلمين قواعد ثابتة يمكن أن يستجد عبد الرحمن منها بما يشاء من النجيدات ثم أن المسلمين توغلوا فى البلاد وأثقلوا أنفسهم بالغنائم التى كانوا يحملونها معهم ، وشكلت هذه الغنائم عبء كبيرا عاق سرعة الفتح ، وإن كانوا يقصدون من هذه الغنائم إضعاف عدوهم وتقوية مراكز القوة الإسلامية^(٣).

وأخذ الغافقى منذ البداية يتطلع إلى إقليم سبتمانيا Septemania ورأى أن سلطة

(١) هو حسان بن النعمان بن عدى بن مغيث بن عمرو مزيقيا بن عامر بن ماء السماء بن الأزد ، كان من التابعين ، وقد حدث عن عمر بن الخطاب وكانت له مكانة مرموقة عند بنى أمية حتى أطلق عليه الشيخ الأمين ، أرسله عبد الملك بن مروان انتقاما لمقتل زهير بن قيس البلوى فما علم أحد أكفا منه . للمزيد انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣١ ، المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٣١ ، الناصري : الاستقصا ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ١٤٣ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٩ ، على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس ، ص ١١٨ .

المسلمين فيها لن تستقر طويلا بسبب أطماع الدوق أودو Eude دوق اكيثانيا Aquitania أما الهدنة التي حرص الدوق منذ عهد عنيسة على بقائها مع المسلمين فما هي إلا وسيلة ليتقى بها خطرهم حتى ينجلي موقفه مع قارله رئيس بلاط مملكة الفرنجة ولم يكن إحساس عبد الرحمن من قبيل الوهم وإنما جاء نتيجة للخبرة والدراسة وحسن الدراية ، فهو الذى شهد قوات الدوق أودو تقف فجأة أمام السماح بن مالك ، وهو الذى قاد فلول الجيش إلى الأندلس بعد مقتله وهو أيضا الذى علم كيف لقي عنيسة مصرعه غدرا على يد الفرنجة ، لذا لا بد أن يكون الهدوء الذى ساد سبتمانيا مقدمة للغدر مرة أخرى ولا بد أن تكون هناك خطة مرتبة لهؤلاء لمباغطة المسلمين حينما يجدون فى أنفسهم القوة لاجتياحهم ، ولم يكتف الغافقى بهذا الإحساس بل بدأ يراقب تحركات الدوق ومحاولاته للتقرب من قادة المسلمين خفية . وسرعان ما جاءت الأخبار بما ينبئ بصدق مخاوفه من اتصال أودو بالمسلمين^(١) .

وتذكر بعض الروايات أن أودو^(٢) دوق اكيثانيا نتيجة لقوة المسلمين رأى أن يفاضهم ويهادنهم خوفا من هجومهم عليه ، وهناك روايات تحدثنا عن صلته بالعرب وصلته بثورة مونوسه Munuza .

أما عن علاقة أودو بالمسلمين وكيف أنه زوج ابنته بالزعيم البربري لكى يأمنهم فيروى الدكتور حسين مؤنس أن هذا رأى فيه ضعف لأن مونوسه قام بثورته تلك حينما بلغته أخبار ومظالم العرب فى نفس الوقت الذى قامت فيه ثورة البربر ولم تقع هذه الثورة إلا بعد حركة مونوسه بعشر سنوات لذلك لا يستقيم هذا رأى . ربما استطعنا القول بأن مونوسه قام بهجومه على العرب نتيجة لسوء معاملتهم للبربر وكان أودو حليفا له وحميا له قبل أيام الغافقى أى فى أيام السماح أو أيام عنيسة وربما كان هذا سببا فى هزيمة السماح ومما يؤيد هذا رأى أن عنيسة حينما قام بتوسعه فى غالة

(١) العبدى : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتوريش ، ص ١٩ - ٢٠ .

سار إلى بلاد الدوق ثم استولى على قرقشونه ومنها انحرف إلى سبتمانيا ثم سار إلى نيم^(١) ويرى بعض المؤرخين المعاصرين أن هناك صداقة قامت بين أودو وأحد قادة المسلمين من البربر وكان حاكما للمناطق الشمالية من الأندلس بما فيها منطقة جبال البرقات ويتبعه إقليم سبتمانيا ، وزادت تلك الصداقة حين تزوج مونوسة ابنة الدوق لامبيجه Lampegie وقيل مينين Minine وصارت المصاهرة قناعا يخفى نوايا أودو فيما يزعمه من بطش المسلمين^(٢) ، ونال أودو ثمار هذه المصاهرة بأن عدل عنبسة عن الاقتراب من أراضيها تحت تأثير مونوسة واتجه إلى حوض الرون^(٣) .

ويروى آخر أن زواج منوسة كان من شقيقة بلاى الزعيم المسيحي الذي بدا في جمع قوى المسيحية ضد المسلمين في الأندلس^(٤) ويروى البعض أن مونوسة شخصية وهمية لذا تنهار القصة من أساسها^(٥) .

وإذا كان مونوسة هو والى الأندلس الذى تحدثنا عنه المصادر أن اسمه عثمان بن أبى نسعة وأن اسمه قد حرف على لسان الفرنجة فنطقوه بهذا الشكل^(٦) فإن ولاية عثمان هذا كانت على الولايات الشمالية من غالة من قبل الغافقى فحدثته نفسه بالاستقلال ونيز طاعة أميره ونظرا للخلاف بين العرب والبربر سمت نفسه لذلك فهادن أودو وتزوج ابنته وحارب المسلمين^(٧) .

فى حين يرى آخر أن عثمان بن أبى نسعة أرسله الغافقى وأمره بأن يشاغل العدو

(١) حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتوريش ، ص ٢٠ - ٢١ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٣٩ .

(٣) العدوى : ص ١٨٦ .

(٤) خالد الصوفى : تاريخ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٥) الحجبى : التاريخ الأندلسى ، ص ٨٥ .

(٦) خير الله طلفاح : معارك العرب الكبرى ، ص ١٦٢ .

(٧) بطرس البستاني : معارك العرب فى الشرق والغرب ، ص ٧٥ .

بالغارات حتى يقدم عبد الرحمن ، ويذكر أن الغافقي أساء الاختيار في عثمان هذا لأن عثمان كان يحسد عبد الرحمن الغافقي على ولايته وكان يحز في نفسه أن يعمل تحت امرته بعد أن كان أميراً على الأندلس كلها .

وتزعم الروايات أن عثمان أسر في إحدى غاراته ابنة أودو الرائعة الجمال فأعجب بها وتزوجها ونبذ عصا الطاعة وأصبح عينا لاودو على المسلمين^(١) .

ويرى آخر أن منوسة ما هو إلا الزعيم البربري عثمان بن أبي نسعة وسماع الفرنجة تحريفاً مونوزة وأنه ولي الأندلس فترة قصيرة تقدر بخمسة أو ستة أشهر عام ١١٠ هـ واشتهر باليسالة والتجدة في الحروب غير أن أصحابه حقدوا عليه ونقلوا أخباراً عنه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فعزله وولاه بعد عزله حكم منطقة البرتات وكان يعرف بأمير الثغر^(٢) وقد أسر ابنة الدوق في إحدى غزواته ثم تزوجها ونهاية القصة معروفة كما أوردها من قبل^(٣) .

ويرى آخر أن منوسة كان كما تصفه الرواية النصرانية زعيماً قوياً شديد المراس وأن منوسة هو ما تصفه الروايات النصرانية المعاصرة (وهي وحدها مصدر التعريف عنه) فيكون من المشكوك فيه أن يكون منوسة هو عثمان ، ذلك أن عثمان كان زعيماً عربياً ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة ، ولم يتول إمارة الأندلس في تلك الفترة من عصر الولاة سوى زعماء العرب ولم تسند إلى أحد من البربر^(٤) فعثمان لم يكن من البربر^(٥) .

-
- (١) عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، طلفاح : معارك العرب الكبرى ، ص ١٦٤ .
(٢) المقصود بالثغر مدينة الباب الواقعة في إحدى ممرات جبال البرتات ، وهي تابعة لاسبانيا ، وفي شمالها حصن يظهر أنه مقر لأمير الباب من قبل المسلمين .
(٣) إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
(٤) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ٨٥ .
(5) Sarvedra : Estudio sobre la invasion d'e los arabesen espagna Madrid, 1882. P. 118 - leviprovencel V. I. P. 60 .
Codera : Estudios criticos de arabe espanoles volsi VIIIIX . P. 141 .
- Reinaud : op. cit., P. 34 .

وبالإضافة إلى ذلك تقدم إلينا الروايات النصرانية عن نهاية مونوسة ونهاية عثمان ،
فعثمان ولى الأندلس فى شعبان سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م واستمرت ولايته خمسة أشهر
ثم عزل ، ثم انصرف إلى القيروان فمات بها^(١) أما مونوسة فقد مات محارباً فى ساحة
القتال .

فى حين يرى آخر أن جميع الآراء السابقة التى وردت بشأن مونوسة وما قيل
بصددها مستبعدة ، فبمقابلة الروايات اللاتينية والإسلامية يمكننا القول بأن منوزا
Munnuz - منيز Munniz اللاتينى لم يكن اسماً لمكان وإنما كان لشخصية لم
تكن بربرية بل كانت عربية الأصل ونعتقد أنه لاجرح فى القول أن صاحبها هو المنيزر
الإفريقى الذى ورد اسمه فى المصادر الإسلامية ولأن قدم إلى الأندلس عام ٩٣ هـ /
٧١٢ م مع موسى بن نصير واشترك معه فى الفتح ، ولم يتول ولاية الأندلس وإنما
أصبح أميراً على إقليم اشتوريش وحده فيكون هو نفسه الرجل الذى أوفده موسى لمدينة
خيخون Jegione لفتحها واتخاذها قاعدة إسلامية لإقليم اشتوريش ، ثم مات مقتولاً
بها عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م أو عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م ، ولا محل هنا لخلط المؤرخين
بينه وبين عثمان ، ووجه الاعتراض يكمن فى أن عثمان هذا لم يقدم إلى الأندلس
عام ٩٣ هـ / ٧١٢ م مثل المنيزر وإنما قدم فى شعبان عام ١١٠ هـ / ٧٢٨ م ومع أنه
تولى ولاية الأندلس كلها وليس اشتوريش وحدها فإن ولايته لم تستمر سوى خمسة أو
سنة أشهر وعزل بعدها وظل بالأندلس حتى انصرف عنها عام ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م إلى
شمال إفريقيا حيث توفى هناك ، وذلك بعد مقتل منوزايا بإحدى عشرة سنة على
الأقل^(٢) .

ونعود إلى عبد الرحمن الغافقى الذى لم يقبل أن تكون المصاهرة سبباً فى صرف

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٦ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح المسلمين ، ص ٤٥ ، ابن
عذارى : ج ٢ ، ص ٢٨ وأن اختلف أكان موته بالقيروان أم بطنجة .

(٢) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ضد المسلمين فى الأندلس ، ج ١ ، ص ١٨٤ -
١٨٦ .

أى قائد مسلم عن حماية سبتمانيا من أى خطر يهددها فأمره أن يقوم بالإغارة على اكيتانيا فرفض مونوسه بالإضافة إلى ذلك كانت أخبار نشوب الخلافات بين العرب والبربر عاملا فى حقه على العرب ، فقرر عبد الرحمن التخلص منه لكنه بعد أن وصلت أخبار عقد هدنة بينه وبين الفرنجة ليصبح فى حل من تنفيذ أى حرب فى بلاد الغال ، وحمل مونوسه شروط الهدنة إلى الغافقى ، فعرف نواياه فأصبح المسلمون نتيجة لتلك الهدنة لا تصلهم أخبار عن تلك المواقع فى بلاد الغال ، فبادر الغافقى بإخماد ثورته وأسند الأمر إلى أشهر وأقوى رجاله فى الحرب ويدعى ابن زيان ، ولم يكن القضاء على مونوسه بالأمر السهل ذلك لأنه اعتصم فى جبال البرتات حيث جعل من إحدى مدنها الحصينة وهى مدينة الباب Cuidad de la Puerta الواقعة فى إحدى الممرات الهامة مركزا له وكشفت خطته تلك عن الخطر الذى يكمن للمسلمين فى اتصالهم بإخوانهم فى جنوب بلاد الغال إذا ما سيطر عليهم عدو لهم فى منافذ البرتات وممراتها ، ولكن ابن زيان استطاع التصدى له وطارده حتى أراده قتيلا سنة ١١٣هـ - ٧٣١م وأصبحت جبال البرتات وممراتها ثابتة تحت سيطرة الغافقى^(١).

ولا شك أن هذه الحركة التى بذل فيها الجيش الإسلامى قصارى جهده قد أرهقت الجيش وجنوده - فما لبثوا بعد خروجهم من هذه الفتنة التى حققوا فيها الانتصار الكبير الذى رد اعتبار المسلمين أن يبدأوا فى الاستعداد للقاء الأكبر . فقد كانت هذه الحركة (حركة مونوسه) ، سببا من الأسباب التى أدت إلى هزيمة الجيش فى موقعة بلاط الشهداء ، وكان الأولى بالقيادة الإسلامية بعد خروجها من هذه الفتنة أن تنظم صفوفها وتوحد قواها ، وتحمى ثغورها ثم تفكر فى الخروج إلى معركة أخرى ، ولكن المسلمين بقيادة الغافقى واصلوا جهادهم إلى معركة كبيرة هى معركة بلاط الشهداء فكانت الهزيمة .

(١) إبراهيم العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

ثانيا : معركة بلاط الشهداء واستشهاد الغافقى :

حرص الغافقى على إقناع جيشه بحتمية القضاء على مونوسة هذا الثائر الذى شكل خطرا كبيرا على الإسلام والمسلمين وأن فى القضاء عليه تطهيرا للجبهة الداخلية من الدسائس والفتن التى كان من الممكن أن تترك أثرها على مستقبل الأحداث ليس فى غالة وحدها بل فى بلاد الأندلس ، كما أنها كشفت النقاب عن حقيقة أخلاق الكونت أودو وسوء نيته تجاه المسلمين ، وجعلت المسلمين يستعدون استعدادا تاما لمواجهة أعدائهم متخذين خطة جديدة نظمها لهم وإليهم عبد الرحمن الغافقى .

وكانت الخطة قد أعدت على أساس تجميع الجيوش فى مدينة بمبلونه Pampona حيث قام الغافقى بالاحتفال بجنوده أعظم احتفال ليرفع من روحهم المعنوية . وقد تحركت الجيوش بعد أن اجتمعت فى بمبلونه متخذة طريقها إلى غالة مخترقا مدينة أرجوان Aragon (الثغر الأعلى) ونافار Navar (بلاد البكشنس) ودخل غالة متوجها إلى مدينة أرل Arles ويصف رينو تحرك الجيوش صوب غالة بقوله أن مؤرخى العرب أشاروا إلى هذا الحصار بدون تسمية هذه المدينة التى اكتفوا بوصفها ، وأنها تقع على ضفاف نهر كبير ، وهو أكبر نهر فى تلك البلاد كانت تصعد به السفن فى البحر ويظن مؤرخو الفرنجة أن حملة العرب على أرل لم تكن إلا خدعة قصدوا بها صرف نظر الإفرنج عن وجهة الحرب الحقيقية وهى الجبهة الشمالية^(١) .

وفى الواقع أن اتجاه الغافقى إلى أرل كانت له مبررات عدة فهو من جهة كى يخدع الدوق فلا يدعم ظهره فى سبتمانيا ضد أى هجوم مباغت ، ولأن أرل كانت قد خرجت عن طاعة المسلمين وتوقفت عن دفع الجزية^(٢) .

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٢٨ . رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ٦٤ . Sherwani : op. cit., p. 46 - 47 .

Levi-Provencal : op. cit., P. 60 .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٢٨ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٣٥ .

وبعد فتح مدينة ارل عبر المسلمون جبال البرتات ، وبدأ الغافقى يفكر فى خطوط جديدة لكى يتقدم بها داخل غالة ، فجرت محاولات عديدة لاكتشاف الطريق المؤدى إلى غرب البرتات Pyrenees وتقدم داخل غالة عابرا ممر الرونسفال Roncesvalles عام ١١٤هـ / ٧٣٢م والذى يطلق عليه باب شزورا^(١) متجها إلى اكيثانية Aquitania وفى طريقه استولى على تولوز Toulouse^(٢) وفتح مدينة غشقونيا^(٣) Gascony ثم التقى بقوات الدوق أودو فى مكان يلتقى فيه نهر الجارون Garonne بنهر دورنى Dordoniأ أو بالقرب منه^(٤) وكان اختيار الغافقى للممرات الغربية من جبال البرتات له ما يبرره وهو ضرب إقليم اكيثانيا وعاصمته بوردو ، ويبدو أن الطريق الذى اتخذه الغافقى فى حملته كان موجها للزحف على مدينة باريس ، وما ذكرته بعض المراجع من أن اتجاه الغافقى إلى غرب غالة للحصول على الغنائم لا صحة له ، لأن المسلمين فى جميع فتوحاتهم كان قصدهم إعلاء كلمة الله ونشر الدين الإسلامى فى بقاع الأرض وأن الغنائم التى يحصل عليها المسلمون بعد انتصارهم تكون لتقوية الجيش الإسلامى وإضعاف جيوش الأعداء .

وحاول أودو التصدى لعبد الرحمن الغافقى الذى استطاع أن يطوقه وأن يوقع به شر هزيمة وخسر اودو أعدادا كبيرة من جيشه ، ولم يكتف عبد الرحمن بما حققه بل استمر يطارده ويتبعه حتى وصل إلى عاصمته بوردو Bordeaux واستولى عليها بعد حصار قصير ، وفر الدوق مع عدد من أصحابه وجنده نحو الشمال وسقطت اكيثانيا بيد الجيوش الإسلامية^(٥) .

(1) Watt and Cachia : A history of Islamic Spain P. D. M. Dunlop : Arab civilization . A. D. 1500. P. 15 .

(٢) جون هامرمن : تاريخ العالم ، ص ٤٠٢ .

(٣) يورد رينو ان الغافقى جعل طريقه على أرغون ونافار داخل أراضى غاله من أوديه بيفور Bigor وبيرن Bearn انظر أرسلان : غزوات ، ص ١٢٩ ، رينو : الفتوحات ، ص ٦٥ .

(4) Levi Provencal : op. cit., P. 61 .

(٥) مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص ٥٠ - ٥١ ، إبراهيم العدوى : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .
= سالم : تاريخ ، ص ١٤٢ .

ويظهر أن عدد قتلى الفرنجة في هذه الموقعة كان أكثر من أن يحصى وأن الله تعالى وحده هو القادر على إحصائهم^(١).

ويلاحظ أن الغافقي في طريقه هذا لم يسلك الطريق المألوف الذي سار فيه العرب أثناء جهادهم في غالة وه طريق ساحل البحر المتوسط المؤدى إلى سبتمانيا وحوض الرّون بل سلك طريقا وعرا في وسط الجبال يفضى إلى قلب دوقية اقطانية مباشرة وربما قام بهذا العمل حتى لا يشعر به الدوق أثناء مروره لو عبر الطريق المألوف فاخترار هذا الطريق لمباغتته^(٢).

وأدرك الدوق أودر بعد تلك الهزيمة الساحقة عدم قدرته على الوقوف والتصدي للمسلمين وانقاذ ولايته منهم ، لذا أقدم على خطة جريئة ومفاجئة غير متوقعة للمسلمين ، وخصوصا أن الأوضاع في بلاد الغال لم تكن تحمل أحدا على أن

Cond : Historia de la cominacion de los Arabes en Espana Scada de vai-
ros Manusctitos Y. Memorias arabigas . 3 vds Madrid 1820 - P. 86. 87 .

(١) بالغ المؤرخون الأوروبيون فيما أحدثه المسلمون من خراب ونهب وسلب للأديرة والكنائس بروايات يشوبها الكثير من المبالغة والتحايل والتعصب الواضح الذي يصف مصائب غالة والنصرانية من جراء حملات العرب وتضعهم في صورة مشينة ونخزية متهمتهم بالوحشية والقسوة وتدمير ما يجدونه أمامهم ونهب وحرق دور العبادة والامتلاء على الكنوز والذخائر ودخول المدن الغنية بغرض نهبها ومسي حموعها وخراب ربوعها ، ولكن هذه الروايات لا يمكننا الاعتماد عليها إلا أن أقدم مدونتين وصلتنا مدونة ايزيدور الباجي Isidor Pacense ومدونة بلدة مواسياك Mossiac فقد كتبت الأولى بعد الحادث بعشرين عاما ، وكتبت الأخرى بعده بنحو قرن .

أما المدونات الأخرى التي وصلت فمعظمها مدونات متأخرة تشوبها روح القصص والأساطير ، وتشيد بالنصرانية ومعظم كتابها كانوا من رجال الدين والأخبار وهؤلاء لا يعتمد عليهم إطلاقا لما في كتاباتهم من حقد واضح على الإسلام وأهله ، وهذه المدونات جميعها لا يمكن أن تعد مصدرا موثوقا به .

انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٣ .

شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٢٩ .

(٢) إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٤٢ .

يتكهن أو يعلم بحدوثها أو معرفتها ، لذلك أقدم أودو على تلك الخطوة واتجه إلى قارله له رئيس بلاط مملكة الفرنجة يطلب منه العون والمساعدة ضد المسلمين ، ووجد شارل سيد القصر في المملكة الميروفنجية أن الفرصة مواتية لاستيلائه على دوقية أقطانية التي كان يفكر دوما في ضمها إلى أملاكه بالإضافة إلى جميع ممتلكات الدوق الأخرى ، وأن مصلحتهم أصبحت مشتركة أو على الأقل يجب أن يتحدوا حتى يخرجوا المسلمين من بلادهم وأدرك قارله أن خطر المسلمين أصبح مباشرا وموجها إليه خصوصا بعد أن اجتاحت المسلمون معظم ولاية أقطانية وأدرك أنهم لن يكتفوا بما حققوه بل سيستمر زحفهم وضمهم لجميع المدن وخصوصا بعد أن لمس من القواد الذين سبقوا الغافقى توجههم وغزوهم لإقليم برجنديّة^(١) .

وقد تبادر إلى أسماع شارل توغل المسلمين وتوسعهم وضمهم للعديد من المدن ، ولنا أن نذكر هنا ما رواه الحجازي في المسهب : وهو أن كثيرا من أمراء الإفرنج نزعوا إلى قارله وشكوا إليه الأضرار التي حلت بهم من المسلمين وقالوا له : ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب ؟ كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها ، واستولوا على بلاد الأندلس وعظيم ما فيها من العدة والعتاد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم ، فقال لهم ما معناه : الرأي عندي أن لا تعترضهم في خرجتهم هذه ، فإنهم كالسيل يحمل من يصادره ، وهم في إقبال أمرهم ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرئاسة ويستعين بعضهم على بعض^(٢) .

هذا هو موقف شارل مارتل حينما وصلت أخبار الكونت أودو ، ووصلته أنباء الزحف الإسلامي ، أما عن الغافقى فإنه قد استكمل مسيرته بعد سقوط أقطانية وارتد

(1) Levi-Provencal : op. cit., P. 61 .

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٥٧ .

إلى الرون واخترق برجندية Burgundia وفتح ليون Lyon وبيزانون Besanson ووصلت سرياه إلى مدينة سانس Sans التي تبعد مائة ميل عن باريس Paris وكانت هذه هي المرة الثانية التي يقترب المسلمون فيها من باريس إلى هذه المسافة فالأولى كانت أيام جهاد عنبسة الكلبي والثانية في أيام جهاد الغافقي . وارتد الغافقي إلى اللوار ليتم فتح المنطقة ثم يتجه بعدها إلى عاصمة الفرنجة ، وتم هذا السير الظافر الذي افتتح فيه الغافقي نصف غالة الجنوبي كله من الشرق إلى الغرب من بضعة شهور^(١) وبعد انتهاء الجيش الإسلامي من زحفه السريع أخضع السهل الممتد بين مدينتي تور^(٢) Tour وبواتيه Poitiers وفتح المسلمون بواتيه وأخذوا وغنموا ما فيها ثم اتجهوا إلى مدينة تور^(٣) الواقعة على ضفاف اللوار في الجهة اليسرى واستولوا عليها وأخذوا وغنموا ما فيها^(٤) .

أما مكان المعركة فلا يمكن تحديد موقع الميدان الذي دارت أحداث معركة بلاط الشهداء فيه بدقة ، فالرواية النصرانية مبهمة فهي تذكر أن المعركة كانت شمال بواتيه في اتجاه توراي على الطريق الروماني القديم بين البلدين وتذكره على الطريق لأن اسم المكان كما تحدده الرواية العربية باسم (بلاط الشهداء) يفهم منه أنها وقعت على مقربة من قصر كبير أي بلاط^(٥) .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ٩٠ - ٩١ .

Levi-Provencal : op. cit., P. 60 - 61 .

(2) Arthure. E. R. Book Preston. W. Slosson

Haward. R. Amderson The History of World Hall Bartett P. 188 .

(٣) تور كانت تمثل العاصمة الدينية لبلاد غالة ولعل اسمها تور لا يزال يحمل في طياته شيئا من معناها الأول أو مقامها القديم فكلمة Tour أو تورس Tours معناها الأبراج أو أبراج القلعة والحصون أو أبراج الكنائس التي تفرع منها الأجراس . انظر عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١٢٨ .

(٤) علل المؤرخون الغربيون ذهاب الغافقي لفتح تور للحصول على الكنوز الثمينة التي اشتهر بها دير سان مارتين Saint Martin الموجود في هذه المدينة ، وتسجوا حوله الأساطير التي تظهر مدى جشع المسلمين وكله ادعاءات واتهامات أوردناها فيما سبق . شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٠ .
P. M. Halt : The Cambridje history of islam. P. J6.

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٠ .

Levi-Provencal : op. cit., P. 61 - 62 .

ويذهب آخرون أنها كانت على مقربة من طريق روماني يصل بين شاتلرو -Cha- tellerault على نهر فيين فرع اللوار . وبواتيه وبينهما حوالي ثلاثين كيلو متر من مكان يبعد حوالي عشرين كيلو متر شمال شرق بواتيه وهناك رأى آخر يرى أنها بدأت عند مدينة تور Tour (١) . أما شكيب أرسلان فيرى أن الواقعة قد حصلت بالقرب من تور وهو ينقل عن لدرىق شميس الذي يدعى أنه ينقل عن مؤرخين عرب لم يذكر مصادرهم (٢)

أما مؤرخو الإفرنج فأكثرهم يذهبون إلى أنها وقعت في إحدى ضواحي بواتيه . ومن الممكن جمع الروايتين والقول بأن بداية المعركة حصلت بالقرب من تور وانتهت بقرب بواتيه .

ويحاول المؤرخون الأوروبيون أن يحددوا بالدقة مكان اللقاء الكبير بين الجيوش العربية والفرنجية فيذكر فيليب حتى أن اللقاء كان عند التقاء نهر الكلين Clain وفيين Vienne (٤) .

ويرى فريق آخر أنه من المحتمل أن تكون المعركة قد حدثت بجوار خندق -Fosse Le-Roi الواقع بين مدينتي تور وبواتيه حيث اكتشفت بعض السيوف العربية (٥) .

ومهما كان تحديد الباحثين لمكان المعركة إلا أنهم لم يختلفوا في أن المكان لم يخرج عن المنطقة الواقعة على نهر اللوار Loire وبواتيه الواقعة على كليين رافد فيين Vienne أحد فروعه ، والمسافة بين المدينتين ٩٠ كم (٦) .

وفي ذلك الوقت كان الجيش قد وصل إلى اللوار دون أن يشعر المسلمون بقدومه

(1) Conde : Historia op. cit., P. 20 - 21 .

(٢) أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣١ ، رينو : الفتوحات ، ص ٦٨ .
Sherwani ; 49 - 50 - 51 .

(٣) أرسلان : غزوات ، ص ١٣١ .

(٤) فيليب حتى : تاريخ العرب ، ص ٥٩٧ .

(٥) الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٦) مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية ، ص ٥٢ .

فى بادئ الأمر ، وكانت خطة شارل مارتل فى إرسال هذا الجيش إلى اكيثانيا عقب استتجاد أودو به رغبته فى التفرير بالمسلمين على التوغل فى البلاد حتى تطول خطوط تموينهم وتبتعد قواتهم عن مراكز إمداداتهم ونجداتهم ، وبالفعل فقد ابتعد المسلمون عن مصادر الإمداد فالمسافة بين دمشق وقرطبة مسافة هائلة ، كما أن المسافة بين اللوار حيث وقف المسلمون وبين قرطبة لا تساعد على مجيء أى امدادات سريعة^(١) .

فلما أراد الغافقى اقتحام اللوار فوجىء بالجيش الضخم يقوده شارل مارتل وكان هذا الجيش يتألف من القبائل الجرمانية المرتزقة من مختلف العناصر المتوحشة ومن أبرزهم قبائل السكسون^(٢) الوثنية والعصابات المرتزقة فيما وراء الراين يمتزج فيه المقاتلة من أم الشمال مع الجنود غير النظاميين وكانوا أقوياء أشداء لا يقلون عن العرب والبربر فى القوة والشجاعة والفتك ويملكون من الأسلحة الشئ الكثير ، أما مظهرهم الخارجى فهم يكتسبون جلود الذئاب ويسدلون شعورهم على أكتافهم العارية فكانوا كالوحوش منظر^(٣) .

ويصف مؤرخو الفرنجة هؤلاء الأقوام بأنهم جنود أجلاف أقوياء يحاربون شبه عراء من مثل هذا الجو البارد ، وكانت أيديهم كالحديد ترسل ضرباتها القاصمة فى سرعة وقوة ، وكان هؤلاء من الفرنجة الساليين ، ومن الأقوام البدوية التى لا تقل عن العرب صلابة وضجاعة ، فقد مهدوا بحرايبهم وصدورهم غاله كلها وغلبوا البرجنديين

(1) Gibbon : The history of the decline and fall of the roman - empire P. 802 - 803 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ١٤٣ ، جون هامرتن : تاريخ العالم ، ص ٤٠٢ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٩٠ .

(٢) السكسون : وتنقسم هذه الشعوب الوثنية الشديدة المراس إلى أربعة أقسام الوستغاليين الذين يسكنون بالقرب من جبهة الفرنجة وبجانبهم شرقا التجيريين ، ثم اليستيفاليين ثم النوردلبيجيين الذين يسكنون حول الألب وهم اخطر وأقوى اجناس السكون .

Oman . c. the dark ages. P. 349 .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ٩٧ ، المحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٠٢ .
Gibbon : op. cit., p. 803 .

والقوط الغربيين وبقايا الرومان ودانت لهم الكثير من الجماعات لامتبيرة ، واستطاع شارل أن يجمع الناس حوله بالقوة تارة وبالحيلة تارة أخرى حتى استطاع أن يحشد كل هذه الإمكانيات البشرية والمادية الهائلة لمقابلة الجيوش الإسلامية بنفس الروح المتطلعة والمتعطشة للقتال^(١).

فارتد شارل مارتل من ضفاف النهر إلى السهل الواقع بين مدينتي تور وبواتييه ثم عبر اللوار غربى تور وعكسر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامى بأميال قليلة بين كل من نهري كليين وفين فرعى اللوار^(٢).

وكانت كل هذه المقدمات بداية الصراع بين الطرفين حتى حدث الاصطدام بينهم أى بين طلع الجيش الإسلامى بقيادة عبد الرحمن الغافقى وبين الجيش الفرنجى بقيادة شارل مارتل فى شعبان سنة ١١٤ هـ الموافق الثانى عشر أو الثالث عشر من شهر أكتوبر عام ٧٣٢ م . وكان كلا الفريقين يشعر بخسرة هذا الصراع وأهميته . لذلك لم يتقابلا ويشتبكا فى الحرب بسرعة بل استمررا عدة أيام وهما يدوران ويتناوشان بل إن هناك اختلافا بين المؤرخين حول من الذى بدأ المعركة ؟ هل كان المسلمون هو الذين بدءوا الهجوم أم الفرنجة ؟ وهناك روايات تذكر أن الفرنجة هم الذين أخذوا زمام المبادرة وبدأوا هجومهم الكاسح بكل ما يملكون من عدة وعتاد فى محاولة للقضاء على المسلمين وتثبيت جهودهم ، ولكن الفرنجة لم يستطيعوا تثبيت قواهم بل بدا المسلمون متفوقين عليهم بما يتحلون به من الثبات وقوة روحهم المعنوية وعدم خوفهم من الموت وكانت هذه الصفات عند المسلمين تفوق نظيرتها عند الفرنجة ، وأحسن العرب البلاء^(٣) جهاد فى سبيل الله .

وهناك من يذكر أن المعركة استمرت ثمانية أيام وأن المسلمين هم الذين بدأوا

(١) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٢) عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام ، ص ٥٠ .

(٣) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٤ .

القتال فحدثت مناوشات قليلة في اليومين الأولين ، ثم تحول القتال إلى صدام مروع ورجحت كفة المسلمين ولكنهم عندما حاولوا اختراق صفوف الفرجة ذهبت محاولاتهم عبثا إذ تماسك الفرجة ومن معهم من الجيوش كالأسوار المنيعه ، ولم يتركوا للمسلمين مجالا لاختراقها^(١) وفي هذا الصدد يذكر رينو أن المسلمين هم الذين بدءوا القتال وكان الفرخ قادمين من حروب اتسق لهم فيها النصر فكانت حماستهم تغلى في مراجلها ويزيدها فيهم وجود شارل مارنل الذي كان كلما ظهرت ثلثة خف وسدها بنفسه ، وقد هاجم المسلمون بخفة حركاتهم على الخيل هجمات شديدة محاولين بها خرق صفوف الإفرنج . فكانوا يجدون أمامهم صفوفًا أشبه بالجدران في ثباتها فكانت تتكسر عليها حملات العرب ، فاستمر القتال أول يوم طول النهار ولم يحجز بينهم سوى الظلام ، وفي اليوم التالي تجدد القتال ورخصت النفوس في سوق المنايا وحمل المسلمون حملات البائسين إذ لم يكونوا ينتظرون من الإفرنج مثل هذا الثبات ولكنهم لم ينالوا منهم وطرا^(٢) .

وهكذا اثبت الفرخ للمسلمين ثباتا كبيرا ويحلل الصوفي ذلك الثبات قائلا : إن جند العرب كلهم فرسان فتمكنوا من إزالة الصفوف الأولى لجند الفرجة بيد أن هؤلاء كانوا من الكثرة بمكان وقد رصوا صفوفهم على شكل مربعات ، فكلما أزيل صف ظهر صف بعده وهكذا وهو أسلوب جديد للحرب اتخذته الفرجة^(٣) .

(١) أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣١ .

Reinaud : op. cit., p. 49 .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربي ص ٦٩ .

Sherwani : op. cit., P. 52 .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

P. M. Holt : The Cambridge history of islam P. 94 - 95 .

W. Montgomery : The Magest that was islam P. 41 .

Edward James : The Origins of france . P. 151 .

هامرتن : تاريخ العالم ، ص ٤٠٣ - محمد عبد الله عنان : مواقف خامسة ، ص ٥١ - ٥٢ ،

مطلق : حضارة العرب ، ص ٣٩ ، مطلق : معارك العرب الكبرى ، ص ١٦٣ .

(٣) خالد الصوفي : تاريخ العرب ، ص ٢٣٤ ، حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٧٤ .

وبعد تلك المناوشات التي استمرت عدة أيام حدث بعد ذلك أن اندفعت فرقة من فرسان الإفرنج وقامت باختراق صفوف المسلمين ثم اندفعت إلى خلف الصفوف حيث غنائم المسلمين المتراصة هناك وسببت هذه الحركة ارتباكاً كبيراً للجيش فصاح أحدهم ينبه إلى خطر ضياع الغنائم ووقعها في أيدي العدو .

وبلغ خبر هذا الهجوم المسلمين الذين كانوا يحاربون في ميمنة الجيش الإسلامي وسميرته فتراجع الكثير منهم إلى المعسكر بغية انقاذ الغنائم من أيدي الفرشجة دون إذن من القائد العام .

وتدفق المسيحيين متجهين إلى الخلف مما أدى إلى أن دب الخلل والوهن بين الصفوف ، ويبدو أن هذه الحركة وهي الاعتداء على مؤخرة الجيش حيث الغنائم ما هي إلا حركة مدروسة قام بها الدوق الذي كان يعلم جيداً موضع تلك الغنائم ونقطة ضعف المسلمين في الاحتفاظ بها خصوصاً أنهم كانوا قد ظفروا بها خلال انتصارتهم الموققة حتى وصلوا إلى تور فوضعوها وراء خطوطهم فأراد أن يشغلهم بها ، وكان يعلم مدى كثرتها وما سببته من ثقل على المعسكر ، وقد قدر الغافقي خطورة هذه الأثقال والغنائم التي حملها وجرها المسلمون وراءهم ومدى ما تثيره في نفوسهم من إنشغال وحرص على أن يحملهم على تركها أو على الأقل ترك جزء منها لتسهيل مهمة انتقالاتهم ولكنه لم يشدد في ذلك خوفاً من التمرد والخروج عليه^(١) .

ويعلل أحد المؤرخين تصرف جند المسلمين قائلاً : حينما صادف الحظ السعيد المسلمين في مسيرته وحصل رجاله على مغنم كبيرة في البلاد الواقعة في طريق المعركة وأصبحوا حريصين على المكاسب المادية وغير مدركين لمخاطر المستقبل مما

(١) طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ١٥٦ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، العدوى : المرجع السابق ، ص ١٩١ ، مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٤ ، غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٣١٤ .

يكفى لحفظ الحياة أو لسلامة الوجود فى ذاته وعرف عدوهم نقطة ضعفهم فاستغلها» (١).

وكان نتيجة تراجع بعض الفرق لحماية المؤخرة أن دب الخلل فى الصفوف واستغل الفرجة الفرصة وقتلوا الكثيرين منهم وكانت الفاجعة هى مقتل قائد الجيش عبد الرحمن الغافقى الذى أصيب بسهم ارتد على أثره مجروحاً جرحاً بالغاً ما لبث أن أودى بحياته (٢).

وهكذا استشهد الغافقى فى الموضع الذى يقع بين مدينتى تور وبواتيه وانتهت الواقعة بانكسار الجيش الإسلامى واستشهاد قائده وانسحابه من الميدان (٣).

وأصبح الجيش الإسلامى دون قائد وفقد ذلك فى عصف الجند واضطربت نفوسهم وارتبكت صفوفهم وانتهزت الفرجة الفرصة فأحاطوا بهم من كل مكان وراحوا يحصدونهم حصداً وصبر المسلمون على مدافعتهم منتهزين فرصة قدوم الليل ليستتروا تحت جناحه ، وأرجع كبار الجيش للمشاورة ، ثم اتفق رأيهم على الانسحاب تحت جناح الظلام والرجوع إلى معانهم ومراكزهم فى سبتمانيا بعد أن تركوا خيامهم ملاءى بكل ما كسبوه من أحمال ثقيلة وغنائم مصطحبين ما خف حمله .

وفى صباح اليوم التالى استعد الفرجة للقتال الذى كانوا يحلمون به طوال الليل ولكنهم انتظروا خروج المسلمين من معسكراتهم التى كانت لا تزال قائمة أمامهم ، بيد أنهم انتظروا طويلاً دون أن يسمعوها صوتاً أو يروا حركة تعبر عن وجودهم فافترسوا من المعسكر حذرين وجلين ولكنهم ما لبثوا أن اصطدموا بالواقع إذ رأوا خلوا المعسكر من الجند الذين تركوا امتعتهم وغنائمهم خلفهم فشمروا بالراحة والاستقرار واعتبروا أن

(١) على حيه : مع المسلمين فى الأندلس ، ص ١٠٩ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٤ ، سالم : تاريخ ، ص ١٤٥ .

(٣) الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٩٥ .

خطر المسلمين قد زال على الأقل ولو مؤقتا ولكنهم خشوا أن تكون هذه خدعة رتبها لهم المسلمون لكي يجروهم ويوقعوا بهم في كمين آخر كعادتهم في القتال ، فلم يحاولوا أن يتبعوهم بل اكتفوا بما حققوه وما حصلوا عليه من ذخائر وغنائم بعد أن لمسوا منهم في المعركة قوة وصلابة وأثروا العودة مكتفين بما حققوه منسحبين إلى الشمال منهين هذه الحرب^(١).

وليس لدينا من المصادر العربية ما يمكننا الاعتماد عليها في وصف طريقة انسحاب الجيش الإسلامي عند رجوعه لقواعده في سبتمانيا سوى الروايات النصرانية الغير موثوق بصحتها إذ تذكر أن المسلمين اندفعوا نحو الجنوب مسرعين ، واتجهت جموعهم نحو أربونه فمروا على مقربة من جيرييه Gueret وغزوا في طريقهم بلدة ليموزين وخربوا كنيسة سولنيك Solignac^(٢)

وهكذا استطاع شارل مارتل أن يكسب لنفسه موقفا في سجل المعارك الحاسمة في تاريخ العالم وأضفى عليه هذا الانتصار قوة ومكانة استحق عليهما لقب Martel أي المطرقة بعد أن بدا في نظر العالم الغربي بطل المسيحية الأول^(٣).

(1) Reinaud : op. cit., P. 49 - 50 . Sherwani : op. cit., p. 52 - 53 . Jean Duche : op. cit., P. 95 - 96 . Dunlop : Arab civilization to A. D. 1500. P. 14 . Levi Provencal . V. I. 60 - 62 .

حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ١٣٣ ، طرخان : المسلمون ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، سالم : تاريخ ، ص ١٤٥ ، جون هامرن : تاريخ العالم ، ص ٤٠٣ ، مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٨ .

(2) Reinaud ; op. cit., p. 49 .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربي ، ص ٧١ ، شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٣ .
(٣) عاشور : أوروبا ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، جيون ، ص ٨٠٣ .

ثالثا : الأبعاد التاريخية لمعركة بلاط الشهداء :

ولنا أن نحل الآن الآراء التي وردت في المصادر العربية والأجنبية حول هذه المعركة التي احتلت الصدارة وكن مع اختلاف في التحليل بين مؤرخي النصرى ومؤرخى الإسلام .

فالمصادر الإسلامية انقسمت إلى عدة أقسام منها الرواية المشرقية والرواية المغربية والأندلسية . فالرواية الشرقية تتمثل فى رواية ابن عبد الحكيم الذى يذكر أن عبيدة كان قد ولى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى على الأندلس وكان رجلا صالحا فغزا الأفرنجية وهم أقاصى عدو الأندلس فغنم غنائم كثيرة وظفر بهم ثم خرج إليهم أيضا غازيا فاستشهد وعامة أصحابه وكان قتله فى سنة خمس عش ومائة^(١) .

أما ابن الأثير فيروى فى حوادث سنة ثلاث عشر ومائة هـ أن عبيدة استعمل على الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله فغزا وتوغل فى أرضهم وغنم غنائم كثيرة ، ثم خرج غازيا ببلاد الفرنج فى هذه السنة وقيل سنة أربع عشر ومائة فقتل هو ومن معه من الشهداء^(٢) .

أما الرواية المغربية فتتمثل فى رواية ابن عذارى المراكشى الذى يذكر أن عبد الرحمن الغافقى ولى الأندلس وغزا الروم واستشهد مع جماعة من عسكره سنة ١١٢ هـ بموضع يعرف ببلاط الشهداء .

ثم يذكر فى موضع آخر أيضا أنه ولى الأندلس مرة ثانية ، وكان جلوسه لها فى صفر سنة ١١٢ هـ فأقام وألبا ستين وسبعة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر واستشهد فى أرض العدو فى رمضان سنة ١١٤ هـ^(٣) .

أما ابن خلدون فيذكر أنه قدم بعده (أى بعد الهيثم) محمد بن عبيد الله ابن

(١) ابن عبد الحكيم : فتح أفريقيا والأندلس ، ص ٩٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ٣٩ ، ٥١ ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

الحجاب صاحب إفريقيا فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا فرنج ، وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة ^(١) .

أما الرواية الأندلسية فلا تمدنا بمعلومات كافية عن هذه الواقعة الهامة فيذكر صاحب أخبار مجموعة عند ذكره لولاء الأندلس أن على يدى عبد الرحمن بن عبد الغافقى « استشهد أهل بلاط الشهداء واستشهد معهم واليهم عبد الرحمن » ^(٢) فى حين يتفق كل من ابن الفرضى ، والحميدى والضبى ، فيذكرون أن « عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقى وهو العكى أمير الأندلس وليها فى فى حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسى صاحب أفريقيا وعبد الرحمن الغافقى هذا من التابعين ويرى عن عبد الله بن عم بن عبد العزيز وعبد الله بن عياض استشهد فى قتال الروم بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة ذكر ذلك غير واحد ، وكان رجلا صالحا جميل السيرة فى ولائه كثير - الغزو للروم ، عدل القسمة فى الغنائم وله فى ذلك خبر مشهور ... ^(٣) .

أما المقرئ فهو أكثر وضوحا إذ يذكر فى عدة مواضع نقلا عن ابن حيان وغيره « قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبيل عبد الله بن الحجاب صاحب إفريقيا فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الإفرنجية وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره فى رمضان سنة أربع عشرة فى موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة » ثم يذكر فى موضع آخر عن ابن حيان أنه قتل « أشار إلى السمح بن مالك وهى إشارة خاطئة فى الواقعة المشهورة عند أهل الأندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الإفرنجية قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين فلم ينبج من المسلمين أحد ، قال ابن حيان فيقال أن الأذان يسمع بذلك الموضع إلى الآن ، ثم يقول : « دخل الأندلس (أى الغافقى) حين وليها ولايته الثانية من قبل ابن الحجاب فى صفر سنة ثلاث عشرة ، وغزا الإفرنج

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١١٩ . وينسب خطأ لابن الحجاب والى مصر وإفريقيا .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .

(٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٥٦ ، الحميدى : جذوة المقتبس ص ٢٧٤ ، الضبى : بنية للشمس ، ص ٣٦٥ .

فكانت له فيهم وقائع جمعة إلى أن استشهد وأصيب عسكره في موضع يعرف ببلاط الشهداء . وقال ابن بشكوال وتعرف زوته هذه بغزوة البلاط ، (١) .

ومن هذا المنطلق نلاحظ الروايات العربية لم تتعرض لذكر الأحداث التي سبقت وتلت معركة بلاط الشهداء ، وإنما اكتفت بالاختصار الشديد عند التعرض لتلك الموقعة وقائدها (٢) أى أن ما تذكره هذه الروايات عبارة عن إشارات مختصرة أو غامضة أو خاطئة ، وإذا ما قارنا بين هذه الروايات مجتمعة أى التي ذكرها المؤرخون المشاركة أو المغاربة أو الأندلسيون لا نجد لها تعدى عبارة مفادها غزو عبد الرحمن الغافقي لبلاد الروم واستشهاده في بلاط الشهداء .

ولقد اختلفت هذه المصادر حتى في تاريخ المعركة فمنهم من جعلها سنة ١١٤هـ (٣) . ومنهم من جعلها سنة ١١٥هـ (٤) وقسم آخر جعل قائد الجيش هو ابن الجحباب (٥) .

ويبدو أن ذلك الاختصار يرجع إلى ما حل بالمسلمين من خطب فادح اثر تلك الهزيمة فلم يرغبوا في الإشارة إلى آلامهم لمحاولة نسيانها أو التكتفم عليها ، والدلائل على ذلك أنها سميت ببلاط الشهداء وهي تسمية يفهم منها أن عددا من استشهد فيها من المسلمين كان عظيما جدا (٦) . وربما كان سبب صحتهم عن تفصيل هذه المعركة هو أنها لم تؤثر تأثيرا إيجابيا على مجريات الأحداث السياسية الإسلامية لا سيما وأنها كانت بعيدة جدا عن قلب العالم الإسلامي وعن المجال الحيوي للدولة

(١) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، ص ٢٢٠ ، والمجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ١٥ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٦٥ ، الحميدى : جلدوة المقتبس ، ص ٢٧٤ ، ابن عذارى : ج ٢ ، ص ٢٨ ، ابن خلدون :

العبر ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٧٥ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ، المقرئ : ج ٣ ، ص ١٦ .

(٤) ابن الفرضي : ص ٢٩٨ ، الحميدى ، ص ٢٧٤ ، ابن خلدون ، ص ١١٩ .

(٥) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، القسم الرابع ، ص ١٥ .

(٦) مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٢ .

الإسلامية، ولعل ذلك يفصر لنا ورود الرواية العربية باختصار وبدون تعليق^(١) من جانب من تصدوا لذكرها .

أما بالنسبة للمراجع الحديثة فقد اختلفت في تفسير الهزيمة وإن لم تختلف جميعها في أن الغنائم التي حملها المسلمون معهم أثناء فتحهم للبلاد كانت سببا رئيسيا في الهزيمة ولنا أن نتساءل هل الغنيمة كانت حقا وراء الهزيمة .

يتفق كثير من المؤرخين المحدثين^(٢) أن قصة الغنائم حقيقية تاريخية ثابتة بدأت منذ فجر الإسلام ومنذ عهد الرسول الكريم ﷺ وفي حياته حدثت أول هزيمة للمسلمين في أحد فقد خالف الرماة أمر قائدهم الأعلى رسول الله ﷺ وخرجوا على أميرهم عبد الله بن جبير واندفعوا مع رغباتهم في حيازة الغنائم ففسدت بذلك الخطة المرسومة للجيش المحارب فكانت مخافة الجند سببا رئيسيا في فساد الخطة وكان فسادها سببا في اضطراب الجيش وكان اضطراب الجيش سببا في الهزيمة ، لذلك لم ينج المجاهدون من الهزيمة رغم وجود رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم فكأن الله أراد أن يعلم المسلمين أن صلاح العقيدة لا يكفي لتحقيق النصر فالتصر له أسبابه وأن الأخذ بالأسباب من صلاح العقيدة .

أما بالنسبة لمعركة بلاط الشهداء ، فقد رأينا تقدم المسلمين وخروجهم من نصر إلى نصر يحملون الغنائم ويجرونها وراءهم أينما حلوا .

وكان الغافقي بشعور القائد المحارب المحنك يدرك أن هذا خطأ كبيرا وأن تلك الغنائم ستكون حجر عثرة في سبيل انطلاقهم وتحركهم بخفة وخصوصا أن

(١) العبادي : في تاريخ المغرب ، ص ٨٩ .

(٢) شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ، ص ٣٧ - ٣٨ . على حبيبه : مع المسلمين في الأندلس ، ص ١٠٩ - ١١٣ ، خير الله طلفاح : معارك العرب الكبرى ، ص ١٧٤ ، عبد الحليم عويس : دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية ، ص ٢٢ - ٢٣ ، عبد الكريم التواني : مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس ، ص ٤٣٣ .

الجيش الإسلامية تميزت دائما بالخفة وعدم حمل الأثقال معها^(١) ولكنه كان يدرك أيضا تعلق رجاله الكبير بتلك الغنائم فخشى من تضجرهم وإثارتهم فلم يرددهم عن ذلك رغبة في استمرار حماسهم ، فما هي النتيجة ؟

أدرك العدو نقطة ضعفهم واستطاع إرباكهم ومحاصرتهم في وقعة كادت كفة النصر ترجح لهم وخذل المسلمون وهم لا يدرون أن سبب تلك الهزيمة كانت المطامع التي ارتدوا من أجلها للدفاع عنها دون إذن من قائدهم الذي حاول جاهدا أن يعوض انسحابهم فوقع صريعا . وهكذا هزم المسلمون لأن بريق المادة غلب على شعاعات الإيمان .

ولكن هل حقا كان هؤلاء المجاهدون حريصين على المكاسب المادية ووضعها في أولياتهم أثناء خروجهم للجهاد بعكس ما نعرفه عنهم من أنهم لم يخرجوا إلا لغاية واحدة هي الشهادة أو النصر ؟ وهل وضحت أهداف الجهاد أمامهم ؟ أم أصابهم الغرور لخروجهم من نصر إلى نصر فلم يدركوا أهمية تلك المعركة ؟ وللدرد على هذه التساؤلات نذكر أن معظم الجيوش الإسلامية منذ فجر الإسلام تتخلل بداخلها عناصر شتى تخرج لغايات متبانية ، غير الغرض الأسمى من الجهاد ، وتخللت تلك العناصر فئة من المنافقين الذين لم يتذوقوا طعم الجهاد وحب الله ورسوله فكان حرصهم شديدا على المكاسب والغنائم والرجوع بها ونجد أن تلك الفئة المريضة لا تشكل جزءا كبيرا من الجيش ولكنها تعمل على إضعافه وتشتيت آرائه بسيادة الأفكار الخاطئة فيه ، فكان هذا سببا من أسباب ضعف الجيش الإسلامي^(٢) .

(١) لما كان السير والتقدم مرحلة من مراحل الحرب فمن المحتمل الالتقاء بالعدو خلال السير وفي أي وقت لذلك كان من الضروري أن لا يستنزف السير قوة المقاتلين بحيث يلقاهم العدو وهم مجهدون متعبون لذلك حرص القواد أن لا يتخذوا من المتاع إلا ما خف حمله ومؤوته وعظمت مكانته لئلا تأخذ الأثقال من قوتهم وقابلياتهم . وللمزيد عن التعب في السير والتقدم انظر خالد الجنابي : تنظيمات الجيش ، ص ١٧٥ .

(٢) على حية : المرجع السابق ، ص ١١٧ ،

ومن وصايا عبد الملك بن مروان لأحمد قواده : ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة وكن في أحيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك .
خالد الجنابي : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

ويرى الحجى أن موضوع الغنائم أسطورة لا أصل لها وهى مجانبة لكل ما عرفناه عن الفتح الإسلامى والتمسك بأهدافه العليا التى تعتمد على الجهاد فى سبيل الله فمما تذكره هذه الأسطورة أنه حينما انسحب الجيش الإسلامى ترك خيامه منصوبة والغنائم فى مكانها مطروحة وانسحب سريعا فكأنه بتلك العملية التى أقدم عليها كان ينفذ خطة مرسومة ومدروسة لأنهم رأوا أن الموقف يتطلب عدم الاستمرار فى معركة ظهرت بوادر ضعفها . وبعد استشهاد الغافقى كان الجيش الإسلامى مستمرا فى القتال ونال من الفرجة رغم هذه الظروف ولكنه رأى بعد ذلك أن الموقف يتطلب الانسحاب فترك الخيام منصوبة كخطة دفاعية لم يدركها الفرجة إلا صبيحة ذلك اليوم وهم يستعدون مجددا للقتال . وهذا أمر يشير إلى أن انسحاب الجيش كان من غير بوادر انكسار ، وهذا يفند التهويل فى المبالغة بكثرة قتلى الجيش الإسلامى بقدر ما يفند التهويل والمبالغة اللذين تشير إليهما الرواية الأوروبية^(١).

ومن نوع هذا التهويل عند المؤرخين الأوروبيين الإشارة إلى أن سبب هزيمة المسلمين يرجع أساسا إلى اتجاههم خلف البرقات الذى كان مجرد عمل انتحارى وفدائى لأن الجيوش كانت تتوغل فى البلاد بدافع من الحماس الدينى وحسب دون أن تعمل حسابا لخط الرجعة فى حالة التقهقر والانسحاب فهزيمة الغافقى فى نظرهم هى نهاية طبيعية لامتداد غير طيبى^(٢) لهذا لم يكن لها تأثير إيجابى على مجريات الأحداث السياسية^(٣) الإسلامية وخصوصا أنها كانت بعيدة عن النطاق الحيوى للدولة الإسلامية^(٤).

أما القول بأن سبب هزيمة المسلمين هى أعمالهم الانتحارية بالتقدم خلف البرت

(١) الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٩٨ .

(٢) أحمد الشعراوى : الأمويون أمراء الأندلس / الأول ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) يبالغ الكتاب هنا أن تلك الأحداث لم يكن لها أثر على مجريات السياسة فعلى العكس فما وصلت تلك الأخبار إلى مسامع الخليفة حتى قرر أن يبعث جيشا بقيادة عبد الملك بن قطن للثأر لمقتل الغافقى وإتمام عملية الجهاد وهذا ما سنتناوله بالتفصيل . انظر الفصل الخامس من هذا البحث .

(٤) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٩ - ٩٠ .

فهو غير صحيح إذ كان الدافع الحقيقي للجهاد فى الأرض الكبيرة هو نشر دين الله ولكن وجود بعض المرتزقة فى الجيوش الإسلامية وتراجعهم لحماية الغنيمة كان السبب الأساسى لتفكك الصفوف الأولى من المسلمين وبالتالى فسدت الخطة المرسومة للقتال من القائد الأعلى ، لأن المعركة فى بدايتها كانت فى صف المسلمين ، وكانت نتيجة هذا التصرف من بعض المقاتلين أن قتل قائد المسلمين نفسه ، مما أدى إلى تشتيت الجيش الإسلامى وهزيمته فى معركة كاد النصر أن يتحقق لهم فيها^(١) .

وهناك عدة عوامل أخرى غير الغنيمة تضاعفت مجتمعة على هزيمة المسلمين فربما كان سبب الهزيمة هو ضخامة الجيش فلقد قاد الغافقى جيشا جرارا بالغ الفرجة فى وصفه حتى قيل أنه بلغ خمسمائة ألف مقاتل . وكان هذا الجيش يحوى جماعات مختلفة ومتنازعة ويغلب على بعضها روح الطمع وضعف الإرادة فلم تقدر أهمية الدور الذى خرجت من أجله وأهمية المعركة القادمة ولم يكن المجتمع الأندلسى قد تحددت أهدافه التى كان يعمل لأجلها ، بالإضافة إلى مشكلات الخصومة بين العناصر التى لم يستطع أحد القضاء عليها حتى عبد الرحمن الغافقى برغم ما عرف عنه من حياده ومحاولته جذب الجميع له واتحادهم فى صف واحد ، إلا أن النفوس البشرية كانت قد جبلت على الاختلاف وحب الهوى ، وقد قيل أنه نتيجة لمعاناة الغافقى من خطر العصبية القبلية أراد أن يشغل الناس بالجهاد فشغلوهم بالخلافات الطويلة وهو فى طريقه إلى معركة هامة وهزمه وتخلوا عنه .

وبالإضافة إلى ذلك فإن وقوع العرب والبربر فى خلاف دائم صرف اهتمامهم عن الفتوح بالمعدل الذى كانت تسير به فجذبت عليهم أحداث وآمال وأفكار جديدة كانت سببا فى صرف نفوسهم عن الغاية السامية التى جاءوا من أجلها^(٢) .

(١) العبادى : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(2) Levi - Provencal : op. cit., V. I. 62 - 63 .

شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٣ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٢٦٣ ، بيشون : الدولة المرية فى أسبانيا ، ص ١٥٩ ، على حبيبة : مع المسلمين ، ص ١١١ - ١١٢ .

وهناك أمر لم يضعه المسلمون في خطتهم وهو إتحاد أودو مع شارل مارتل في جيش واحد لمهاجمة المسلمين بسبب ما عرف عنهم من عدااء شديد ولكن اتفقت آراؤهم نتيجة لإحساسهم بالخطر المشترك فتكتلوا دفعة واحدة لدرئه^(١) وكانت مفاجأة غير منتظمة للغافقي ولا يخفى علينا أن مقتل الغافقي كان له أثره في إضعاف نفسية ومعنوية الجند مما كان سببا في اضطرابهم وانكسارهم وتخاذلهم^(٢).

ويمكن أن نضيف إلى ذلك توغل الغافقي في مناطق بعيدة دون أن يعمل حسابا لذلك ولم يفكر على الأقل في مدى حاجاته للإمدادات السريعة ، وبعد المسافة ما بين قرطبة وغالة وما بين قرطبة ودمشق مركز الخلافة ومنيع التموين ويرى جيون في هذا الصدد أنه يكفي أن يتصور الإنسان المسافة ما بين دمشق وجبل طارق وبين جبل طارق واللوار حتى يعلم أن الجيوش الإسلامية المحاربة في نواحي غالة كانت تقوم في الواقع بمغامرة حرية أقرب إلى قصص الأساطير منها إلى حوادث التاريخ لأنها كانت في وضع لا تستطيع معه أن تحصل على امدادات من الجند والعتاد من مركز الخلافة دمشق ولم يكن في استطاعة هؤلاء المحاربين أن يحصلوا على امدادات من عامل الأندلس في قرطبة لتفرق العرب من جهة ، ولأن العصبية كانت قد مزقتها شيئا وأحزابا^(٣).

وهناك نقطة هامة ينبغي للبحث ألا يجهلها وهي العامل النفسي للفرجة فنتيجة لقوة العناصر الجرمانية التي كانت تشكل الجزء الأكبر من جيش شارل مارتل وإحساسها بالخطر من المسلمين جعلها تتكتل وتكون جدارا صلبا ضد المسلمين وخصوصا أن تلك العناصر كانت تنصف بالهمجية والبداوة والغلظة حتى شبهت ضرباتهم بالحديد ، فالعامل النفسي كان به أثر في انتصارهم ووقوفهم كتلة واحدة

(١) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٤ ، العدوى : ص ١٩٠ .

(٢) العبادي : في تاريخ ، ص ٨٨ .

(3) Gibbon : op. cit., P. 802 - 803 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ١٤٣ ، العدوى ، ص ١٩٠ .

للتصدي لتلك القوة الإسلامية الفتية الجديدة ، وعدم السماح لهم بالتجاوز أكثر من ذلك ولو لم يتتصر الفرجة لانهارت عزائمهم وآمالهم لذلك صمدوا أمام المد الإسلامي وأجمعوا أمرهم وصادفوا من المسلمين تفككا وضعفا فنجحوا في الانتصار عليهم^(١).

كما يجب ألا نغفل مسألة المناخ في الوقت الذي دارت فيه هذه المعركة إذ كان الوقت خريفاً أى وقت سقوط الأمطار الثقيلة والرياح الباردة والمسلمون لا يستريحون للبرد والمطر المستمر ، وكانوا يعبرون منطقة غابات والفارس العربى لم يحسن الحرب فى الغابات حتى أن الخيول العربية ضمرت نتيجة تلك الأجواء ، ولم تستطع التنقل والتحرك بخفة لأنها اعتادت الجرد الدافئ الجاف . فتفاوت الجو المستمر ساعد على اجهاد الخيل وإلحاق الضرر بالفرسان مما كان سببا فى اعاقتهم وهزيمتهم^(٢).

ولعل من أهم عوامل الهزيمة هو ما كان من نزاع واختلاف بين العرب والبربر وخصوصا بعد القضاء على مونس ، وحين نعلم أن غالبية جيش الغافقى الذى اتجه لفتح غالة كان من البربر ، عندها ندرك أن خلافا بين الطرفين مستصحب آثاره سيئة للغاية وهذا ما حدث وكان سببا من أسباب الهزيمة للمسلمين .

هذا ما ذكره المؤرخون المحدثون فى تحليل وتفسير أسباب هزيمة الغافقى فى بلاط الشهداء ونحن لا نستطيع إنكار أثر الغنائم فى إعاقه الجيش الإسلامى فى تحقيق النصر، وإن كنت لا أرى أن هزيمتهم فى بلاط الشهداء تستحق هذا التضخيم والتهويل والمبالغة فى البعد عن الحقائق والواقع .

وما من شك أن تغليف هذه الأحداث برداء اسطورى يخفى الوقائع التاريخية ، وتضيق معه الحقائق ، ولا بد من التدقيق والتحفظ فى الأخذ منها . فلم تكن تلك

(١) سيدىو : تاريخ العرب العام ، ص ١٦٧ .

Sherwani : op. cit., p. 25 - Jean Duch : The History of France p. 95 .

(٢) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٧ .

الهزيمة هزيمة بحق فانسحاب المسلمين بهذه الصورة المنظمة فى ذلك الوقت من الليل دون أن يشعر جيش الفرنجة بذلك يدل على مهارتهم وقدرتهم واستغلالهم الليل لمصلحتهم ورجوعهم إلى أربونة بتلك السرعة رغم كثرة عددهم . أما تركهم الخيم مملوءة بالغنائم والعتاد فهذا أمر غريب فكيف يستبسل جيش للدفاع عن تلك الغنائم التى جرها معه من مكان إلى آخر ؟ ثم يترك جزءا عظيما منها لأعدائه ويرحل ؟ إن هذا أمر يدعو إلى الحيرة والتساؤل فى تصديق مسألة الغنائم التى أعاققتهم وأدت إلى هزيمتهم . فهل تلك القضية كانت قضية مفتعلة ؟ أم أنها كانت من صنع رجال الدين النصارى لتصوير المسلمين بصورة المجاهد النهم الذى لا هم له إلا الغنائم والاستبسال من أجلها ؟ أو محاولة جمعها ؟ لذلك أقدم المؤرخون الأوروبيون على تضخيم موضوع إحراق المسلمين للمدن والكنائس والأديرة فى توغلهم وراء جبال البرتات رغم أن هذه الاتهامات لم توجه للمسلمين طيلة تاريخ فتوحاتهم منذ فجر الإسلام .

ولا شك أن المستشرقين قد بالغوا فى تصوير معركة بلاط الشهداء (اوتوروبواتيه) التى اعتبروها من المعارك الفاصلة فى التاريخ العام ، والتى ترتب عليها تغيير مجرى التاريخ إلى حد كبير . فأنقذت حضارة غرب أوروبا المسيحية ووضعت حد لسيادة الشرق على الغرب على حد زعمهم وقبل الرد على هؤلاء المستشرقين ينبغى أن نستعرض آراء بعض هؤلاء المؤرخين فادوارد كريزي Edward Greasy يرى أن هذا النصر الذى حققه شارل مارتل على المسلمين فى تورقد انقذ المسيحية من الإسلام وحفظ بقايا الحضارة القديمة وبذر الحضارة الحديثة ورد التفوق للجنس الأرى على السامى (٢) .

واعتبر فون شليجل أن كارل قد انقذ بسيفه ام الغرب من قبضة الإسلام الفتاكة

(١) إبراهيم ييضمون : الدولة العربية ، ص ٧٨ .

(2) Edward Greasy : The Fifteen Decisive Battles of the world from Marthon to water , Ch. VII . P. 152 .

الهدامة^(١) أما جييون فيرى أن هذه الموقعة من الوقائع الفاصلة Decisive Battle وأنه لولا انتصار قارله لكانت فرنسا جزءا من بلاد الإسلام ولقضى على المسيحية في أوروبا ، ولكان صوت المؤذن يدرى فيها بدلا من أجراس الكنائس ، ولكان القرآن يدرس في أكسفورد Oxford . ويقول أنه كان لانتصار قارله صدى فرح كبير في جميع أنحاء أوروبا التي تحول الكثير من أهلها إلى المسيحية وكان البابا جريجورى الثالث Gregory III ٧٣١ - ٧٤١ أول من أظهر الابتهاج بانتصار قارله حتى أنه منحه لقب مارتل Martel أى « المطرقة » على اعتبار أنه مطرقة المسيح في هزيمة المسلمين ، ثم يذكر في موضع آخر « وامتد خط الظفر مدى ألف ميل من صخرة طارق إلى ضفاف اللوار . وقد كان اقتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا وربما اسكتلندا فليس الراين بأمنع من النيل والفرات ، ولعل أسطولا عربيا كان يصل إلى مصب التايمز دون معركة بحرية ، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد أكسفورد وربما كانت منابرها تؤيد محمد بصدق الوحي والرسالة » ثم يقول أن تلك المعركة كانت من المعارك الحاسمة بالنسبة لمصير غرب أوروبا^(٢) .

أما هنرى مارتن Henry Martin فى كتابه تاريخ فرنسا الشعبى يقول « لقد تقرر مصير العالم فى تلك المعركة ولو غلب الفرنج فيها لكانت الأرض فى قبضة محمد ولخسرت أوروبا والدنيا مستقبلهما »^(٣) .

أما مونتجمرى وات Montgomery Wett فيذكر أن معركة تور وواتيه كما يسميها الفرنسيون تعتبر من المعارك الحاسمة فى العالم حيث أنها لم تكن مثل وقعة وترلوا Waterloo التى رسمت الحد الفاصل أو النهاية للبناء السياسى الذى أقامه نابليون ، ولكن موقعة تور لم تقلص نفوذ المسلمين فى إسبانيا بل تكمن أهميتها فى

(١) نقلا عن محمد عبد الله عتات : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(2) Edward Gibbon : The Decline and fall of the roman empire. V 6 III. P. 223 .

(٣) نقلا عن غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٣١٦ .

أنها كانت أقصى نقطة وصل إليها المسلمون في توغلهم شمالا ناحية فرنسا ، كما أنها ترمز لانحسار المد الإسلامي^(١) .

أما جون هامرتون صاحب كتاب تاريخ العالم فيرى : أن شارل عند بواتييه أعاد نفس الصورة الحاسمة لما فعله ليوقرب بيزنطة ، فالإسلام لم يوطد أقدامه في أوروبا إلا في شبه الجزيرة ولم يحدث قط أن تقدم وزراء البرانس ومهما كانت الهزيمة نكراء لفقد استطاعت أن تطرد العرب طردا لا رجعة فيه ، ولكن انتصار العرب كان قمينا أن يجعل الفتح العربى من الاحتمالات العملية المعقولة ولذا فإن نصر شارل مارتل استطاع بصرية واحدة أن ينقذ الغرب من كفاح طويل منهك ونتيجة غير مأمونة^(٢) .

أما كاشياوات Cachia Watt فيرى أن معركة تور تعتبر وحدها من المعارك الحاسمة في التاريخ كما يقال عنها دائما وبمفهوم آخر كما يقول : بأنها نقطة انحسار المد الإسلامي The Point at Which the tide turned ويرى أنه لم ينتج عن تور أى دمار يزلزل القوة السياسية والعسكرية لإسبانيا المسلمة ، ولكن أدرك قادة المسلمين أن الطريق إلى غرب البرتات لم يعد خطا مريحا للتوسع ، كما أن الهزائم التى لحقت بهم بواسطة شارل مارتل عام ١٢١هـ / ٧٣٨م قد بينت أن التوسع إلى أعلى وادى الرون لم يعد ممكنا أو مرغوبا فيه^(٣) .

أما فشر Fisher فيقول : لو قارنا بين انتصار الفرنجة هذا على العرب وبين انتصار البيزنطيين على المسلمين عام ١٨٧هـ - ٧١٧م لوجدنا أنه لو دخل العرب القسطنطينية لوجدوا بين مسيحي شرق أوروبا مجالا للدعوة الإسلامية وذلك بالقياس إلى نجاح العثمانيين فى القرن الخامس عشر الميلاد لذلك يسهل تخيل نجاح المسلمين الدينى قبل العثمانيين بسبعة قرون حين كانت الشعوب البلقانية والروسية لا تفقه فى

(1) W. Montgomery Watt : The Majesty that was Islam the Islamic world .

(٢) جون هامرتون : تاريخ العالم ، ص ٤٠٣ .

(3) Watt and Cachia : A history of islamic spain P. 22 .

المسيحية إلا النزر اليسير ولا تدرى من النظم والمعتقدات من تراث الإمبراطورية الرومانية وجيروتها القديم ولو تم للمسلمين النصر فرضا فى تور لظل بينهم وبين مناخ فنسا وتحويلها إلى الإسلام عقبات دونها عقبات^(١).

أما بطرس البستاني فيذكر أن معركة باتيه انقذت أوروبا الغربية كما انقذت أسوار القسطنطينية أوروبا الشرقية لأربع عشرة سنة خلون ولو وفق مسلمة ابن عبد الملك فى حصار البيزنطيين ثم وفق عبد الرحمن الغافقى لدحر شارل مارتل وعبور اللوار لكان الجيشان الأمويان الراحقان من الشمال والجنوب التقيا ، ووقعت أوروبا بأسرها فى قبضة الإسلام والمسلمين^(٢).

وهذا وبعد استعراض آراء المؤرخين المستشرقين نرى أنه ينبغى عليها تحليل تلك الآراء والرد عليها ثم الاستشهاد بآراء المؤرخين الغربيين من أبناء جلدتهم الذين لم يحذو حذوهم ولم يحجب عامل التعصب والعامل السياسى وجه الحق فى طريقهم فراهم يخترقون ذلك الحجاب الكثيف ويردوا ذلك الرد الواضح المتحرى للحق والصدق وهكذا شأن العلماء دائما ومن أمثلة هؤلاء غوستاف لوبون ، والعلامة المعاصر جارودى .

أما الرد على اعتبار شارل مارتل بطلا عظيما يدافع عن غالة ، فنقل أن شارل لم يكن فى ذلك إلا مغامرا جريئا ، فلم يكن الفرنجة الذين قصدو رد المسلمين عن غالة بأصحاب البلاد الأصليين بل كانوا غزاة قاهرين فإذا كان المسلمون أغرابا عن غالة فإن الفرنجة أغراب أيضا ، ولم يكن لديهم الحق فيها أكثر مما لغيرهم . ولقد كان أهل بيته ومعظم عناصر الفرنجة ييغضونه ويغضهم ، ولم يخضعوا إلا خضوع المغلوب على أمره المقهور الذى لا حيلة له ، وقد حكم شارل تلك البلاد بالعتف والقسوة حكما أجنبيا خالصا وكان هو وأتباعه يترفعون عن سكانها الأصليين ويرون

(١) فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) بطرس البستاني : معارك العرب فى الشرق والغرب ، ص ٨٠ .

أنهم ليس عليهم إلا الطاعة والخضوع ، فأى بطل وطنى ذلك الذى دافع عن بلادهم لم تكن له ؟ (١) .

أما القول بأنه كان يدافع عن الحضارة الغربية ، فنذكر أن شارل لم يكن مدافعا عن حضارة لأنه لم تكن ثمة حضارة فعلا فى تلك الفترة فسكان غالة كانوا لا يفهمون من اللاتينية شيئا ، حتى أنه هو نفسه لم يكن يعرف كيف يكتب اسمه ، فقد كان أميا لا يعرف شيئا عن الحضارة ومقوماتها ولم تكن أوروبا فى تلك الفترة بلادا متحضرة بالمعنى المفهوم عن الحضارة الإنسانية ، وكان البعد شاسعا بين حياة المسلمين فى الشرق وحياة الأوربيين فى الغرب ، فالمسلمون فى تلك الفترة هم وحدهم بناء الحضارة فى العصر الوسطى وقد ملكوا الدولة المتقدمة والنظم الحضارية المتطورة فى كافة مجالات الحياة فأى حضارة تلك التى دافع عنها شارل ؟ (٢) .

أما القول بأن تلك الحرب كانت صراعا بين الإسلام والمسيحية فإن الفرنجية لم يكونوا مسيحيين مخلصين وإنما كانوا أجلافا متبريرين أقرب إلى الوثنية منهم إلى أهل الكتاب بدليل ما فعله فى الكنائس والرهبان وكانوا شديدي الوطأة على الجميع ، بخلاف المسلمين الذين كانوا يمثلون روح التسامح الإسلامى مع أولئك المدعين للدين ، لقد تناسى هؤلاء المؤرخون الشفاف الدوقات فى جنوب بلاد الغال حول المسلمين ومحاولتهم التصدى لشارل ومحاربه ، فلم يغلب على الفرنجية الطابع المسيحى إلا فى أيام بين الثانى Pepin ابن شارل بسبب تصديه لحماية البابوية من اللومبارديين فهى إذن حماية سياسية وليست دينية وليس هناك من شك فى أن كلا من السمح بن مالك والغافقى وأمثالهما من جند المسلمين كانوا يعرفون عن المسيحيين والمسيحية أكثر مما يعرفه شارل وجنوده ، ثم أن المسلمين كانوا أهل دولة منظمة ذات نظم وقواعد وقيم شرعية مقررة ومعروفة ، فى حين كانت نظم الفرنجية فى

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، مؤنس : فجر الزندلس ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٩٤ ، على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس ، ص ١١٥ .

طور التكوين تعتمد على قوانين الجرمان الأولى وهى أشبه بقوانين العرب فى الجاهلية ، فلم تكن إذن حربا بين الإسلام والمسيحية ، ولم يكن انتصار الفرنجة على المسلمين يعنى تغلب المسيحية على الإسلام ولا تغلب حضارة على حضارة وإنما كان يعنى وصول حركة الفتوح الإسلامية إلى المدى البعيد الذى يجب أن تقف عنده أو تعمل له حسابا أكثر ، فلقد تغيرت نفوس المسلمين حينذاك وغرثهم الحياة الدنيا . ومالوا إلى حب الدنيا ورغبوا فى مكانها لذلك هزموا برغم عددهم وعتادهم وقائدهم الفذ ، لأنهم أضاعوا ما جاءوا لأجله وأصبحوا من ذوى الرغبات المهزوزة وزاد ضعفهم بانصرافهم إلى المنازعات التى بلغت أقصى مداها فى تلك الفترة الحرجة التى كان لابد لهم من التحرر من كل مطمع وهوى والاتجاه للجهاد بنفس المؤمن المجاهد فى سبيله .

وفى الحقيقة أن المعركة لا تعدو أن تكون معركة من المعارك السابقة واللاحقة التى قامت بين الجيوش الإسلامية والجيوش الأوروبية داخل غالة وتبادلت فيها الجيوش الإسلامية والمسيحية الهزيمة والنصر فقد رأينا السمع ابن مالك الخولانى يحقق انتصارات فى البداية ويحقق التقدم والظفر ثم يهزم ويقتل ، ثم يعاود عنبسة بن سحيم الكلبي ما بدأه السمع ويقود أكبر غارة شهدا جنوب فرنسا ، ثم يهزم ويقتل ويتولى عذرة الفهرى العودة بالجيش إلى القاعدة الإسلامية أربونة ، ومن هنا نرى أن ما حدث للغافقى بعد هزيمته فى بلاط الشهداء أو توراو بواييه لا يزيد ولا ينقص عما حدث فى أيام السمع وعنبسة فقد عاد الجيش إلى أربونة ولم يخرج من غالة ، فما هو إذن الفرق بين ما أحرزه وما انتهى إليه السمع وعنبسة وبين الغافقى ؟ إذن فليس هناك داع للقول : أن تلك المعركة وضعت حدا للسيادة الإسلامية على غرب أوروبا ، وأن الثابت أن شارل مارتل لم يتتبع الجيش الإسلامى ولم يجرؤ على ذلك خشية أن يكون وراء انسحاب المسلمين خطة معينة أو خدعة أو كمين يراد به الجيش الفرنجى بل

(١) على حبيبة : المرجع السابق ، ص ١١٥ ، مؤنس : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ ، العدوى : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

اكتفى من الغنيمة بالنصر ثم عاد متوجها إلى الشمال . إذن فالمسلمون لم يهزموا في تلك المعركة بل انسحبوا في نظام أخاف أعداءهم ، ويعنى ذلك أن النتائج التى أسفرت عنه الهزيمتان السابقتان ثم لا يوجد مجال إذن لتضخيم هذه الانتصارات الفرنجية أبدا (١) .

ولو تساؤلنا كما تساؤل الأوروبيون عن مصير قارتهم اليوم (٢) فبحاذا يجيب ويرد على ذلك العبادى الذى يذكر أن المؤرخ لا يستطيع أن يتكهن بما سيحدث فى المستقبل لو انتصر المسلمون ، لأن المؤرخ مهمته النظر فى الأحداث الواقعة ومحاولة تفسيرها على ضوء الحاضر ، أما المستقبل فالسياسى هو الذى يستطيع أن يتوقع بفراسه وحسن نظره لما سيكون من أحداث ، والواقع أن انهزام المسلمين فى تور وبواتيه لا يعنى توقفهم فكثير من المعارك التى خسرها المسلمون كانت بعدها انتصارات كبيرة (٣) .

أما قول جيون أن بواتيه أنقذت آباءنا الإنكليز وجيراننا الفرنسيين وحفظت جلال روما وأخرت استبعاد القسطنطينية وشد أزر المسيحية ووقعت بأعدادها بدر التعرف والفشل (٤) .

فيرد عليه غوستاف لوبون ساخرا بجميع الأقوال التى ضخمت هذا الحدث العادى قائلا : « لو تم للعرب الانتصار ما طرأ تبدل على مقادير البلاد فإذا ما كان العرب غالبين انتهبوا بضع مدن على ما يحتمل زيادة على المدن التى انتهبوها ، ثم ارتدوا حاملين غنائمهم إلى ملجأ أمين ثم عادوا فى السنين القادمة إلى سيرتهم الأولى ريثما يلقاهم عدو آخر يدرهم كما وفق له شارل مارتل ... ثم يقول لنفرض جدلا أن

(١) على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس ، ص ١١٥ ، عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٣) أحمد مختار العبادى : من تاريخ العرب والأندلس ، ص ٨٨ - ٩٠ ، العبادى : فى التاريخ العباسى ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(4) Gibbon : op. cit., P. 223 .

النصارى عجزوا عن دحر العرب ، وأن العرب وجدوا أجواء شمال فرنسا غير بارد ولا ماطر كجو إسبانيا فطابت لهم الإقامة الدائمة به فماذا كان يصيب أوروبا النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب إسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبی العربی وكان لا يحدث فی أوروبا التي تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر والحروب الدينية ... وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع التي ضرجت أوروبا بالدماء عدة قرون ، ثم يعود قائلًا : « أن يكون المرء جاهلا بتاريخ حضارة العرب جهلا مطبقا ليوافق على ما زعمه ذلك المؤرخ العالم من أن النشاط الذي يحفز الناس إلى التقدم ليس مما تجده في عبقرية المسلمين ومن أن أوروبا والدنيا كانت تخسران مستقبلهما فمزاعم مثل هذه ليست مما يقف أمام سلطان النقد عندما يعلم أن التمدن اللامع حل بالبلاد التي خضعت لاتباع الرسول محل الهمجية وأن النشاط الذي يحفز الإنسان إلى التقدم لم يكن قويا في أمة مثل قوته في العرب .

ثم يرد قائلا على من ادعى أن مارتل أنقذ أوروبا النصرانية^(١) فيقول أن شارل لم يستطع طرد العرب من أى مدينة احتلوها عسكريا بل اضطر إلى التهقر أمامهم تاركا لهم ما استولوا عليه من البلدان ، وأن النتيجة التي أسفر عنها انتصاره هي أنه جعل العرب أقل جرأة على غزو شمال فرنسا ونتيجة مثل هذه وإن كانت مفيدة لا تكفى أهمية انتصار هذا القائد الفرنجي^(٢) .

إذن لم يكن شارل مدافعا قط عن النصرانية وحاميا لها بل كان مغتصبا فلم يحرص بعد خروج المسلمين عن تلك الأنحاء أن يرد العقارات والأموال لرجال الكنيسة من رهبان وأساقفة ، بل حرص على توزيعها على رجاله وأنصاره ليضمن ولاءهم واستمرارهم لذلك بقيت كراسي الأسقفية خالية ، وكان الأحرار ورجال الدين النصارى يرون أن هذه المصائب التي أحاطت بهم من قبل شارل ورجال ما هي إلا

(١) وهذا ما ادعاه هنرى مارتن فى كتابه تاريخ فرنسا الشعبى الذى أورده غوستاف فى كتابه حضارة العرب ، ص ٣١٦ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .

عقاب من الله تعالى لعباده وتنبه لهم للرجوع إلى طريق الفضيلة ، صحيح أن بعض الرجال من الأحرار والرهبان شاركوا في جيش شارل وهم في ثوب الأسقفية ولكن ذلك لا يعنى أنه كان حامى حمى الدين أبدا (١).

أما البرفسور جارودى الذى اعتنق الإسلام حديثا فقد ذكر فى محاضراته التى ألقاها فى تونس عن موضوع الحضارة الإسلامية وأصالتها ومتدادها إلى ما بعدها من الحضارات التى قامت على أساسها واهتدت بنورها فى محاضراته هذه أورد آراء المشاهير من المنصفين من أمثال أناتول فرانسى الذى سجل فى كتاب الحياة الوردية رأيه فى انتصار شارل وانسحاب العرب ، فذكر عظم ما خسرت فرنسا حين قاومت الجيوش الإسلامية فى معركة بلاط الشهداء لأن الذين تجمعوا تحت قيادة (شارل مارتل) كانوا من الهمجية المتوحشة بحيث ناصروا الظلام على النور ، فتراجع العلم والفكر من أوروبا بعد أن دق الأبواب بيد القائد المسلم عبد الرحمن الغافقى .

إن صدور مثل هذا الكلام من مفكر فرنسى له وزنه لهو اعتراف فاضح لدعاية من يزعمون أن الإسلام دين الهمجية ، ولقد نبه جارودى الأذهان من جديد إلى معركة بلاط الشهداء وبيان نتائجها المؤسفة التى أخرت التقدم الأوروبى أربعة قرون على الأقل .

ولقد أوضح جارودى فى حديثه عن بناء الإمبراطورية المزعومين بالاستشهاد برأى كاتب فرنسى مشهور هو البييرلوتى الذى وازن بين همجية جيوش الاستعمار عماما وبين من يسمونهم بالبدائين المتوحشين فى إفريقيا ليثبت أن هؤلاء البدائين لهم من تقاليد الرحمة والمؤازرة والمواساة للضعفاء ما ليس لأوروبى متحضر سواء كان فى إنجلترا أو فرنسا أو إيطاليا ، أو هولندا أو ألمانيا . وأن الذين يسيرون الآلاف باسم التقدم

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

الحضارى هم قتلة وسفاحون ثم ينتقل فى حديثه ويذكر معركة بلاط الشهداء أوتور وبواتيه بعد أن وافق حديثه ما كتبه الأديب الفرنسى الشهير كلوت فاير^(١) الذى يذكر فى صراحة تبلغ التحدى السافر فيذكر « أنه فى سنة ٧٣٢م حدثت فاجعة ربما كانت من أشأم الفجائع التى انقضت على الإنسانية فى العصور الوسطى ، هذه الفاجعة التى أمقت ذكرها وهى الانتصار البغيض الذى ظفر به على مقربة من بواتيه أولئك البرابرة المحاربون من الإفريج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين ، ويكفى المرء أن يطوف فى حدائق الأندلس بين الآثار العربية التى لا تزال تأخذ بالأبصار ومما يبدو من عواصم السحر والخيال اشييليه وغرناطة وقرطبة وطليلة ليشاهدوا والألم أخذ منهم ما عسى أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الإسلام العمرانى المتسامح وخلصها من الأهويل التى لا اسماء لها ، وكان من أثر ذلك أن نتج خراب غاليا القديمة فاستبعدوا للصمص من التاريخ بل هو التاريخ الحقيقى الذى يتعلمه المرء بنفسه بما يشاهد من خزائن كتب ويرى من مدن ويجتاز من بحار^(٢) .

ثم يذكر جارودى رأيه بناء على مقاله أناتول فرانس الأديب الفرنسى الذى ذكر بأن البربرية الفرنسية أبعدت الحضارة الإسلامية القادمة إلى بواتيه فيقول « إن معركة بواتيه التى ندرس فصولها لأطفالنا فى المدارس ليست معركة حقيقية بل هى مواجهة لم تقع ، لقد حصلت عند مؤخرة الجيوش المقاتلة ، ولا يساورنى أدنى شك فى أنه لو استقر المسلمون فى فرنسا كاستقرارهم فى الأندلس لتغير وجه أوروبا ولأصبحت مسألة الحوار الأوروبى الذى تنادى به اليوم أسهل تناولا وأكثر فعالية^(٣) .

إذن ليس هناك أى خوف ووجل لو أن العرب انتظروا لحدث فى أوروبا كما

(١) محمد رجب البيومى : جارودى والإسلام ، ص ٧٢ - ٧٥ من مجلة التضامن الإسلامى ، السنة ٣٨ ، ج ٩ ، ربيع الأول / ديسمبر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

(٢) محمد رجب البيومى : جارودى والإسلام ، ص ٧٢ - ٧٥ .

(٣) مقال بعنوان حوار مع الفكر الفرنسى غارودى عن مجلة الإصلاح ، السنة الثامنة ، العدد ٩٢ محرم / سبتمبر ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

حدث فى إسبانيا ، ولصادر القرآن يتلى ويدرس فى جامعات باريس وكمبريدج .
إذن فبعد دحض هذه الأقوال المبالغ فيها نرى أنه لم يكن هناك أى دوافع نبيلة
وراء تضخيم تلك الأحداث الحربية ، وإذا كان هناك مبرر قوى للمؤرخين الأوروبيين
المتعصبين الذين بالغوا فى تقديرهم أهمية تلك المعركة فمن الأجدر للمؤرخين العرب
ألا ينزلقوا إلى هذه المبالغة والإسراف والتضخيم^(١) .

(١) ومن أمثلة هؤلاء المؤرخين العرب محمد عبد الله عنان الذى ذكر أن العرب فقدوا سيادة العالم
بأسره، وتغيرت مصائر العالم القديم فى سهول تور وبواتنيه ، عنان ، ج١ ، ص ١١١ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الخامس

جهاد المسلمين بعد معركة البلاء

- أولا : جهاد عبد الملك بن قطن الفهري .
- ثانيا : جهاد عقبة بن الحجاج السلولى .

أولا : جهاد عبد الملك بن قطن الفهري :

لقد أثبت المسلمون عدم مبالاتهم بواقعة بلاط الشهداء بدليل أن تلك المعركة لم يكن لها أى أثر على مجريات الأحداث من حيث توقف جهادهم خلف جبال البرتات ، فلم يركن المسلمون إلى السكينة بعد تلك الواقعة وإنما تابعوا جهادهم فى جنوب غالة كما حدث من قبل ، وحافظوا على ولاية سيصماتيا من عدوان الفرنجة واتخذوها قاعدة لغزواتهم لبداية توغل جيوشهم فى أرجائها خلال حملاتهم المتعددة على نواحي مدنها ، وستتناول الخطوات الجهادية خلف البرتات بعد معركة البلاط على يدى عبد الملك بن قطن .

فرغم ما أصاب المسلمين من خطب فى موقعة البلاط ، وما كان من وقع ذلك على مقر الخلافة فى دمشق فإن هذه الهزيمة أشبه برجوع المسلمين أمام أسوار القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ، ورغم ذلك كله استمر الخليفة هشام بن عبد الملك فى اهتمامه الكبير بشئون الأندلس ومصير العالم الإسلامى فى الغرب ، فحرص على تولية رجل قدير لبلاد الأندلس ليعمل على حمايتها ويوطد هيبة الإسلام فيها ويستأنف جهاد المسلمين وتوسيعهم فى أوروبا يسترد هيبة المسلمين ، فأسرع فى تولية من يقوم بأمر المسلمين خلفا لسلفه فكانت ولاية عبد الملك بن قطن الأولى (١) .

وقد اختلف فى سنة ولايته فيرى ابن عبد الحكم أثناء حديثه عن ولاية عبد الملك بن قطن أن عبيدة ولى على الأندلس بعد عبد الرحمن ، عبد الملك بن قطن ثم خرج عبيدة إلى هشام بن عبد الملك فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة وكان قدوم

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص ١١٢ .
السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٣٩ .

عبيدة بن عبد الرحمن من إفريقيا سنة خمس عشرة ومائة وفيها أمر ابن قطن على الأندلس ويؤيده في ذلك ابن عذارى^(٢).

ويتفق ابن الفرصى والحميدى والضبي^(٣) أن ولايته كانت سنة خمس عشرة ومائة بعد عبد الرحمن الغافقى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن بإفريقيا وقدم إلى الأندلس في شهر رمضان ستة أربع عشرة ومائة^(٤).

أما صاحب أخبار مجموعة فيذكر أنه ولي عبد الملك بن قطن المحاربى فهر من قريش ولايته الأولى نحو من ستة أشهر لم تطل^(٥).

وهكذا تولى الأمير عبد الملك بن قطن الفهرى ، ويعتبر أحد زعماء القبائل اليمينية فى الأندلس إذ كان رئيسا لقبيلة محارب ويعتبر من حزب أهل المدينة وقد شهد يوم الحره^(٦) وبولايته بدأ دوره للقيام بأعباء الجهاد ، وفى هذا الصدد يذكر شكيب أرسلان : « قام النائب فى الإمارة الذى تركه عبد الرحمن الغافقى فى قرطبة وطير الخبر بهزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء إلى القيروان والى دمشق فانزعج الخليفة لهذا الخطب وأرسل أميرا على الأندلس اسمه عبد الملك بن قطن الفهرى وجهازه معه

(١) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ، ص ٩٣ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

(٣) ابن الفرصى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ، الحميدى : الجذوة ص ٢٨٧ ، ابن حزم : جكهرة أنساب العرب ، ص ٤٥٦ ، الضبي : البغية ، ص ٣٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١١٩ ، المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٧ .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .

(٦) وقعت عام ٦١ هـ فى عهد يزيد بن معاوية وأبيحت المدينة المنورة بواسطة قائد يزيد وهو مسلم بن عقبة المرى وكان من جبابرة العرب ودهاتهم فسار إلى المدينة وفتحها ثم أباحها للجند ثلاثة أيام وأسرف هو وجنده فى القتل والنهب . انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ص ٢١٨ . المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٩٢ . يعقوبى : تاريخ الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٤ .

جيشاً وأمره بالأخذ بثأر المسلمين وشفاء صدور المؤمنين واستنفاد الوسع في هذا الأمر .
فأقبل هذا الأمير على الأندلس يحاول رفق الفتوق ورفوا الخروق وأخذ بجيشه إلى
البيرايه (١).

إذن حرص عبد الملك منذ بداية عهده على أن يكمل فتوحات المسلمين فيما
وراء البرتات ولم تفت هزيمة بلاط الشهداء فيه فخرج بالجيش لاستئناف تلك
الفتوحات ، فأخذ يعمل على إشعال الحماس في نفوس جيشه ليخرجوا بنفوس مشتاقة
للجهاد ومتأهبة له ، فخطب فيهم خطبة رائعة حثهم فيها على فضائل الجهاد وعلو
رتبة الاستشهاد ولكن تلك الخطبة لم تؤت ثمارها فقد فترت حماسهم وهمتهم
وكانوا قد رغبوا عن ذلك الأمر (٢).

أما الحال بالنسبة للمناطق الشمالية في الأندلس فإن أهلها قد انتهزوا مقتل عبد
الرحمن الغاقى ورجوع جيشه فثاروا وحاولوا أن ينزعوا عنهم الإسلام وحكمه فسار
إليهم عبد الملك متجها إلى الثغر الأعلى إلى أراجون Aragon وتقابل معهم في عدة
مواقع هزمهم فيها ثم اتجه بعدها إلى بلاد البشكنس وتعتبر تلك البلاد من أكثر البلاد
ضعفا بالثورات والفتن والمشاكل فقام إليهم عبد الملك وحاربهم حتى أرغمهم على
طلب الصلح (٣) ومن هناك اتجه إلى لانجدوك Laguedoc ، وكان الفرنجة بعد موقعة
البلاط يريدون استرجاعها ويحاولون الإغارة عليها لضمها إليهم فقام عبد الملك بعدة
تنظيمات هامة ثم اتجه إلى أراضي اكيثانيا Aquitaine وهناك اعترضه الدوق اودو
Eude ورده ، ولم يفكر عبد الملك بالتوغل في أراضي الفرنجة لأن جيشه لم يكن

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، رينو : الفتوحات الإسلامية ، ترجمة
إسماعيل العربي ، ص ٧٢ - ٧٣ .

Sherwani : op. cit., p. 35 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٤٦ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، رينو : المرجع السابق ، ص ٧٢ - ٧٣ ،
سيد أمير على : مختصر ، ص ١٥٢ .

(٣) ابن الأثير : ج ٥ ، ص ٨٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٩ ،

المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

ليحتمل ذلك لقلته إلى الجنوب وهناك وأثناء عبور جبال البرتات هاجمته العصابات الجبلية من البشكنس وهجمت عليه وحملته الكثير من الخسائر فارتد إلى قرطبة قبل أن يتمكن من إخضاعها فقد كانوا قوما جبليين شديدي المراس قد صبروا على حروب الجبال والعصابات ومروا عليها لذلك لم يستطع التصدي لهم فهزموه^(١) بالإضافة إلى أن تلك الفترة التي هاجم فيها البشكنس عبد الملك كانت فترة ممطرة فسيبت له الأحوال المناخية هزيمة وقتل في تنفيذ خطته^(٢).

أما إذا القينا الضوء على جيوش الفرنجة بعد انتصارهم يوم البلاط فنجد أنه بالنسبة إلى مقاطعة سبتمانيا كانت في فوضى شاملة بسبب الحروب والاضطرابات التي حدثت بعد هزيمة البلاط ، وانتهاز أهلها فرصة تلاشى أمر الدوق لكي يتوزعوا تلك المناطق فيها خوفا من أن يضمها الدوق إليه وقاموا يطلبون معونة المسلمين .

وكان هناك دوق سمي مارونت أو (مورونتس) Maurontes اتخذ لنفسه لقب دوق مرسيلية Marseille وقام بمحاربة المسلمين ووصلت أطماعه في السيادة على منطقة البروفانس Provance وكذلك أسقف اوكسير Ouxsr وغيرهم^(٣).

أما شارل مارتل فإنه كان قد شغل في تلك الفترة بتثبيت سلطانه في ولايتي برجنديا Burgundia وليون اللتين تم له فتحهما ، وكان المسلمون قد تركوا بعد الهزيمة في فوضى شاملة فقام شارل بضمها إليه وتولية نفر من أتباعه يطلق عليهم المخلصون Laudec أو الخلاء ، ثم انشغل بإخضاع أهل فريزيا Friso^(٤) وقضى وقتا ليس بالقصير ، وقرب إليه جنده وترك ذخائر الكنائس مشاعا لهم^(٥).

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢) رينو : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) Reinaud : op. cit., P. 52 .

(٤) فريزيا Friso شعب جرمانى كانت منازلهم بين بحر الشمال ونهر الراين الأدنى . للمزيد شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٥ .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٧ .

والواقع أن أهالي جنوبي غالة رغم انتصارات شارل مارتل على المسلمين كانوا يكرهون الفرنجة ، لأنهم برابرة في نظرهم في حين أنهم كانوا قد تشبعوا بالحضارة الرومانية ، وهكذا كان هناك اختلاف كبير بين سكان جنوبي غالة وشمالها ، فبينما كانت تسود حضارة البحر الأبيض اللاتينية والبيزنطية في الجنوب كانت تسود الطبقة الجرمانية في الشمال ، ولعل هذا هو سر عدم ولاء أهالي البروفانس للفرنجة والجرمان ، فضلا عن أنهم كانوا يكرهون شارل مارتل الذي لم تسلم كنائسهم من نهب رجاله لها (١).

ثم أرسل عبد الملك بن قطن قائده وحاكم أربونة يوسف الفهرى إلى غالة لكي يتم فتح المدن وأطلقت عليه المراجع النصرانية Jussef فاتفق يوسف مع دوق مرسيليا فعبر نهر الرون واستولى على ارل Arles دون مقاومة عام ١١٧ هـ - ٧٣٥ م (٢) ثم حاصرت الجيوش المتحالفة مدينة فرتا Fretta التي تعرف اليوم بسان ريمي San Remi ثم واصلوا زحفهما حتى بلغوا أفنيون Avignon واستولوا عليها وسميها العرب صخرة ابنيون وتعرف اليوم أفنيون ، ووصل المسلمون إلى نهر دايرانس Du-rance أحد قروع الرون وتقع عليه مدينة أفنيون عند نقطة اتصاله بالرون ، وظل المسلمون يتحكمون في البروفانس طوال أربع سنوات لم يجرؤ أحد على منازعتهم أو التدخل في شؤونهم حتى عام ٢٢٤ هـ (٨٣٨ م) (٣).

وهكذا وقف المسلمون عند هذا الحد واستطاعوا أن يحققوا بقيادة يوسف الفهرى

(1) Reinaud : op. cit., p. 53 - 54 .

Sherwani : op. cit., P. 58 .

حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٧٨ ،

شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٦ ، طرخان : المسلمون ، ص ١٥٩ .

(2) Fichenau (H.) : The carolingian Empire P. 12 - 13 .

رينو : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) رينو : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ، حسين مؤنس : فجر الإسلام ، ص ٢٧٨ ، السيد عبد العزيز

سالم : تاريخ ، ص ١٤٧ .

استعادة جزء عظيم مما كانوا فقدوه بعد موقعة البلاط^(١) ورسوموا سياسة جديدة لحكم ما بأيديهم وهى إقامة حاميات قوية فى المدن وتحسين قلاعها واتخاذها مركز للحكم والحرب كما فى أفينون وارل وغيرها^(٢) .

لذلك سرعان ما تهيأت الظروف للمسلمين وانتقلوا من الوضع الدفاعى فى جنوبى غالة إلى اتخاذ زمام المبادرة من جديد بتلك المناطق^(٣) . وكان أودو دوق اكيثانيا قد توفى سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م فقام شارل مارتل بالاستيلاء على بلاده وخضع له أولاد الدوق وأرغمهم على حلف يمين الطاعة والولاء ووافق شارل أن يخلف أودو ابنه هينود Hunaud فى منصب الدوقية من تبعيته لشارل فأقسم على ذلك وصار تابعاً له^(٤) .

أما شارل مارتل فإنه لم يفكر فى لقاء المسلمين بعد معركة البلاط مما يدل على أن تجربة البلاط لم تكن عسيرة على المسلمين وحدهم بل عليه أيضاً . وكان هو أعرف الناس بأنه لولا تطفنه إلى حيلة مهاجمة معسكر الفتناء لما استطاع كسب المعركة^(٥) .

ونتيجة لكل هذا اطمأن الوالى عبد الملك لجهود قائده يوسف حاكم أربونه ولم يذهب مرة أخرى إلى الة بل اكتفى بمهاجمة قبائل البشكنس بالأندلس وقيل أنهم هزموه فى معركة كبيرة لم تزودنا المصادر بأى تفاصيل عنها^(٦) .

(١) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٦٠ - ١٦٢ ، مؤنس : فجر ص ٢٧٨ .

Sherwani : op. cit., P. 58 .

(٢) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٨ .

(٣) عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٤١ .

(٤) طرخان : ص ١٦١ .

Levi - Provençal : op. cit., I P. 63 .

حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٧٨ ، شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٥) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٧٩ .

(٦) صممت المصادر القديمة عن ذكر الأحداث ولم ترد إلا إشارات عابرة عن عبد الملك لا تفيد الباحث بتفاصيل هذه الأحداث ، لذلك اضطررنا إلى الاعتماد على المراجع الحديثة لامتكمال النقص فى هذه الأحداث .

ويتبين لنا أن أربونة القاعدة الحصينة كانت تؤدي واجبيها في مجاهدة الزعداء وتميز الفتح في بلاد غاله حينما يكون والى الأندلس مشغولا^(١).

وغضب عبد الملك لما حدث مع البشكنس وعاد إلى الحدود ولم يتجشم عناء المسير إلى الرون مرة أخرى ، ولكن تلك الهزيمة كانت عاملا مساعدا في سوء الأحوال^(٢) مما أدى إلى تعثره وعدم نجاحه بالإضافة إلى ما عرف عنه من الظلم والعنف^(٣) فقد كان رجلا سيء السياسة يصفه المقرئ بأنه ظلوما في سيرته جائرا في حكومته فعزل عن ولايته ذميما في شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة^(٤) بعد أن وصلت أخبار هزيمته إلى إفريقيا ثم إلى دمشق مما أدى إلى التعجيل بعزله وكانت ولاية إفريقيا قد صارت إلى عبيد الله بن الحبحاب فعزله وولى بدلا منه عقبة بن الحجاج السلولي^(٥) بعد أن كانت ولاية عبد الملك بن قطن الأولى نحو ستة أشهر لم تطل^(٦) أما ابن عذارى فذكر أن ولايته كانت سنين^(٧).

ونعتقد أن الرأي الأخير أقرب إلى الصحة والمنطق حيث أن الأعمال الحربية التي نمت في عهده سواء في الأندلس أو في غالة لا يمكن أن تكون قد استغرقت ستة أشهر فقط .

وخلاصة القول أن الانتصارات التي حققها عبد الملك بن قطن في الثغر الأعلى

(١) السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ١٤١ .

(٢) مؤنس : فجر ، ص ٢٧٩ .

(٣) أجمع المؤرخون القدماء على وصف ابن قطن بالظلم والعنف وسوء السياسة رغم أن الأعمال التي قام بها لا توضح ذلك حيث أنه حقق نجاحا طيبا في منطقة البيروفانس على يد قائده يوسف الفهري في ولايته الأولى .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ، ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس ، ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ١٨ .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .

(٧) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

وجهاده ضد البشكنس الذين اتصفوا بحب الثورات والقتال والفتن أدى إلى رفع الروح المعنوية في الجيوش الإسلامية والخلافة الأموية ، ولكن توغله في أراضي الفرنجة مع قلة عدد جيشه ثم ارتداده لما علم عدم قدرة جيشه على مواصلة القتال وانهزامه أثناء عبوره جبال البرنات على يد البشكنس مع ظلمه وتشدده جعلت والى إفريقيا يعزله خوفاً من زيادة تفتيت الجيوش الإسلامية وتوسيع عصيان الأقطار الأخرى .

ثانيا : جهاد عقبة بن الحجاج السلولى :

بعد عزل عبد الملك بن قطن الفهرى ^(١) ولى عبيد الله بن الحبحاب عقبة ابن الحجاج السلولى الأندلس . أما لماذا أختار عقبة لولاية الأندلس فهناك رواية أوردها كل من ابن عذارى وصاحب أخبار مجموعة تتلخص فى أن عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر وإفريقيا قدم عليه عقبة بن الحجاج « وكان مولاه فأكرمه ، وبره ، ورفع شأنه وقدره ، وأنزل فى مكانه وخيره فى ولاية ما شاء من سلطانه ، وكان الحجاج أبو عقبة قد اعتنق الحبحاب أبا عبيد الله فولى هشم بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وإفريقية والأندلس فكان له من العريش إلى طنجة إلى بلاد السوس وطنجة والثالث بالأندلس وما بين ذلك ، وكان أحد بنيهم بمصر والثانى بالسوس وطنجة والثالث بالأندلس وكان عبيد الله بإفريقيا ، فلما شرف عبيد الله ، وعلت منزلته وانتشر ذكره وفد عليه مولاه عقبة فأجلسه معه على فراشه ، وأدناه من نفسه وقربه حتى عظمت منزلته فى الناس ، فكان يقصده الطالبون وذوا الحاجات ، يتوسلون به إلى عبيد الله فغصّ به بنو عبيد الله وقالوا لوألدهم : « اصرفه عنا لئلا يكس شرفنا » فما زاده ذلك عنده إلا تعظيما وتكريما وخيره فى ولاية ما شاء من سلطانه فاختر الأندلس فولاه عليها ^(٢) .

وفى رواية مؤلف مجهول : أن عقبة اختار الأندلسى وقال إني أحب الجهاد وهى موضع جهاد ^(٣) .

هذا ما كان من أسباب اختيار عقبة لولاية الأندلس سنة ١١٦ هـ ^(٤) .

(١) وقيل أن عبيد الله بن الحبحاب لم يعزل عبد الملك بن قطن لخيانة أو لتقمة ولكنه أراد أن يسر عقبة بن الحجاج بولايته لذلك عزله وولى عقبة بدلا منه . انظر عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٧ .

(٤) ابن عذارى : جـ ٢ ، ص ٢٩ .

ويذكر المقرئ نقلا عن ابن بشكوال : أن عقبة دخل الأندلس سنة سبع عشرة ومائة وقيل في السنة التي قبلها^(١).

وكان هذا الرجل من طراز كبار الفاضلين العظماء أمثال السمع بن مالك وعنبسة بن سحيم وعبد الرحمن الغافقي يتصف بالتقوى والشجاعة والعزيمة وحب الجهاد .

ويصفه ابن عذارى بأنه كان « صاحب بأس ونحدة ونكاية للعدو وشدة وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام ويقبح له عبادة الأصنام فيذكر أنه أسلم على يديه ألف رجل »^(٢).

ولقد أعاد عقبة إلى الأذهان الصورة التقية للورعة المجاهدة لولاة الأندلس المجاهدين الكبار ممن سبقوه إذا استمر طوال ولايته التي بلغت الخمس سنوات يجاهد المشركين في كل عام ويفتح المدائن حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونه (الرون)^(٣).

وكان عقبة جنديا عظيما نافذ العزم والهيبة محمود الخصال والسياسة كثير العدل والتقوى^(٤) فأقام النظام والعدل ورد المظالم وقمع الرشوة والاختلاس ، وعزل الحكام الظلمة والقاهم في غيابة السجن ، وأقام مكانهم حكاما من ذوى الحزم والنزاهة ، وأنشأ كثيرا من المدارس والمساجد فاستقرت الأحوال وخبت الفتنة وتراضت القبائل واعتزم عقبة أن يعيد عهد الجهاد والفتوحات العظيمة وراء البرت^(٥) لأنه كان يتقصد حماية على الإسلام ويرى في الجهاد قرة عينه^(٦) . فحرص على أن يصلح كل ما لم

(١) المقرئ : النفع ، المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ١٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) المقرئ : المجلد الثاني ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

(٤) المقرئ : المجلد الثاني ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

(٥) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٦) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٦ .

يصلحه عبد الملك^(١) وأن يلم شعث المسلمين فصرف همه إلى اقرار الأمور وتهدئة الأحوال ثم الاستعداد للجهاد وقد بدأ النشاط الحربي الإسلامى فى سبتمانيا يأخذ صورة قوية وفى هذا الصدد يذكر صاحب أخبار مجموعة : أن عقبة افتتح الأرض حتى بلغ أربونة وافتتح جليقية والبة ونبيلونه ولم يبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة^(٢).

ثم قام عقبة بلاهتمام بتحسين جميع المواقع التى يجب تحصينها بعد الفتح فأتجه إلى لانجدوك Languedoc حتى ضفاف الرون Rhone ثم شحنها بالمقاتلة وتوجه إلى شمالى الجزيرة وجعل أول اهتمامه القضاء على الثوار فى اشتوريش^(٣).

ويبدو أن عقبة كان ينوى القيام بحركة كماشة على تلك المنطقة للقضاء كلية على الاضطراب السائد فيها بأن يبدأ بمهاجمة نبره (بمبلونه Pamplona ثم يواصل زحفه غربا إلى كنتيريه Cantabria (البه والقلاع) ثم يتجه إلى اشتوريش Asturias فى الوقت الذى تعاونه فيه الحاميات الإسلامية المقيمة فى جليقية فى الغرب بالزحف شقا فيضعف بذلك مقاومة المسيحيين فى تلك النواحي بتشتيت جهودهم وتفريق قواتهم للدفاع عن أنفسهم فى جبهتين ، وعلى هذا النحو بات مسيحيو اشتوريش وكنتيريه ونبره على وشك أن يواجهوا ضغطا قويا من جانب المسلمين ويشعروا من جديد بقوتهم ووجودهم^(٤).

وحسب تلك الخطة اقتحم عقبة أراضى بمبلونه وفتحها وأقام فيها حامية إسلامية ثم أسكن المسلمين هناك^(٥). وصارت بمبلونة تابعة للحكم الإسلامى مباشرة . ومن

(١) يزعم د. حسين مؤنس أن عبد الملك كان أفسد الأمور ونفر أهل الأندلس عربا وغير عرب مسلمين

وغير مسلمين . مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٧ .

(٣) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ .

(٤) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الأسبانية ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، ابن عذارى : ج ٢ ، ص ٢٩ .

المقرى : نفع الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٢٠ ، ج ٤ ، ص ١٨ .

بمبلونه تابع تقدمه غربا وهاجم أراضى كتشبريه وفتح جزءها الشرقي المعروف بالبه
Alava (١).

ولما أوفى غايته فى هذه الناحية انحدر إلى الشرق فنزل سرقسطة ومنها نحو البرتات
وغالة (٢).

وفى هذا يذكر صاحب أخبار مجموعة فى حديثه عن عقبة وفتوحاته « ولم يبق
بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاى فدخلها فى
ثلاثمائة راجل فلم يزل يقاتلونه ويغارونه حتى مات أصحابه جوعا وقرامت طائفة منهم
إلى الطاعة فلم يزالوا ينقصون حتى بقى فى ثلثين رجلا ليست معهم عشر نسوة فيما
يقال إنما كان عيشهم بالعسل ولاذوا بالصخرة فلم يزالوا يتقوتون بلاعسل معهم
جباح والنحل عندهم فى خروق الصخرة احتوزوا وأعيا المسلمين أمرهم فتركوهم وقالوا
ثلثون علجا ما عسى أن يكون أمرهم واحتقروهم ثم بلغ أمرهم إلى أمر عظيم » (٣).

ومن ثم حرص عقبة على تحصين جميع المواقع الإسلامية بالأندلس حماية لظهر
الجيوش المقاتلة فى غالة واتخذ من مدينة سرقسطة Zaragoza مركزا لتجميع الجيوش
والانجاء بهم إلى خلف البرتات ، متخذًا من الشجر الأعلى قاعدة للانطلاق إلى
غالة (٤).

وواصل عقبة فتوحاته حتى بلغ بالمسلمين اربونة وصار رباطهم على نهر ردونه
« وكان قد اتخذ بأقصى ثغر الأندلس الأعلى مدينة يقال لها اربونة كان ينزلها
للجهاد » (٥) وأعد عقبة جيشا عظيما ليدخل به منطقة سبتمانيا وكانت القوات

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٣ .

Codera : op. cit., 8. P. 121 .

(2) codera : op. cit., 8. P. 122 - 123 .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٢٨ .

(٤) وهذا يؤكد أن المؤرخين قد تغالوا فى الحكم عليه .

(٥) ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ، ص ١١٩ . المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثانى ، الجزء الرابع ،
ص ١٨ .

الإسلامية المرابطة في أربونة بقيادة عبد الرحمن بن علقمة اللخمي^(١) الموصوف بفارس الأندلس تنوبها بشجاعته الفائقة^(٢).

وقد حرصت هذه القوات على القيام بواجبها أيام ولاية عقبة بعد ما رأت ما تكبدته الجيوش الإسلامية في معركة بلاط الشهداء^(٣).

وكان الدوق موروونو مورونتوس Maurontes أمير بروفانس أقوى زعماء هذه المنطقة يحكم ما بين الرون و جبال الألب يطمع في توطيد استقلاله وتوسيع رقعة بلاده على نحو ما كان يفعل أودو دوق أكيتانيا مع العرب لذلك حرص على الاتصال بعدد الرحمن اللخمي وتحالف معه عام ١١٨ هـ / ٧٣٦ م . وعبر معا في جيش مشترك^(٤).

وكان المسلمون بعد أن نبثوا أقدامهم في بروفانس قد تحصنوا في المدائن الكبرى وحولوها إلى رباطات ثم جعلوا يرقبون الحوادث ، فلما أقبل عليهم عقبة بحماسة ورغبته في الجهاد نهضوا معه لفتح البلاد^(٥) واستولوا على مدينة ارل Arles^(٦) ثم اتجهت جيوش عقبة إلى أفينون Avignon رغم حصنتهم فضمت إليهم^(٧) ثم اتجه إلى إقليم دوفينه Dauphine واستولى عقبة على سان - بول - تروا - Saint - Paul - Trois Chateaux - ودونزير Donzair^(٨) ، ثم اتجه نحو الشمال فاستولى على اوسيز Ozes وفقييه Viviers وفالانس Valnce وفييين Vienne وليون Lyon وبرجنديا Burgundy^(٩) وامتد نفوذ الإسلام إلى إقليم دوفينه حتى وصل إلى مدينة

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٣ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨١ ، شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٧ .

(٤) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج١ ، ص ١١٥ .

(٥) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ .

(٦) السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ١٤٣ .

(٧) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٥٦ .

(٨) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ - العدوي : المسلمون والجرمان ، ص ٢٠٠ .

(٩) Sherwani : op. cit., P. 59 - 60 - Reinaud ; Op. cit., P. 57 .

(٩) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج١ ، ص ١١٥ .

بيدمنت Bedment شمال إيطاليا ، وصارت المنطقة الواقعة ما بين الرون وجبال الألب
بلاداً إسلامية^(١).

وهكذا بدأ المسلمون باستعادة مراكزهم فى غالة بعد أن استطاعوا تثبيت سلطتهم
فى كل من سبتمانيا وپروفانس وبرجنديا .

وكان هذا التقدم دليلاً أكيداً على عظم مقدرتهم على الاستمرار فى الفتوحات
فى غالة وعدم استكانتهم بعد بلاط الشهداء . وإنما واصلوا وتابعوا جهادهم وحافظوا
على سائر ممتلكاتهم بل ضموا إليها ممتلكات جديدة^(٢).

ويدو أن احتفاظ المسلمين بمنطقة برغنديا تلك الفترة الطويلة ساعدهم
على تحويل جهادهم من الطريق البرى إلى الطريق البحرى وساعدهم ذلك على
السيطرة على الموانئ البحرية فى جنوب غالة مثل مرسيلية Marselie وماجلون Ma-
gallona^(٣).

ولنا أن نتساءل هل لشارل مارتل بعد انسحاب المسلمين من بلاط الشهداء أن
يترك المسلمين يستجمعون قواتهم ويستولون على المدن ويتقدموا فى زحفهم حتى
لاقوه مرة أخرى ؟ وللجواب على ذلك نذكر أن شارل كان مشغولاً بحروبه ضد
السكسون لذلك لم يستطيع التصدى للمسلمين ولكن بعد أن انتهت حروبه بهدنة
مؤقتة عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م . استطاع التفرغ والسير نحو الجنوب^(٤) ولكنه خشى ألا
يواتيه الحظ كما حدث فى بلاط الشهداء فأرسل يستنجد بملك اللومبارديين فى
إيطاليا لويتبراند Luitprand ليعاونه بجيشه فى قتال المسلمين التحالفين مع دوق
مرسيلية والمسيطرين على جبال دوفينه وبيدمنت شمال إيطاليا . ثم أرسل أخاه شيلدبران
Childabrand لمهاجمة المسلمين فى أفينون Avignon واسترجاع ليون وإخراج

(١) مؤنس : فجر ، ص ٢٨١ .

(2) Reinaud ; Op. cit., P. 57 .

(٣) انظر ماسيلى من الأحداث عن اتجاههم بحريا .

(٤) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨١ .

المسلمين في أفينون Avignon وشدّدوا الحصار واستطاعوا فتح المدينة عنوة^(١) ثم زحفت جيوش الفرنجة صوب مدينة أربونة ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م وحاصروا أسوارها وكان أميرها حسب روايات الغربيين يدعى اثيما Athima ولعله ابن علقمة ، أو الهيثم^(٢) أو هرثمه^(٣).

ولما ترامت هذه الأخبار إلى عقبة أرسل جيشا عن طريق البحر نظرا لوجود البشكنس والقبائل الجبلية على طول جبال البرتات مما شكل حاجزا يمنع ذهاب المسلمين إلى مراكزهم في سبتمانيا برا^(٤) فلم يبق للقوات الإسلامية في غالة إلا أن تتصل بمراكزها في الأندلس عن طريق البحر فقط^(٥) بقيادة رجل يدعى عمر أو عمرو بن أو عامر بن الليث Amor Iben Ailet^(٦).

ويسدو أن شارل مارتل قد علم بوصول النجدة ففاجاه على نهر برى (بير) Berre Fluvio على بعد فراسخ من مدينة أربونة واستطاع أن ينزل بهم هزيمة قوية ، قضى عليهم فيها وقتل قائدهم ولم ينج من المسلمين سوى أفراد قلائل استطاعوا بعد صعوبات جمّة من الوصول إلى سفنهم . أما الباقيون فالتجّهُوا إلى أربونة^(٧).

وحاول شارل مارتل الاستيلاء على أربونة ولكن أهلها تصدّوا له واستماتوا في الدفاع عنها فاضطر راغما إلى رفع الحصر خصوصا بعد أن بلغه قيام الفريزيين والسكسون بالثورة عليه ، وبعد أن أحس بموقف أهل غالة العدائي منه أراد الانتقام

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ١٤٨ ، أرسلان : غزوات ، ص ١٣٧ .
Sherwani : op. cit., P. 57 .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .
Sherwani : op. cit., P. 61 .

(٣) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٢ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ٤١٨ ، أرسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .
Reinaud : op. cit., P. 59 - 60

(٥) سالم : تاريخ ، ص ١٤٨ .
(٦) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٢ .
(٧) مؤنس : فجر ، ص ٢٨٢ .

منهم ليعزى نفسه عن فشله أمام حصون أربونة فقام بالعسف والخراب^(١) لكل ما يصادفه ، ولم يبق عامرا إلا خربه ، وكان مما خربه حصون بيزيه Beziere ووجد Agde ونيم Nimes وماجلون Magallona .

وقد لقيت ماجلون من الولايات الشيء الكثير فهدت أسوارها ، وأطلقت عليها النيران ، مع أن هذه المدن أيام الحكم الإسلامي كانت زاهرا باسمه فحولها شارل إلى فقر ودمار ، وأسر من كان بهذه المدينة من المسلمين وأهل غالة ثم قادهم كرهائن يستخدمهم في الوقت المناسب حتى يرغم أهالي سبتمانيا على خذلان المسلمين وعدم الوقوف معهم^(٢) .

وما كاد شارل يعود إلى الشمال حتى ظهر مورونت دوق مرسيليا Meurontus وأخذ يجدد علاقاته مع المسلمين^(٣) .

وفي ربيع سنة ١٢١ هـ / ٧٣٨ م عبر عقبة بن الحجاج جبال البرتات بجيش ضخمة ونفذ به إلى سبتمانيا Septimanie ثم عبر الرون واسترد مدينة ارل Arles للمرة الثالثة أو الرابعة ثم استولى بمعاونة الدوق مونتوس على أفينون Avignon وعدة معاقل أخرى في البروفانس^(٤) .

وفي تلك الأثناء كان شارل مشغولا بمحاربة السكسون فأرسل أخاه شبلدبراند Chibrand واستغاث بصهره ليتوبراند لغزو بروفانس من جهة الشرق لكي يضيق على قوات الدوق ، ثم اتجه شارل إلى الرون بجيش ثالث واجتمعت الجيوش الثلاثة وزحفت على مواقع المسلمين ، أما عقبة فاضطر إلى إخلاء البروفانس والارتداد إلى ما وراء

(١) مؤنس : فجر ، ص ٢٨٢ . أرسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .

(٢) وكان أهالي غالة يفضلون المسلمين على الفرنجة كثيرا لحسن معاملتهم ولرفعة حضارتهم ، العدو : المسلمون والجرمان ، ص ٢٠١ . حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٤ . شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٠٤ .

(٤) عتاق : دولة ، ج ١ ، ص ١١٦ .

الرون ، وقام الفرنجة بالاستيلاء على معظم سبتمانيا حتى لم يبق بيد المسلمين سوى أربونة وورقة صغيرة من الأرض على الشاطئ بين أربونة والبرتات^(١).

أما دوق مرسيليا فقد طارد الفرنجة في شعاب الجبال حتى فر ناجيا بحياته واستولى الفرنجة على أراضيه وقضوا بذلك على آماله في إقامة دولة مستقلة بعانة المسلمين^(٢).

أما عقبة ففى طريقه هاجمته العصابات القوية من البشكنس والقوط فى أثناء عبوره جبال البرتات إلى الأندلس وحاولت بتحريض الفرنجة أن تسد الممرات دونه ، فاضطر إلى محاربتها ولكن رغم عجزه فى الانتصار عليهم استطاع أن يصل سالما إلى قرطبة رغم تلك الصعوبات التى اعترضته^(٣).

وهكذا أصبح شارل مارتل أقوى شخصية فى غرب أوروبا بعد انتصاره على المسلمين وعلى السكسون ، ولم يعد شارل يقف وراء الملك بلباس محافظ القصر ، بل كان هو الملك الفعلى فى نظر الفرنجة لو لم يتخذ هذا اللقب رسميا^(٤).

وحالفت الظروف شارل مارتل حين مات الملك الميروفنجى فأمسك بيده كل أطراف السلطة وجمد منصب الملك ليتاح له ولأبنائه أن يكونوا ملوك المستقبل .

ثم ابتسم الحظ بوفاة شارل مارتل عام ١٢٣هـ / ٧٤١م حيث استقرت الأمور لتسفر عن تولية ابنه ييبين الثانى Pepin le Bref (القصير) ولكن ظروف وأحوال المسلمين فى تلك الفترة لم تمكنهم من انتهاز مثل هذه الفرصة فرصة موت شارل

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج١ ، ص ١١٦ . العدوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ١٤٠ .

Edward James : op. cit., P. 152 .

Sherwani : op. cit., P. 59 - 60 . Reinaud. op. cit., P. 63 .

(٣) عنان : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٤) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ١٦٣ .

نظرا لقيام الفتنة الكبرى بين العرب والبربر في إفريقيا والأندلس^(١) - والتي سيأتى تفصيلها فى الفصل السادس - فتوقفوا عن إمداد حامياتهم فى غالة وتركوا أربونة بدون حامية لأن حمايتها أصبحت مددا للمسلمين فى فتحهم بالأندلس بعد مقتل عبد الملك بن قطن فى ولايته^(٢).

وتوفى عقبه سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م^(٣) وقيل أنه لم يتوف بل ثار عليه عبد الملك ابن قطن^(٤) وانتهت ولايته نهاية غامضة .

وفى هذا الصدد يذكر المقرئ نقلا عن الرازى : « فثار أهل الأندلس بعقبه فخلعوه فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائة فى خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على أنفسهم عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية^(٥) .

فكانت ولاية عقبه للأندلس ستة أعوام وأربعة أشهر إذ توفى فى صفر سنة ١٢٣هـ^(٦) .

هذا ما كان من جهاد المسلمين على يدى عقبه الرجل الذى اشتهر بحسن السيرة

(١) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٤١ - ١٤٢ . سالم : تاريخ ، ص ١٤٩ .

(٢) أدى خروج عبد الرحمن بن علقمة فارس الأندلس من أربونة وخوضه فى الانقسامات القبلية وصرف طاقة جيشه الذى قدر بأربعين ألفا فى أمور لا تخدم الإسلام وفريضة الجهاد . فخسر أربونة خيرة المجاهدين ، وكان من الأولى أن يستشهدوا فى سبيل الله وأن يستردوا المدن التى سيطر عليها الغاليون على طول نهر الرون ، كما أدت هذه الاضطرابات إلى إماتة روح الحماسة فى الجند المربط فى أربونة ، ثم خروج بعض المدن مثل نيم وماجلون وبيزيه واستقلالها ، كما استقلت بعض إمارات البرقات مثل النافار وكتثريه .

للمزيد . شكيب أرسلان : ص ١٤٢ - ١٤٤ . السامرائى : الفتح ص ١٤٧ . مؤنس : بلاى ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣) مؤنس : فجر ، ص ٢٨٧ . عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٩ . النويرى : نهاية الأرب ، ورقة ٢٢ . المقرئ : المجلد الأول ، القسم الزول ، ص ٢٢٠ .

(٥) المقرئ : المجلد الثانى ، المجلد الرابع ، ص ١٨ .

(٦) المقرئ : المجلد الثانى ، ج ٤ ، ص ١٨ .

والرفق والعدل بالناس وقضى معظم ولايته فى الجهاد واتسعت فتوحاته وكان يجاهد كل عام ولا يترك فرصة دون أن يحارب فى سبيل الله ، وهناك حقيقة هامة يجب ذكرها وهى أنه بالرغم عما قيل عن شخصية عقبة وبلائه فى الحروب وحسن جهاده إلا أن الرواية الإسلامية التى لدينا والمتمثلة فيما أورده المقرئ وابن عذارى ومؤلف مجهول لم تلق الضوء الكافى لتوضيح الصورة الجهادية العظيمة لعقبة ، وكل ما كتب عن تلك الفترة يعتمد على الروايات الأوروبية التى لا تبعد عن المبالغة وتضخيم وتهويل الأحداث التى ترتبط بانتصار الفرنجة على جيوش عقبة فى غالة .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل السادس

أسباب تعثر الجهاد خلف البرت

- أولا : أثر توزيع السلطة في جهاد الطلائع خلف البرت .
- ثانيا : أثر العصية القبلية .
- ثالثا : أثر ثورة البربر في تعثر الجهاد خلف البرت .
- رابعا : أثر التجمع المسيحي في اشتوريش وغاليسيه .

أولا : أثر توزيع السلطة في جهاد الطلائع خلف البرت :

كان لاستدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد وهما على أبواب جبال البرت أكبر الأثر في عدم اتمام الفتح الإسلامي وتثبيتته في شبه الجزيرة الأندلسية^(١) ولكن هذا لا يعنى توقف الجهاد الإسلامي بل حرص الولاة الذين جاءوا من بعدهما وخصوصا عبد العزيز بن موسى بن نصير الذى نلمس فى ولايته مدى حرصه على بذل الجهود الواضحة لاتمام مسيرة المد الإسلامي إلى ماوراء جبال البرت وانتقال ميدان الجهاد إلى الأرض الكبيرة .

ولا يخفى أن اغتيال عبد العزيز بن موسى كان فاتحة عهد مضطرب ومشوش فى تاريخ الولاية الأموية فى الأندلس وفى تاريخ المد الإسلامي فيما وراء البرتات ، فقد كان من أبرز سمات تلك الفترة عدم الاستقرار السياسى والتناقضات القبلية والعنصرية التى وجدت طريقها للظهور والانفجار خصوصا بعد فراغ السلطة فجأة من كبار رجالها ومؤسسيها من أمثال موسى وطارق وعبد العزيز^(٢) .

وتعد فترة الولاية التى بدأت بعودة موسى وطارق ٩٥هـ / ٧١٤م إلى عاصمة الخلافة بدمشق إلى أن انتزع الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) مقاليد الحكم فى البلاد عام ١٣٨هـ / ٧٥٦م من أصعب الفترات فى تاريخ الأندلس ، فعلاوة على الصراع الذى تميزت به فقد كانت فترة تثبيت للإسلام فى تلك المناطق النائية ، وكانت الأندلس حتى ذاك الوقت تعد إمارة غير مستقلة عن الخلافة فى دمشق^(٣) . وكما يتبعها من حكومة إفريقية إذ كانت الحكومة الإسلامية مرجعها القيروان فى إفريقيا .

وكانت حكومة إفريقية تابعة لدمشق دار الخلافة الإسلامية فلم يكن من الممكن فى ظل سلطة موزعة بين دمشق والقيروان وقرطبة إلى هذا الحد وهذا التعدد أن يستتب

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٦ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ٢١٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١١٨ .

النظام بالأندلس وأن يقوم على الطاعة رجال نشؤوا فى ظلال السيوف والقوة^(١).

وبالإضافة إلى توزيع السلطة بين ثلاث مراكز ، لم تكن هناك قاعدة ثابتة أو نظام واضح يتبع عند تولية الحكام وهذا يكفى لأن يكون سببا من أسباب شيوع الأطماع والفوضى فى الرغم من أن الأندلس كانت ولاية تابعة لحاكم إفريقيا العربى الذى يعين لها من يختاره إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة دائما إذ كانت الخلافة فى دمشق كثيرا ما تتدخل دون علم ورأى الحاكم فى إفريقيا لتولى وتعزل من تشاء .

وفى هذا الصدد يذكر ابن خلدون أنه بعد اغتيال عبد العزيز بن موسى وتولييه أيوب بن حبيب « تتابعت ولاية العرب على الأندلس فتارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله على القيروان »^(٢).

كما حدث فى ولاية السمع بن مالك الخولانى فنجد أن ولايته جاءت من قبل الخلافة مباشرة أى من قبل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه^(٣).

ولا يعنى ارتباط ولاية الأندلس بإفريقيا وبالخلافة المركزية فى العاصمة دمشق الرغبة فى أموال هذا البلد الطائلة بل العكس لم يثبت أن الأندلس حولت أموالها إلى دار الخلافة قط . لذلك اعتبرت الأندلس إمارة غير مستقلة تتبع الخلافة الأموية بدمشق ويحكمها وال يتبع والى إفريقيا من الناحية الإدارية^(٤).

ولو تتبعنا تلك الفترة التى تعرف بفترة الولاة ٩٢ - ١٣٨ هـ ، لوجدنا أنه تولى خلالها اثنان وعشرون واليا ، حكم واحد منهم مرتين ومعنى ذلك أن متوسط مدة الوالى كانت أقل من سنتين وهذا وحده كاف لإعطائنا فكرة عن عدم الاستقرار الذى ساد البلاد فى تلك الفترة^(٥).

(١) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٩٠ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح ، ص ٣٨ .

(4) Harron Khan Sherwani : P. 29 .

(٥) المقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

وإذا تتبعنا طريقة تعيين هؤلاء الولاة^(١) وجدنا أنها قد اختلفت من واحد لآخر فهناك تعيينات مباشرة من قبل الخلافة في دمشق كما في حالة السمع بن مالك الذي أمر بتعيينه الخليفة عمر بن عبد العزيز^(٢) ومنهم من عين من قبل ولة شمال إفريقيا كما في حالة الوالى عنبسة بن سحيم الكلبي ويحيى بن سلمه الكلبي وحذيفة بن الأحوص الأشجعي وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي وعقبة بن الحجاج السلولي^(٣).

وهناك تعيينات فرضت من قبل مسلمي الأندلس أنفسهم ومن أمثلة هؤلاء بلج بن بشر القشيري وثعلبة بن سلامة العاملي وثوابة الجذامي الذين اختيروا من قبل الشاميين بالأندلس^(٤).

وهناك مجموعة أخرى اختيرت تبعا لرغبة الأغلبية من المسلمين في الأندلس أمثال أيوب بن حبيب اللخمي ، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (في ولايته الأولى) وعذرة بن عبد الله الفهري ومحمد الأشجعي ، ويوسف الفهري^(٥).

وهكذا كانت عملية تولية الولاة وعزلهم بتلك الصورة السريعة ذات أثر في

(١) أورد الماوردي في الأحكام السلطانية بابا في تقليد الإمارة على البلاد وذكر أنه إذا قلد الخليفة أميراً على أقليم أو بلد كانت إمارته على ضربين عامة وخاصة . فأما العامة فعلى ضربين : إمارة استكفاء تعقد عن اختيار ، وإمارة استيلاء تعقد عن اضطرار .

فأما الإمارة الخاصة : فهو أن يكون الأمير مقصور الإدارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة ، والذب عن الحرم .

وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام والجباية والخروج والصدقات . وأما إمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار فهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها .

وهذه هي أنواع الإمارات .

للمزيد انظر : الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠ - ٣٣ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٩ - ٣٤ . مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ ، ابن خلدون :

العبر ، ج٤ ، ص ١١٨ . المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٠ - ٤٤ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٣٤ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٧ - ٢٩ ، ابن خلدون :

العبر ، ج٤ ، ص ١١٨ . المقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

اضطراب حبل الإدارة ، وفى توقف الجهاد فيما وراء جبال البرتات ، لأن الثبات فى المنصب شرط من شروط نجاح حركة الجهاد . فلما صار الحكم إلى بنى أمية فى قرطبة واستقر بها ملكهم وتوطد سلطانهم ورسخت الهمم واستتبقت القواعد وعظمت الدولة بالأندلس وانضبط أمر الجزيرة^(١) .

ونتيجة لتردد تبعية الأندلس بين الأشراف المباشر للخلافة عليها وبين ولاية الشمال الإفريقى حسب حاجة الأندلس والأحوال فى الداخل والخارج كانت النتيجة اضطراب الأمور وسوءها لذلك نجد أن توزع السلطة بين المراكز الثلاثة وما يفصل بينهما من مسافات شاسعة كان له أعظم الأثر فى تعثر جهاد الطلائع الإسلامية خلف جبال البرتات ، بالإضافة إلى الاضطرابات السياسية العامة لبنى أمية التى سادت بعد وفاة الوليد بن عبد الملك ، ووقوع البلاد فريسة للعصابات القبلية والشخصية فكان لابد لهذا كله من أن تظهر آثاره جلية فى القلق^(٢) .

والاضطراب الذى ساد المغرب والأندلس فى تلك الفترة^(٣) وبالإضافة إلى ذلك هناك مشاكل الحكم فى الأندلس نفسه فهو بلد فسيح دخله المسلمون فى وقت بلغت فيه مظالم القوط ذروتها فى الاضطهاد والجبروت فكان على المسلمين أن يعالجوا مشاكل جمّة ومهمات ضخمة بجانب اتمام الفتح وإقراره مواكبة للتبدل الذى طرأ على الأندلس بعد انتشار الإسلام .

وكان نتيجة لتفشى مظاهر الضعف فى السلطة المركزية فى دمشق أن حرمت بلاد الأندلس المرتبطة بتلك المراكز من التوجيه الصالح والإدارة الطيبة فانصرف الولاة عن الأعمال الهامة التى تتطلب منهم الموقف الراهن فى ولايتهم ، وخصوصاً حين نعلم

(١) شكيب أرسلان : الحلل السنمية ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٣٣ - ١٣٤ . حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٢ .

(٣) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٣٢ - ١٣٤ . مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ . العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٥٩ .

أن الأحوال فى غرب الدولة الإسلامية ، وفى الأندلس خاصة تحتاج إلى جهود جبارة لإقرار النظام وتدعيم سلطان الخلافة بكل منها قبل الشروع أو التفكير فى مشاريع حرية خلف جبال البرت ذلك أن هذا الميدان البعيد لن يتم فتحه إلا على سواعد المسلمين القوية فى غرب الدولة . كما أنه لا يمكن الاستمرار فى متابعة النشاط الحربى فيه دون تأمين القاعدة والأساس الذى تستطيع أن تنطلق منه الإمدادات اللازمة لحاجة التوسع الإسلامى فى الأرض الكبيرة ، ولابد أن يكون ذلك ماثلاً أمام أعين ولاة الأندلس لاتخاذ كافة الاحتياطات وخصوصاً حين نعلم أن تلك الفترة ظهرت فيها بعض الفتن والقلال بين طبقات المجتمع الجديد فضلاً عن ظهور مطامع القوط^(١) .

ومن الواقع أن هناك قضية هامة ذكرها معظم مؤرخى الإسلام وهى قضية خوف الخليفة عمر بن عبد العزيز على المسلمين فى غالاً فقد كان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانتقاطهم وبعدهم عن أهل كلمتهم^(٢) وطلب من واليه هناك السماح ابن مالك الخولانى « أن يكتب له بصفتها وانهارها وبحارها »^(٣) .

وليس معنى تخوف الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على المسلمين أن يتوقف جهاد المسلمين فيما وراء البرت ولكنه يؤكد مدى حرصه على قوة المسلمين والمحافظة على أرواحهم إلى جانب ذلك كان يشعر بغريتهم البعيدة أو يبعد المستقبل عن جانبهم فرغب فى إرجاعهم وإخلاء غالة من أجل سلامتهم مع أنه كان من أكثر الناس حرصاً على نشر الإسلام وتوسيع رقعته ، ولم يكن المسلمون قد تورطوا بصورة كبيرة فى الخصومات القبلية ولم تقع بينهم الحروب الأهلية ، ولم يكن عددهم قد أصبح يشكل خطاً عليهم ، وإنما كان من رأى الخليفة أن الأندلس جزء متسم

(١) محمد عبد الله عنان ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٢) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح ، ص ٣٨ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ٢٣ . المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٤ .

(٣) ابن القوطيه : ص ٣٩ .

لإفريقيا وأن الخلافة الأموية لا تباشر الإشراف عليه وأنه جزء مجهول من بلاد المسلمين البعيدة ، وأن أخبار تلك البلاد لا تصله إلى بقدر ما يصل من شكاوى أهلها الوافدين عليه بالشام ، وأنه ربما بالغ الناس في الشكرى فظن الخليفة أن بلاد الأندلس تعاني من المشاكل العديدة وأن المسلمين هناك يعانون من الغربة ومن اختلاف وسائل المعيشة واختلاف الطبيعة الجغرافية ، وازدحام المجتمع بعناصر بشرية مختلفة ، وتلك الفترة التي وجد فيها المسلمون هناك لم تكن كافية للاستقرار في تلك المناطق البعيدة وسط شعب غريب عنهم .

وهكذا كان ميل الخليفة عمر بن عبد العزيز لإحضارهم كنوع من الحذر والخوف على سلامتهم ولكنه بمجرد الاطمئنان عليهم ، وبعد أن وصلت الأخبار المطمئنة عن قوة الإسلام وكثرة مدائنه وشرف معاقله تركهم هناك وعدل عن قراره^(١) .

ثانيا : أثر العصبية القبلية :

موضوع الصراع بين الفرعين الكبيرين العربيين المضرى واليمنى موضوع واسع متعدد الجوانب والأبعاد فجذور تلك العصبية كانت منذ العصر الجاهلى عصر ما قبل الإسلام ، فقد كانت الرئاسة لعصور طويلة قبل الإسلام في حمير وتبع أعظم القبائل اليمنية ، وكانت لهم دولة ومنعة وحضارة زاهرة ، بينما كانت مصر بدوا متأخرين يخضعون لحمير ويؤدون الاتاوات لهم . وكنت بينهما خصومات وحروب مستعرة طويلة الأمد إذ كانت حمير تعمل للاحتفاظ برياستها ووطنها ، وتجاهد مضر في سبيل استقلالها وحريتها^(٢) ، ولنا في أيام العرب ووقائعها المشهورة أمثلة شاهدة لهذا النضال ويقرر ابن خلدون أنه استمرت الرياسة والملك في هذه الطبقة اليمنية أزمنة وآماد بما كانت صبغت بها لهم من قبل ، وأحياء مضر وربيعة تبع لهم . فكان الملك

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح ، ص ٣٨ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٨٧ .

بالحيرة للخم فى بنى المنذر ، وبالشام لغسان بن جفنه ، وبشرب كذلك فى الأوس والخزرج وما سوى هؤلاء كانوا ظلوا عن بادية واحياء ناجعة وكانت فى بعضهم رئاسة بدوية وراجعة فى الغالب إلى أحد هؤلاء . ثم نبضت عروق الملك ، وظهرت قريش على مكة ونواحي الحجاز ، أزمنة عرفت فيها منهم ودانت الدول بتعظيمهم ثم صبغ الإسلام أهل هذا الجيل ، فاستمالت صيغة الملك إليهم وعادت الدول لمضر من بينهم واختصت كرامة الله بالنبوة بهم ، فكانت فيهم الدول الإسلامية كلها إلا بعضا من دولها قام بها العجم اقتداء بالملة وتمهيدا للدعوة^(١) .

وهكذا أسفر ذلك النضال عن ظهور مضر وتحول الرئاسة إليها مع ظهور الإسلام وأصبحت قريش زعيمة المضرية بعد أن لبثت اليمنية عصورا طويلة فيها ، وعملت المضرية على الاحتفاظ برياستها ، وحرصت اليمنية على انتزاعها منها ، وكانت مسألة اللغة أيضا من أسباب الخلاف ذلك أن لسان حمير كان أصل اللغة العربية التي اعتنقتها مضر ونزل بها القرآن على النبي المضرى فأصبحت اللغة من مفاخر مضر ، إذ كانت لهجات القبائل الأخرى قد فسدت بالاختلاط بالأثم المجاورة الأعجمية كالفرس والروم والأحباش بالإضافة إلى التباين الشديد فى الطبائع والخلال مما كان يركى بينها أسباب النفور والتباعد . صحيح أن الإسلام جمع بينهم ووجد صفوفهم ولطف أسباب الخصومة التي تعصف بوحدة المجتمع الإسلامى^(٢) . وكان هذا الخلاف أشد ما يكون فى الولايات التي افتتحها المسلمون فى الأقطار القاصية ، ففتحت تلك العصبية أمام القبائل والأجناس مجالا للتنافس والتطاحن وكان هذا شأن المجتمع الإسلامى الذى قام عقب الفتح فى الأندلس وعقب انصراف كبار الفاتحين العظماء أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير وعبد العزيز بن موسى وبذهاب هؤلاء بدأ المجتمع الجديد الذى جمع الإسلام شمله مدة طويلة ومزج بين عناصره ووضح فيه أنه لا فرق بين عربى ولا أعجمى إلا بالتقوى بدأ هذا المجتمع بجيش بمختلف الأهواء والنزعات تمزقه فوارق

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

الجنس والعصبية وكان البربر الذى يتألف منهم معظم الجيش كثيرا ما يرفعون لواء العصيان والثورة على العرب وخصوصا بعد أن راجت دعوة الخوارج فى إفريقيا منذ أواخر القرن الأول وداعت مبادئهم الثورية بسرعة لحدائنة عهد البربر بالإسلام فتعددت طوائفهم واشتد الخلاف والجدل بينهم وفسد من جهة أخرى ما بينهم وبين العرب من علائق الإخاء والمودة وكثرة نزوعهم إلى الثورة^(١).

ويشير ابن خلدون إلى ذلك صراحة « ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدأبوا بها ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الاباضية والصفورية ، وفشت هذه البدعة وعقدها رؤوس من العرب ، وجرت ، ودعوا إلى قائدهم طغام البربر تتلون عليهم مذاهب كفرها ، ويلبسون الحق بالباطل ، إلى أن رسخت فيهم عروق من غرائسها ، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمر العرب »^(٢).

واشتد تحريض الخوارج على حكومة بنى أمية فى إفريقيا ، وتوالى الثورات والحروب حيناً وكان لذلك صدها فى الأندلس ، خصوصاً بين البربر الذين يتألف منهم معظم الجيش ، فاضطرب أمر الحكم والنظام فى الأندلس . وذكا الخلاف بين الزعماء والقادة وأصبحت حكومة الأندلس عرضة للخروج والثورة ، وذهب ضحية هذه الفترة العمياء كبار من القادة والزعماء^(٣).

هكذا كان وضع البربر ولكن لو تتبعنا سياسة خلفاء بنى أمية حول هذا الموضوع لوجدنا أن مأساة النظام الأموى تتجسد بذهنيته التعصبية التى تبناها الخلفاء منذ عهد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما إلى آخر خلفاء بنى أمية كما يدعى البعض فقد اعتمد معاوية فى حساباته السياسية على تطاحن القبائل وابقائها ضعيفة حتى لا

(١) للمزيد عن أخبار الخوارج وفرقهم راجع الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٦٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١١٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١١٠ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٩ . العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٥٩ .

تقوى عليه من نزعة خاصة نحو الحزب اليمنى ومصاهرته للكلبيين أقوى قبائل هذا الحزب ، ولكن معاوية بما عرف عنه من ذكاء ودهاء حادين كان يتقن جيد لعبة التوازن بين الحزبين ، فهو على الرغم من اعتماده على اليمنيين وإعطائهم الأولوية فى مناصب الجيش والإدارة لم ينس أو يتردد فى التعامل مع القيسيين وتقريبهم من خلال الرؤية نفسها فاتخذ حاكما لدمشق منهم وهو الضحاك بن قيس الفهرى وخصوصا إذا علمنا ما كان لهذا المركز من أهمية مع الأقاليم الأخرى فى الشام فسارت الأمور على عهده على خير ما يرام ولكن تلك اللعبة لم تستمر مع خلفه بل فقدت قوتها على الاستمرار بعد غيابيه وتحولت تدريجيا إلى خط واحد هو الخط اليمنى ، فيزيد بن معاوية حرص على تسخير جميع أجهزة حكمه لمصلحة أخواله الكلبيين ، وأخذ الصراع القبلى أبعاده الخطيرة بعد مته . ويتنازل معاوية الثانى شر منصب الخلافة فى دمشق ، وظل الأمويون وقتا قبل أن يوحدا موقفهم مع مرشح الخلافة ولكن دون أن يفقدوا دعم القبائل اليمنية حتى فى أصعب الظروف وأمرها ، وفى المقابل كانت القيسية تقف بكل ثقلها مع عبد الله بن الزبير الذى أعلن نفسه خليفة فى مكة . وفى مرج راهط^(١) سنة ٦٥هـ انفجر الصراع فى معركة عنيفة انتهت بهزيمة ساحقة للقيسين الذين فقدوا كبار زعمائهم وعلى رأسهم الضحاك الفهرى ، وانتصر الحزب اليمنى وعلى رأسه مروان بن الحكم فكانت هذه المعركة موقدا لنار العصبية بين الجنود العرب القيسيين واليمنيين ، ودافعا لتبادل الأخذ بالثأر بين الجانبين منذ ذلك الوقت حتى نهاية الدولة الأموية وظهرت تلك العصبية بصورة سيئة فكانت جرثومة الخطر التى نقلت معهم إلى الأقطار التى فتحوها ففتشت فى جيرانهم وأعوانهم من البربر^(٢) .

(١) مرج راهط :- وقعت فى المحرم سنة ٦٥هـ ، وذلك بعد أن تمت البيعة لمروان بن الحكم وتقابل فيها مع جيوش الضحاك بن قيس الذى كانت تعزز قوات أهل الشام وتم النصر لمروان بن الحكم ، وكان نصرا حاسما وتقهقرت جيوش الضحاك ، وكان من أثرها تحامل نفوس القيسية على اليمنية نتيجة لما أصابهم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٣٧ - ٤٣ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ . ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٧٢ . إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى إسبانيا ، ص ١٠٠ - ١٠١ مصطفى أبوضيف أحمد : القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبني مرين ، ص ٣٧ - ٣٨ .

وهكذا حفظ الخليفة الأموي الجديد مروان بن الحكم مشاعر الود والتقدير للقبائل اليمنية وللكليبيين بصفة خاصة ، وأصبح هذا الشعور دينا على عاتق الخلفاء المروانيين الذين مالوا إلى تأييد الحزب اليمني باستثناء يزيد بن عبد الملك القيسي النزعة وابنه الوليد بن يزيد ، وكذلك مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية ، ولم يتحرر من تلك العصبية العمياء سوى الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان له مفهومه الخاص في الحكم^(١).

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن ما هو أثر هذا الصراع القبلي على جهاد الطلائع خلف البررات ؟ . وللإجابة على ذلك نذكر أن الدولة الأموية تطورت في سياستها القبلية التعصبية دون أن تقدر أبعاد تلك السياسة العمياء وآثارها على مؤسسات الحكم كلها وخاصة في بلاد الأندلس ويظهر ذلك جليا بعد رحيل موسى بن نصير إلى دار الخلافة في دمشق ، لأن موسى استطاع بسياسته الحكيمة أن يحقق صورة متكافئة لأهدافه في نشر الجهاد والإسلام بعدم تعصبه وتحيزه للعرب أو البربر فسارت العلاقات حسنة وطيبة بين الفاتحين فائمرت كل تلك الفتوحات العظيمة وسار البربر مع إخوانهم من العرب جنبا إلى جنب وكانوا لهم سندا قويا^(٢).

ولكن بعد رحيل موسى برزت تلك التناقضات داخل الطبقة العليا أي الحكام والتي سهلت من مهمة الثار فبرزت تلك التناقضات في صورة أحياء للعصبيات القبلية والنعرات العنصرية وكان ظهورها محكوما بالمصالح الاقتصادية إلى حد كبير ، أما الخصومة القبلية فقد عادت بين القيسية واليمنية وكانت الخلافة الأموية مشغولة عن ذلك إلى أبعد الحدود إذ شجعت على إذكاء الضغائن بقصد إحداث نوع من التوازن يكفل لها الاستمرار والبقاء من وجهة نظرها فهي تارة تتعصب للقيسية وأخرى تشايح

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٤٣ .

(٢) المقرئ : نفخ الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٨ ، محمود شيت خطاب : المغرب

العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٢ ، سعد زغلول عبد الميد : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

إبراهيم العدوي : موسى بن نصير ، ص ١١٠ .

اليمنية وكان ولائها في المغرب والأندلس يتعصبون إلى بنى جلدتهم ويؤثرونهم بالحظوة ويضطشون بمن عداهم^(١).

ولو تتبعنا سياسة الخلافة وأثرها في بث التفرقة والعنصرية بين القبائل لظهر ذلك لنا جليا منذ ولاية سليمان بن عبد الملك الخلافة ، ففي رحيل موسى بن نصير وولاية ابنه عبد العزيز نلمس بوادر ظهور العصية وإحيائها في الصدور ، يقول ابن خلدون في هذا الصدد « أنه كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف وتنازع »^(٢) ولا شك أن هذا انعكاس للصراع الذي يدور بين القبائل اليمنية بوضوح مغزى الترويج لقصة تنصر عبد العزيز بن موسى المزعومة عن طريق زوج زياد بن النابغة التميمي زعيم قبيلة تميم^(٣) أهم قائل عرب الشمال ضد زعيم قبيلة لخم اليمنية التي آلت إليها أمور الأندلس .

واستطاع والي القيسي محمد بن يزيد والي إفريقيا من قبل سليمان بن عبد الملك أن ينكل بآل موسى واليمنية معا^(٤) . وبعد القضاء عليهم ولي الأندلس من قبل أهلها أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير الذي أجمع على ولايته زعماء القبائل العربية ورؤساء الجند واستمرت ولايته ستة أشهر^(٥) . ثم إقالة محمد بن يزيد والي إفريقيا واستعمل على الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي وكان والي إفريقيا يولي على الأندلس من أحب^(٦) . وقدم الحر في جماعة كبيرة من وجوه

(١) محمود إسماعيل : التفسير الاجتماعي لثورة المغاربة ، ص ١٤٥ . ذوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ص ٣٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

(٣) للمزيد عن قصة تنصر ابن عبد العزيز بن عبد الحكم : فتوح إفريقيا والأندلس ، ص ٨٤ .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٠ . ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤ . ابن تغري

بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٤) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ٩٤ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥ . السلاوي : الاستقصا ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٧ .

وزعماء عرب إفريقيا ووصل عددهم إلى اربعمائة وعدت هذه الطالعة من طوابع الأندلس المعدودة^(١). ولم تتبع الحر عصبته التي رأت بعد استقراره وثباته في البلاد اللحاق به ، وكانت الأندلس حتى ذلك الوقت مرتبطة ارتباطا كاملا بالشمال الإفريقي^(٢).

وبوفاة سليمان بن عبد الملك وولاية عمر بن عبد العزيز في ربيع الأول سنة تسع وتسعين استعمل على إفريقية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر فأقام بها واليا سنة مائة وسنة إحدى ومائة في خلافة عمر بن عبد العزيز^(٣) وولى الأندلس السمع بن مالك الخولاني^(٤) وعمر بن عبد العزيز هو الخليفة الوحيد الذي عرف بحياده والتزامه وعدم تفرقة وتعصبه لفريق دون آخر ، وبوفاته وبولاية يزيد بن عبد الملك سنة إحدى ومائة تبدأ بوادر العصبية التي أدت إلى الانقسام والتفرقة والتحيز وإضعاف البيت الأموي كله وانهيائه تدريجيا فيما بعد ، فقد كان يزيد مضرب الميول تعقب اليمنية بألوان الأذى حتى نفروا منه ومالوا إلى أعدائه وامتلاّت نفوسهم ثورة عليه وعادت إليهم أحقاد مرج راهط وتحركت في قلوبهم ناراتها بعد أن امتحنهم ولقوا منه عنتا شديدا ومما زاد الطين بلة أنه أقام على إفريقية يزيد بن أبي مسلم وكان يزيد هذا من غلاة القيسية ففي عهده حلت الاضطرابات والعنف والبغضاء فقد كان شديد التعصب لأنه كان تلميذا للحجاج بن يوسف الثقفي وأراد القيام بتطبيق سياسته العنيفة على المستويين الداخلي والخارجي مما أدى إلى اغضاب الجميع حتى حرسه الخاص الذين قاموا بالتخلص منه سنة ١٠٢هـ / ٧٢١م^(٥) وبالقضاء عليه ولى

(١) ابن عذارى : ج ٢ ، ص ٣٥ ، المquiry : المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ١٣ .

(٢) المquiry : المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ١٣ .

(٣) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا ، ص ٩٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٣٥ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقيا والأندلس ، ص ٨٨ - ٨٩ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمضرة ،

ج ١ ، ص ٢٨٦ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص

٤٨ . ابن تغري بردي : النجوم الزارة ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

يزيد بن عبد الملك على إفريقيا بشر بن صفوان فقدمها سنة ثلاث ومائة وعندها توفي يزيد بن عبد الملك فأقرها هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان على ولايته لأن ميوله كلبية يمنية^(١). وكانت سياسة استئصال الخصوم وجمع الأموال والاستجابة لأهل الأندلس في تبديل الولاة وتغييرهم باستمرار لذلك ولى بشر على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي من بني عصبه ١٠٣ - ١٠٧ هـ . وعذره بن عبد الله الفهري من عام ١٠٧ هـ إلى شوال ١٠٧ هـ ثم ولى يحيى بن سلمة الكلبي إلى ربيع الأول ١١٠ هـ حكم خلالها وتعصبوا لقومهم واوغروا صدور القيسية^(٢).

وهكذا أخذت سياسة العصبية المقتية تعصف بالدولة الإسلامية بالأندلس فإذا كان العامل قيسيا انحاز للقيسية واضطهد الكلبية اليمنية وآذاها وشرداها وكتب عليها الشقاء وإذا كان العامل يمينيا انحاز لليمنية واضطهد من سواهم .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه السياسة التعصبية من قبل اليمين أن قامت ثورة القيسية بالأندلس وكانت صدورهم موغرة حائقين على تلك السياسة وخصوصا أن الكثير منهم كانوا قد حضروا مرج راهط ورأوا بأعينهم استئصال القيسية ومن ثم كانوا ينتظرون الفرصة ليسوا حسابهم القديم مع اليمينيين ولم تكد مدة حكم هؤلاء اليمينيين تقارب على الانتهاء حتى فاضت قلوب القيسية بالحقدهم عليهم^(٣).

وفي أثناء ولاية هشام بن عبد الملك الذي أظهر في مستهل حكمه ميلا إلى اليمنية ثم ختمه بالعطف على القيسية لأنه عرف كيف يستميلهم للرضا عن حكمه فقام بعد أن شعر بضيق القيسية وتذمرهم قام بتولية رجل منهم وهو عبيده بن عبد الرحمن السلمى ولاية إفريقيا ، وأثار وصول عبيدة وولايته ثورة كبيرة واضطرابا شديدا بين اليمنية الذين كانوا قد اطمأنوا في العقود التي مضت إلى ولايتهم من

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) مؤلف مجول : أخبار مجموعة ، ص ٢٤ - ٢٥ .

اليمنية^(١) لذلك فوجئوا بتوليته وخصوصا إذا علمنا أن عبدة السلمى كان من غلاة القيسية وكانت سياسته مبنية على التعصب والعنف وفى هذا الصدد يذكر النوبرى «أن عبدة بن عبد الرحمن لم يكذب يوصل إلى إفريقيا حتى أخذ عمال بشر بن صفوان فحسبهم تحامل عليهم وكان فيهم أبو الخطار بن ضرار الكلبي»^(٢).

وكان قائدا جليلا ورئيسيا وشريفا فى قومه مع فصاحة وبيان وقول حسن للشعر لذلك استصرخ أبو الخطار الخلافة لأنقاذهم من محتهم مذكرا الخلافة الأموية بأفضال اليمنيين عليهم متعرضا بشعره ليوم مرج راهط وما كان من بلاء الكليبيين فيه مع مروان بن الحكم وقيام القيسية مع الضحاك الفهرى^(٣) على مروان فقال :

أفأتم بنو مروان قيسا دماءنا

وفى الله إن لم ينصفوا حكم عدل

وقسيناكم حرّ القنا بصدورنا

وليس لكم خيل سوانا ولا رجل

فلما بلغتم نيل ما قد أردتهم

وطابت لكم فيها المشارب والأكل

تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم

صديقا وأنتم ما علمت لنا وصل^(٤)

(١) ابن عذارى : البيان ج ٢ ، ص ٣٦ - ٣٧ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢ . المقرئ :

نفخ الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٢) النوبرى : نهاية الأرب ، ورقة ٨٦ ب . ابن عبد الحكم : فتوح إفريقيا والأندلس ، ص ٩١ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

(٤) الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . ابن عذارى البيان ، ج ١ ، ص ٥٠ .

وقارن ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٢ - ٤٣ . حيث يورد سبعة أبيات من القصيدة ،

مختلفة بعض الاختلاف ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ . مؤلف مجهول :

ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة لويس مولينا ، ص ١٠٠ - ١٠٣ مع اختلاف بسيط .

وهكذا توالى على الأندلس سنوات قيسية لقي اليمنيون خلالها محنا شديدة وفى خلال تلك الفترة تولى على حكم الأندلس حذيفة بن الأحوص القيسى وعثمان ابن أبى نسه الخشعى ، والهيثم بن عبيد الكنانى (١) .

وفى عهد الهيثم بن عبيد الكنانى تبدأ خصومات شديدة بين القيسية واليمنية نتيجة لتلك العصبية السيئة التى سلكها ، فقد كان ظلوما جائرا فألقى بهم فى السجون وأهلكهم (٢) . وكان لسياسته تلك أسوأ الأثر فى الأندلس خاصة وفى المغرب عامة خصوصا حين نعلم أن المسلمين فى تلك الفترة كان جهادهم مستمرا فيما وراء جبال البرت ، وكان لتلك العصبية أثرها فى زعزعة الجند وعدم اتحادهم سوا مما اضطر الخليفة بعد أن وصلته تلك الأخبار السيئة أن يعزل الهيثم (٣) ويولى محمد بن عبد الله الأشجى التى استمرت ولايته شهرين (٤) وفى صفر سنة ١١٢هـ / ٧٣٠م أقام عبيد الله السلمى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى أميرا على الأندلس رغم أنه يمنى من غافق ولكن عبيد الله المعروف بتعصبه لقيسيته كان يعلم أن عبد الرحمن أبعد ما يكون عن التفكير فى تلك الأمور لذلك كانت ولاية الغافقى على الأندلس برضى من جميع الأطراف المتنازعة لكن داء العصبية القبلية كان قد تأصل فى نفوس العرب جميعا لذلك أخفقوا فى بلاط الشهداء بسبب ذلك الداء الذى حملوه معهم فى فتوحاتهم وراء البرتات رغم محاولة عبد الرحمن بما عرف عنه من نزاهة وعدالة جمع القلوب وتوحيدها الا أنه أخفق فكانت الهزيمة (٥) .

ثم قرر هشام بن عبد الملك بعد أن أحس بما حل بالمسلمين من نكبات أثر هذه السياسة التعصبية عزل عبيده واستبدل به قيسيا آخر كان يظن أنه اهدأ منه وأقل عصبية

(١) المقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١١٤ .

(٣) ابن عذارى : ج ٢ ، ص ٢٨ . المقرئ : المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص ١٧ .

(٤) المقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٦٣ .

وهو عبيد الله بن الحبحاب وبدأ عبيد الله ولايته بداية حسنة ولكنه ما لبث أن حاد عن الطريق وتعصب لقيسيته مما أدى إلى إثارة العرب اليمنية وحقد البربر عليه فلم يقم وزنا لأحد ، فجعل يتعسف بالبربر ، وينتقم من اليمنية ويتبعهم ويلحق بهم الأذى حتى امتلأت نفوسهم سخطا وغدا ينتظرون الفرصة المناسبة للقضاء عليه وعلى القيسية جملة واحدة^(١).

وفي تلك الفترة كان على ولاية الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري الذي قدم في رمضان سنة ١١٤ هـ فولى سنتين^(٢) وفي عهد عبيد الله بن الحبحاب كانت الفتنة الكبرى بين العرب والبربر ووقوع النكبات الشديدة على أثرها^(٣).

ولما بلغ هشام بن عبد الملك أخبار تلك النكبات الدائرة على العرب وما اتصل بذلك من فساد في إفريقيا والأندلس نتيجة لتلك السياسة الخرقاء شاور من حوله فأشاروا عليه بتولية اليمنية سواء في إفريقيا أو الأندلس ، وفي تلك الفترة بلغه كتاب أبي الخطار بن ضرار الكلبي^(٤) مستصرخا إياه لانقاذهم من محتهم فقام بتعيين أبي الخطار الكلبي على الأندلس وحظلة بن صفوان الكلبي على إفريقيا ثم توفي هشام ابن عبد الملك وخلفه الوليد بن يزيد فآثر والي هشام على إفريقيا^(٥) ، وبمقتل الوليد سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م ، الذي عرف بميله للقيسية كان مولد وقيام اليمنية وإيذانا بانتصارهم وتزعّم هؤلاء عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ودارت المعارك بين الطرفين وانتهت لصالح عبد الرحمن الذي احتل القيروان وصار

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ . ابن القوطية : تاريخ افتتاح ، ص ٣٩ . ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥١ ، النويري : المخطوط ورقة ٥٨٤ .

(٢) ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥٢ . النويري : ٨٤ ب .

(٣) المقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٤) انظر الفصل السادس عن أسباب تغرر جهاد المسلمين خلف جبال البريات ثورة البربر .

(٥) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح ، ص ٤٢ - ٤٣ .

أميرا على إفريقيا ووضع انتصاره حدا للنزاع بين الطرفين فى حين تسلمت الدولة العباسية زمام الأمور ، ولم تقم لدولة بنى أمية فى المشرق قائمة^(١) . وهكذا كانت نهاية تلك الدولة العظيمة التى دمرتها وانهكتها وقضت عليها تلك الخلافات العصبية وانعكس هذا كله على ولاية الأندلس وتعثر هؤلاء الولاة فى جهادهم خلف البرت .

ثالثا : أثر ثورة البربر فى تعثر الجهاد خلف البرت :

يعتبر البربر من الشعوب قوية الشكيمة شديدة المراس كما وصفها صاعدا الأندلسي^(٢) وينقسم البربر إلى قسمين ، هما البرانس^(٣) والبر^(٤) . ويتفق البربر مع العرب فى أمور كثيرة فالشبه بينهم كبير وهو امر جاء نتيجة للتشابه الكبير بين البيتين ، فطبيعة بلاد المغرب التى يغلب الطابع الصحراوى على معظمها ، أشبه بطبيعة

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٢٣ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ٢٣ - ٣٤ .

(٢) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص ١٢ .

(٣) ان البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وبادغيس ، ويلقب بادغيس بالابتر ، فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس ، وهما معا ابنا بر ، وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد . ولقد ذكر ابن خلدون اسماء قبائل البتر وفروعها ويطونها المنتشرة فى جبل يقع جنوب طرابلس عرف باسمها فذكر أهم قبائلها وهى : زنانه وزواغة - رواذه - نفزه ، لواته ، فراته ، نفوسه . مظفره وتنتشر فى سلسة من الوديان تبدأ من طرابلس إلى مدينة تازا ويتشرون فى أقاليم النخيل والمراعى الممتدة بين غدامس إلى السوس الأقصى ، وتنزل قبائل زنانه فى المغرب الأوسط ، وفى الصحراء الواقعة جنوب تونس وفى سفوح الهضاب .

كما يذكر ابن خلدون عن البرانس أنهم « من اقر قبائل البربر وهم أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده ولا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط ، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أولى البربر... وأنهم من ولد صنهاج وهو صاك ، إلا أن العرب عريته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج وهو عند نساية العرب من بطون البرانس من ولد برنس بن بر . للمزيد انظر ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٨٦ - ٨٩ - ١٠١ - ١٥٢ ابن خرداذبه : المسالك الممالك ، ص ٩٠ .

(٤)

بلاد العرب ، مما ترتب عليه نتائج طبيعية متجانسة في الاجتماع والعمران^(١) ، فطبيعة ونوع الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة جعلتهم يعرضون التنظيم القبلى مثل العرب ، كما أنهم عرفوا حياة الاستقرار والحضر في بعض المناطق وحياة التنقل والبداءة في مناطق أخرى ولذلك فإن نسبة العرب قاموا بتقسيمهم على أساس قبلى كما كانوا ينقسمون ، أما الرومان فقد كان لهم في البربر تقسيم آخر^(٢) .

وقد بدأ دخول البربر في الإسلام منذ عهد مبكر حيث التفوا مع طلائع الأولى ابتداء من حملته عمرو بن العاص رضى الله عنه وما تلاها بعد ذلك من حملات إسلامية لفتح المنطقة .

وبدأ دخولهم الجماعى في الإسلام منذ فترة أبى المهاجر دينار رحمه الله ، ورغم تعثر الحملات الإسلامية على بلادهم لفترة طويلة واستمرار البربر في الحرب ضد المسلمين إلا أن جماعات كبيرة منهم كانت تحافظ على إسلامها حتى انتهى بهم الأمر جميعا إلى الدخول في الإسلام . والانخراط في جيش المسلمين على عهدى حسان بن النعمان وموسى بن نصير^(٣) كما أنهم شاركوا منذ ذلك الحين في استكمال الفتوح الإسلامية في جنوب المغرب^(٤) وفي بلاد الأندلس وفي جنوب غاله ولم تبدأ ثورة البربر إلا في عهد يزيد بن عبد الملك وهناك أسباب كثيرة ساعدت على قيام هذه الثورة وتعلق نظرة على سياسة بنى أمية في أفريقيا وأثر ذلك على الأندلس وما ترتب عليه من تعثر جهاد المسلمين خلف جبال البرتات .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الخاص بتأثير البيئة .

(٢) أطلق الرومان لفظ Barbari على أهالى البلاد ، ولم يقطنوا إلى تقسيمهم على أساس النظام القبلى ، بل كانوا يقسمون المجتمع تقسيما جغرافيا فذكروا أن النسامون Nasamons البسيل Pasyiles يقطنون برقة وطرابلس Tripolotanc ويعيش المر Maures في المغرب الأوسط والأقصى .
Gautier. E. F. les siecles obscars du Maghreb PP. 114 - 119 .

(٣) إبراهيم العدوى : موسى بن نصير ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٣ .

ويتفق المؤرخون^(١) على أن الخلافة الأموية بعد رحيل موسى بن نصير إلى عاصمة الخلافة في دمشق حرصت على الاهتمام بأمر إفريقيا والأندلس بدليل حرص سليمان بن عبد الملك على البحث عن وال كفء يوليه أمر إفريقيا ، فولى محمد بن يزيد القرشي فثبت أنه خير وال وأحسن السيرة^(٢).

وهذا دليل على أن الخلفاء بالمشرق كانوا يولون أمر المغرب جل عنايتهم ، وكان نتيجة ذلك استمرار الجهاد وتعاون العرب والبربر في فتوحاتهم خلف البرتات ، ويظهر ذلك جليا في ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي الذي أمر بالجهاد وراء البرتات^(٣).

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حرص على اختيار ولاية لإفريقيا والأندلس ساسوا الناس بالعدل وأحلوا المحبة والوثام بدل البغضاء والفرقة بين جميع الأطراف ، فولى على إفريقيا إسماعيل بن عبيد الله بعد أن اختبر فيه صلاحا وفضلا^(٤)، وولى على الأندلس السمع بن مالك الخولاني الذي حمل الناس على الطريق الحق والعدل^(٥). واستطاع خلال فترة حكمه أن يحقق خطوات ثابتة في حركة الجهاد خلف جبال البرتات . وبوفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ / ٧١٩م تغيرت الملامح الرئيسية الغالبة لسياسة الولاية في بلاد المغرب في عصر الولاية الأموية التي كانت تتسم بمحاولة توطيد الأخوة بين العرب وبين البربر أهل البلاد . وقد تمثل ذلك أول الأمر في أبقاء العرب على النظام القبلي^(٦) الذي اعتاده أهل البلاد والذي

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٨ . ابن عذاري : البيان ج ١ ، ص ٤٤ - ٤٧ .

القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ٩٣ .

(٢) القيرواني : تاريخ إفريقيا ، ص ٩٣ . ابن عذاري : ج ١ ، ص ٤٧ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٤ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ .

(٥) ابن خياط : تاريخ خيفة بن خياط ، ص ٢٠٦ . ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ابن أبي

الضياف : اختاف أهل الزمان ، ص ٨٧ .

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وإفريقيا ، ج ١ ، ص ١٨٩ . البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٦٧ .

المالكي : رياض النفوس ، ص ٣٦ . ابن كشير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

الدباغ : معالم الإيمان ، ص ٦ .

لم يكن يختلف عن النظام العربى الذى عهده العرب فى بيئتهم القديمة فاختصت كل قبيلة بخطة تستقر فيها محاولين المساواة بين العرب وأهل البلاد حتى كان عصر يزيد بن عبد الملك الذى انتهج سياسة الشدة مع أهل البلاد المفتوحة ، وعدم رفع الجزية^(١) عمن أسلم منهم فى زيادة لإيراد بيت المال ، وعزله لإسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر وتولية يزيد بن أبى مسلم سنة ١٠١هـ / ٧١٩م الذى عامل البربر بشدة الحجاج فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من أهل الذمة فأسلم فإنه ردهم إلى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار^(٢).

فاستاء البربر من تلك المعاملة^(٣) ودبروا قتل يزيد بن أبى مسلم بالاتفاق مع حرسه . وأذعن الخليفة الأموى لرغبة البربر ، وأقر على مضض من اختاره وهو محمد ابن يزيد^(٤).

لهذا لا ينبغي القول بأن جميع الولاة قد أساءوا معاملتهم للبربر وإنما نقول إن بعضا منهم هم الذين فعلوا ذلك بعيدا عن شريعة الإسلام السمحة التى ساوت بين جميع الأجناس ، ولم تؤيد مطلقا تعسفا مع البربر أو استبدادا بهم ولكن الخلفاء رغم ذلك لم تبارك خطوات الولاة ولم ترض عن تصرفاتهم بدليل موقف الخليفة من مقتل يزيد بن أبى مسلم على يد البربر ، وإقراره الوالى الذى اختاره^(٥).

(١) اتخذت الدولة الأموية سياسة عدم رفع الجزية عمن دخل فى الإسلام من أهل البلاد المفتوحة مما أدى إلى ثورات الموالى فى الأمصار حيث كان عهد عمر بن عبد العزيز الذى أمر بإبطال ذلك حيث أرسل إلى والى مصر يحذره من استمرار السياسة بقوله « إن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جاليا . انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ١٠٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ١٠٣ . ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١٨٢ .

(٣) ويذكر ابن عبد الحكم أن يزيد « ارتسم فى يد الرجل اليمنى اسمه وفى اليسرى حرسى فيعرفا بذلك من غيرهم فانفروا من ذلك ودبر بعضهم إلى بعض فى قتل ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٨٩ . اريق القيروانى : ص ٩٩ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٨ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٨٩ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٢ . السلاوى : الامتصا ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

ثم ما لبث أن خلعه وأقر أمير مصر بشر بن صفوان سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م واليا على إفريقيا^(١) حتى يضمن استتباب نفوذ المسلمين في البلاد . وولى بشر بن صفوان على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي ، وبالرغم من أن السياسة القبلية هي التي جاءت به^(٢) إلا أنه حرص على إيجاد مناخ مناسب وملامح بين العرب والبربر وكرس جزءا كبيرا من ولايته في القضاء على المشاكل وتوحيد الصف ، ثم حرص في السنة الأخيرة لولايته على اتمام الجهاد^(٣) رغم أنه كان بالإمكان لو لم تكن المغرب وإفريقيا في هذا الوضع المضطرب . إذ كان من الممكن للمسلمين زيادة الفتوحات والتوجه إلى خارج الحدود وضم مناطق جديدة إلى نفوذهم ولكن المصاعب التي واجهتهم كانت كفيلة بتعثر جهاد المسلمين خلف جبال البرتات .

ولو نظرنا إلى سياسة بشر بن صفوان الكلبي في إفريقيا لوجدنا أن بشرا قد أساء من حيث لا يدري فصحيح أنه لم يؤخذ عليه إلا تتبع آل موسى ومصادرة أموالهم^(٤) إلا أن هذا الأمر كان كفيلا بإثارة الضغائن في قلوب البربر الذين كانوا يميلون إلى آل موسى ويعدون من أنصاره ، فأدت سياسته تلك إلى النفرة منه لاستصفائه أموال آل موسى تقريبا منه إلى الخلافة .

وقد خرج بشر غازيا لصقلية سنة ١٠٩هـ / ٧٢٧م^(٥) واستطاع أن يعود منها محملا بالغنائم والأموال فتوجه بها إلى دار الخلافة تقربا إلى الخليفة^(٦) . ولكن الخليفة يزيد بن عبد الملك كان قد توفي فتوجه بالغنائم إلى الخليفة الجديد هشام بن عبد الملك وهذا يدلنا على أن الخلافة لم ترهقهم ولم تحملهم كل تلك المؤون بل

-
- (١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .
(٢) وكان أمير إفريقيا يحرص على أن يكون أمير الأندلس من قبيلته فبشر بن صفوان الكلبي والذى ولى وحرص على اختيار عنبسة بن سحيم الكلبي .
(٣) القيرواني : تاريخ إفريقية ، ص ١٠٢ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ . ابن عذارى : ج ١ ، ص ٤٩ .
(٥) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص ١٠٢ . السلاوى : الاستقصا ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .
(٦) محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامى ، ص ٢٩ .

حملها أنفسهم تحبباً وتقرباً إلى ولاية الأمر فأقره هشام على إفريقية ، ولكنه توفي عند عودته سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م فولى هشام عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ولاية إفريقية فدخلها سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م^(١).

ولقد أدت سياسة عبيدة إلى تعثر جهاد المسلمين خلف البربرات نتيجة لشدة وعنفه في حكم البلاد ومحاسبة العمال وكثرة عزل الولاة^(٢).

وفي ربيع الأول سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بولاية إفريقية إلى عبيد الله بن الحبحاب وإلى مصر وأُسند إليه قمع حركات البربر التي اشتد في عهده ، وقام عبيد الله بتولية عقبة بن الحجاج السلولى على الأندلس^(٣) وولى عمر بن عبد الله المرادى على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ، وكان قد عهد بتلك الولاية من قبله إلى ابنه إسماعيل . أما منطقة السوس فقد عهد بها إلى حبيب ابن أبي عبيدة الفهري حفيد عقبة بن نافع^(٤).

ولقد أساء عمال ابن الحبحاب السيرة في المغرب مع البربر واعتبروهم فيئسا للمسلمين^(٥) ، وكان من أشد هؤلاء العمال ظلما عامل طنجة عمر المرادى الذى أساء السيرة ، كما يذكر القيروانى « وتعدى في الصدقات والعشر وأراد أن يخمس

(١) ابن عبد الحكم : فتح مصر ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٢) فقد ولى ثلاثة عمال على التوالي ففى شعبان سنة ١١٠ ولى عثمان بن أبي نسه الجشمى وكانت ولايته خمسة أو ستة أشهر ثم عزل ، وولى الهيثم بن عبيد الكنانى فى صدر سنة ١١١ وكانت ولايته عشرة أشهر وقيل سنة وشهرين ثم قدم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعى لمدة شهرين ، ثم ولى عبد الرحمن الغافقى فى صفر سنة ١١٢ هـ . ولعل كثرة عزل الولاة توحى بعدم الاستقرار وعدم إتاحة الفرصة للاستعداد لإكمال مسيرة الجهاد . انظر : مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٢ ، ابن حذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٣٧ - ٣٨ . المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٩ .

(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية ، ص ١٠٧ ، مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .

(٤) الرقيق : المصدر السابق ، ص ١٠٨ . ابن خلدون العبر ، ج ٦ ، ص ١١٨ .

(٥) أى أنهم يعتبروا فى . وتأخذ الخمس كغنيمة للمسلمين . انظر ما سبق من تعريف الفئى فى الفصل الثانى .

البربر وزعم أنهم فيء المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله وإنما كان الولاية يخلصون من لم يؤمن منهم ولم يجب إلى الإسلام»^(١).

فكانت سياسته تلك سببا رئيسيا لانتقاص البلاد ووقوع البلاء العظيم وكانت أول فتنة للبربر في الإسلام^(٢).

بالإضافة إلى ذلك كان هشام بن عبد الملك يستحب طرائف المغرب ويكتب إلى عامله بطنجة أن يرسل إليه أصواف الخراف العسلية^(٣).

أما ابن عذارى فيذكر : « أن الخلفاء كانوا يستحبون طرائف المغرب فيبعث لهم ولاتها البربريات السنيات ، ولما أفضى الأمر إلى ابن الجحباب مناهم بالكثير وتكلف لهم وكلفوه أكثر مما كان فاضطر إلى الظلم وسوء السيرة وسوء العاقبة^(٤) » .

أما ابن خلدون فيلخص سوء سياسة ابن الجحباب تجاه البربر فيذكر : أنه باستعمال عمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب وإسماعيل على السوس وما وراءه ، ساءت سيرتهم في البربر ونقموا عليهم أحوالهم وما كانوا يطالبونهم من الوصائف البربريات وأنواع طرائف المغرب حتى كانت الصرمة^(٥) من الغنم تهلك من الذبح

(١) الرقيق : المصدر السابق ، ص ١٠٩

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٩٤ . البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٣ .

Levi Provencal : Histoire le d'espogne Muslamane V. I. P. 28 - 29 .

الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٠٩ . ابن عذارى : البيان ج ١ ، ص ٥٢ .

(٣) وكانت تلك الزخارف التي تسلخ من جلود سخال الضأن عند ولادتها قبل أن تصبح خشنه ليصنع منها الجباب الصوفية ، وكان الخليفة يفضل اللون العسلي غير المصبوغ لذلك عمد العمال إلى النعاج الحاملة فيبقرون بطونها ويستخرجون أجنتها بحثا عن هذا النوع ويذكر صاحب أخبار مجموعة أنه كانت تذبح مائة شاه فريما لم يوجد فيها جلد واحد .

للمزيد انظر أخبار مجموعة ، ص ٣٢ .

(٤) ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥٢ .

(٥) الصرمة : القطة من الأبل والشيء ما بين العشرين إلى الثلاثين أو إلى الخمسين والأربعين وما بين عشرة إلى بضع عشرة كل ذلك يطلق على صرمة انظر محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ص

لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد فكبير عبثهم وجورهم واشتطاطهم عليهم^(١) وكان من الطبيعي أن يتعذب أصحاب الغنم لهلكه بتلك الصورة السيئة ولكنهم وقفوا مكتوفى الأيدي^(٢).

وكانت هذه التصرفات تدل على سوء استغلال موارد البلاد وعدم الاهتمام بمشاعر البربر^(٣) وأمام هذه المشاكل فى إفريقيا كان جيش المسلمين فى الأندلس يـخترق منطقة البرنات ويجتاز العقبات ويفتح المدن بقيادة عقبة بن الحجاج السلولى الذى اتته الظروف طائفة ولكن لم يكن ليستغلها على الوجه المطلوب ذلك أنه فى تلك الفترة كان شارل مارتل قد توفى سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م واضطربت الأمور من بعده ، ولكن الظروف الصعبة التى واجهت المسلمين فى تلك الفترة لم تمنعهم على الاستفادة من هذه الفرصة استفادة كاملة لأن فتنة البربر فى الأندلس وإفريقيا كانتا آنذاك على أشدها لذلك توقف المدد لجيوش المسلمين فيما وراء البرت مما كان له أسوأ الأثر على تعثر تقدمهم فى غالة^(٤).

وكان من نتيجة سياسة ابن الحبحاب تجاه البربر والتفرقة بينهم وبين العرب أن قرروا الخروج عليه والقيام بتلك الثورة ، وساعد على تأجيج تلك الثورة دعاة الخوارج^(٥) الذين وجدوا الفرصة سانحة لنشر أفكارهم ومبادئهم فشحجوا البربر على

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) محمد على دبريز : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٣٣ .

(٣) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٨٤ . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

(4) Reinaud : op. cit., P. 72 .

(٥) ذكر ابن خلدون من أسباب ثورات البربر الخوارج : أنه منذ أواخر القرن الأول الهجرى انتشرت فى بلاد المغرب حركات الخوارج بين المفاربة وكانت بلاد المغرب أهم المناطق التى وجد فيها دعاة الخوارج فرصة لنشر مبادئهم واستعادة قوتهم فيذكرون أنه لما فشا دين الخارجية فى المغرب وغالب الخلفاء بالشرق وستلحموهم ، نزعوا إلى القاصية وصاروا يثون بها دينهم فى البربر فطلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤوسى الخارجية فى أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما .

ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١١١ .

تحويل السخط الكامن فى قلوبهم إلى عمل ثورى إيجابى . ولما كان مذهب الخوارج ينص على جواز الثورة على الحكام الجائرين لذلك وجد البربر فى هذا المذهب مبررا شرعيا لقبول انتفاضتهم وخروجهم الثورى فى إطار الدين الحنيف ، بالإضافة إلى ما اتسم به الفكر الخارجى بالتزامه بظاهر الدين مما كان يتلاءم إلى حد كبير مع عقلية البربر وما تتسم به من بساطة وفطرية ، ولقد وجد دعاة الخوارج فى بلاد المغرب أرضا خصبة لغرس تعاليمهم القائمة على المساواة بين المسلمين والثورة على الظلم ، وأدى انشغال بعض الولاة بالخصومات القبلية والحرص على جمع الأموال إلى إيجاد المناخ المناسب لنشر أفكارهم فشكك الخوارج فى صحة تصرفات هؤلاء الولاة (١) .

فالظلم الاجتماعى الذى وقع على البربر فى تلك المرحلة ساعد على اعتناق مبادئ الخوارج بشقيها الصفرى المتطرف والاباضى المعتدل . ولسنا بصدد التحدث عن تلك المذاهب ولكن الذى يهمنا هو أن البربر اعتنقوا تلك المذاهب جميعها (٢) .

= أما ابن عذارى فيذكر أن وجد المسلمون من البربر مبادئ الخوارج التى تنص على المساواة بين العرب وغيرهم من المسلمين ، وأن الإمامة حق متاح لكل مسلم وليست حكرا على العرب وحدهم تعبيراً عن نزعتهم الاستقلالية فتمت شخصية المغرب المستقلة فى ثورة الخارج التى اشتعلت بالبلاد قبل سقوط الخلافة الأموية بنحو عشرات السنوات وظهر ذلك واضحا فى ولاية عبید الله بن الحجاج ١٢٢هـ / ٧٣٩م . ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(١) أدت سياسة التعصب للعرب والفرقة بينهم وبين البربر إلى اشتعال ثوراتهم وإلى اعتناقهم لمبادئ الخوارج التى وجدوا فيها تحقيقاً لذاتهم بما تدعو إليه من مساواة وعدل وثورة على أئمة الجور . وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله « ان الخارجية حين رمت فى البر عروق من غرائسها تطاول البربر إلى الفتك بأمر العرب وقد كان رؤوس تلك الثورات كلهم من البربر فيما عدا أبو الخطاب المعافرى ، واستمرت ثوراتهم قرابة نصف قرن إلى أن تمكنوا من تحقيق غايتهم بإقامة دولة مستقلة لهم اتخذت طابعا قوميا بعيدا عن نفوذ العرب كانت أجدادها دولة بنى مدرار الصفرية فى سجلماسة التى قامت سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م بزعامة أبو القاسم سمكون واسول المكتاسى والأخرى دولة بنى رستم الأياضية فى تاهرت سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م فقد كان قيام تلك الدول بمثابة رد فعل عملى للخروج على نفوذ العرب . انظر ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١١١ .

(٢) عن مذهب الخوارج . انظر السلاوى : الاستقصا ، ج ١ ، ص ١١٤ - ١١٥ .
الدرجيني : طبقات الأباضية ، ج ١ ، ص ٩٠ - ١٨٠ . النهوى : نهاية الأرب ، القسم الثانى ، ورقة ٢٢ - ٢٣ - أ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

وكانت مبادئ الخوارج^(١) تحقق للبربر ما يطمعون إليه من مساواة مع العرب تلك المساواة التي حاد عنها بعض عمال بنى أمية^(٢).

ويبدو أن الخوارج لم يكونوا قليلين وإنما حفلت البلاد بعدد كبير منهم فاستطاعوا أن ينتشروا بين القبائل ويحضوها على الثورة ولم يدخروا وسعا في سبيل ذلك فقاموا باختلاق الأحاديث النبوية التي تعظم من شأنهم وتعد المجاهدين منهما بالشواب العظيم وعمدوا إلى مدحهم فمدحهم كل ذلك كنوع من الإغراء لجذبهم في صفوفهم^(٣). ويروى بعض المؤرخين أن البربر رغم ذلك آثروا إيلاخ أولى الأمر من الخلفاء عن مساوي العمال في إفريقيّا حتى يكونوا على يقين أن تلك المساوي من جانب الولاة كانت برضى وتأيد الخلفاء لذلك عمدوا إلى تكوين وفد اتجهوا به إلى الخليفة هشام بن عبد الملك^(٤). والتباحث معه ولطالبتة بإصلاح الوضع في المغرب ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إذ حال بينهم وبينه وزيره الأبرش فعادوا إلى بلادهم ونفوسهم تغلى بعد أن صمموا على الانتقام^(٥).

(١) أى أن الخلافة حتى لكل مسلم ولو كان عبداً حبشياً وذا يعني المساواة ووصول أى جنس لمنصف الخلافة حتى لو كان من البربر .

(٢) وفي هذا يقول السلاوى : وحسن موقعها يعنى مبادئ الخوارجة لديهم بسبب ما كانوا يعانون من ومائة الخلافة القرشية وجور بعض عمالا فلقتهم أهل البدع أن الخلافة لا يشترط فيا القرشية بل ولا العربية .. ودسوا إليهم مع بعض تشديدات الخوارج وطمعقاتهم وأروهم ما هم على من التصلب في دينهم فظهر للبربر بادئ الرأى أن نعمتهم ذلك إنما هو من إثار الخشية للغ والخوف منه وأن ذلك هو عين التقوى للمأمور بها شرعاً .

انظر : السلاوى : الاستقصا ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٩٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٩ . ابن خلدون : العبر ج ٦ ، ص ١١٨ .

(٥) وفي هذا يذكر الطبرى : فمازال أهل المغرب من اسمح أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك فلما دب إليهم أهل العراق واستشاروهم قالوا انا لا نخاف الأئمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم ، فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا لم لا نقبل ذلك حتى نخبرهم فخرج ميسرة المصفرى في بضعة عشر إنساناً حتى قدم على هشام فطلبوا الإذن فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش وزيره ، فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يفرز بنا وبجند ، فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال =

وكانت عودة الوفد من دمشق بقيادة ميسرة المطفرى (المدغرى) فاتتھز ميسرة فرصة نخروج حبيب بن أبى عبيدة الفهرى نائب والى المغرب عبيد الله الحبحاب فى حملة بحرية لغزو صقلية^(١) وبدا بإعلان الثورة فى إقليم طنجة (السوس الأدنى) فى رمضان سنة ١٢٢ هـ وأعلن نفسه إماما وياىعه الناس وانضمت إليه قبائل مطفرة وغماره ومكانسه ويرغواطه^(٢).

وتقدم الثوار بقيادة عبد الأعلى بر جريج واستولوا على مدينة طنجة وهزموا عاملها عمر المرادى^(٣).

ويذكر صاحب أخبار مجموعة : لما كانت سنة إحدى وعشرين ثارت البربر على فرق الأباضية والصغريه ورأسوا عليهم ميسرة المحفور المدغرى فرجعوا إلى عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادى فقاتلهم قتلوا أهلها ويقال أنهم قتلوا الصبيان^(٤).

وعندما بلغ ابن الحبحاب سقوط طنجة أرسل إلى واليه على الأندلس عقبة بن

= هم أحق به قتلنا هو أخلص لجهادنا وإذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وآخر جنده قتلنا تقدموا فإنه ازدياد فى الجهاد ومثلكم كفر إخوانه فوقيتهم بأنفسنا وكفيتهم ثم أنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يقرونها عن السخال يطلبون القراء الأبيض لأمر المؤمنين فيقتلون ألف شاء فى جلد ، قتلنا ما أيسر هذا لأمر المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك ، ثم أنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا قتلنا لم نجد هذا فى كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فاحبينا أن نعلم أعز رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا . قال نفعل . فلما طال عليهم ونقلت نفقاتهم كتبوا أسماؤهم فى رقاع ورفعوها إلى الوزير وقالوا هذه أسماؤنا وإنسانا فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فاخبروه بها ، ثم كان وجههم إلى إفريقيا فخرجوا على عامل هشام قتلوه واستولوا على إفريقيا ، وبلغ هشام الخبر وسأل عن النفر فرفعت إليه أسماؤهم فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا .

انظر الطبرى : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٩ - ٥٠ . ابن الأثير : الكامل ، المجلد الثالث ، ص ٤٧ .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٩٣ . الرقيق القيروانى : ص ١٠٩ ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥١ .

(٢) الرقيق ، ص ١١٠ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٩٣ . النويرى : نهاية الأرب ورقة ٨٤ ب . الرقيق : ص ١٠٩ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٨ .

الحجاج السلولى يطلب منه التوجه لقمع الثورة فى طنجة ، مما أدى إلى تعثر حركة الجهاد التى كان يقودها خلف البرنات ، ولكن عقبة لم ينجح فى إخماد الثورة مما أدى إلى تأثر البربر فى الأندلس بعد أن ترامت إلى مسامعهم ثورات إخوانهم فى المغرب فقاموا بالثورة عليه وخلعوه وولوا عليهم واليهم السابق عبد الملك بن قطن^(١) .

وامتدت ثورة البربر بقيادة ميسرة إلى السوس الأدنى وهزم الثوار الجيش الذى سيره إليهم إسماعيل بن عبيد الله ثم قتلوا إسماعيل نفسه وشجعت تلك الانتصارات التى أحرزها الثوار إلى اشعال الثورة ضد العرب فى كل أنحاء المغرب^(٢) . وفى ذلك يقول صاحب أخبار مجموعة : « وثب كل قوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا »^(٣) واتجهوا إلى إفريقية حيث والى عبيد الله بن الحبحاب مما أدى إلى استجاده بحبيب ابن أبى عبيدة الذى كان فى غزوة إلى صقيلة ، وسير خالد بن حبيب الفهري على رأس القوات العربية^(٤) وفيهم وجوه أهل إفريقيا من قرش والأنصار وغيرهم^(٥) .

ولم تحدد المصادر تمام ميدان المعركة إلا أنها محصورة بين وادى شلف وما دون طنجة وبالقرب من تلمسان بالجزائر الحالية وكانت معركة قتل فيها عدد كبير من العرب القرشيين والأنصار حتى أنهم أطلقوا عليها غزوة الأشراف^(٦) .

وحينما ترامت أخبار انتصارات البربر وهزيمة العرب ، حمل العرب عبيد الله ابن الحبحاب ما حدث فعزلوه كما عزلوا واليه على الأندلس^(٧) .

وعندما وصلت أنباء ما أصاب العرب فى إفريقيا إلى مسامع الخليفة هشام بن عبد

(١) أخبار مجموعة ، ص ٢٩ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ . الرقيق ص ١١١ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ بن خياط ، ص ٣٥٤ . ابن عبد الحكم ص ٢٩٣ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٢٩ .

(٤) ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥٣ . الرقيق ، ص ١٠٩ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ص ٢٢٢ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٩٤ . الرقيق : ص ١١٠ . ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥٣ .

(٦) ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥٤ . الرقيق : ص ١١٠ .

(٧) ابن عبد الحكم : ج ١ ، ص ٢٩٤ . الرقيق : ص ١١١ . ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥٣ .

الملك أقسم بالله « لأغضببن لهم غصبة عربية ولأبعثن إليهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي ، ثم لا تركت حصن بربرى إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسى أو تميمي » (١) .

وأعد الخليفة هشام بن عبد الملك جيشا لاسترجاع النفوذ العربى ، وولى على المغرب بدلا من ابن الحبحاب رجلا قيسيا هو كلثوم بن عياض القشيري وأرسل معه بلج بن بشر القشيري ، وثعلبة بن سلامة العاملى (٢) ، وسير معه جيشا كثيفا نزل مصر فانضم إليه ثلاثة آلاف من جندها وازدادت قوات كلثوم بانضمام أهل طرابلس إليها (٣) وأقام كلثوم على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفارى .

غير أن الانشقاق سرعان ما دب فى صفوف الجيش بسبب العصبية القبلية التى دبت بين العرب على اختلاف قبائلهم وبين أهل إفريقيا الذين رفضا سيادة أهل الشام عليهم (٤) .

ويذكر ابن عذارى أن « كلثوما وجه بلجا ليوقع بالبربر فسرى ليلته وأوقع بهم عند الصباح فخرجوا إليه فهزموه ووصلوا إلى كلثوم » (٥) .

وحين يروى ابن الرقيق القيروانى تفاصيل تلك الواقعة نراه يشير إلى انقسام العرب إلى فريقين حيث يقول : « فمال أهل إفريقيا إلى ناحية ومعهم أهل مصر ، ومال أهل الشام إلى ناحية ثم سعى بينهم بالصلح » (٦) ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن غالبية القبائل

(١) الرقيق القيروانى : ص ١١١ ابن عذارى : ج ١ ، ص ٥٤ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٣) ابن خياط : ص ٣٥٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٤) الرقيق ، ص ١١٣ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٥٧ . إذ يذكر أن عدد الجيش بأنه كان مائة ألف محارب ويتفق معه فى ذلك ابن القوطية : تاريخ افتتاح ص ٤١ .

ويذكر المقرئ أن عدد الجيش كان سبعين ألف . نفع الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٢ . العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٩ .

(٦) الرقيق : ص ١١٣ .

العربية في مصر كانت من العرب اليمنية^(١).

ولذا كانت مصر لجاراتها لبلاد المغرب وللدور الذي أوضحناه في فتوحها وإداراتها قد أثرت في التكوين السكاني في إفريقيا حيث انتقل إليها من مصر كثير من بطون القبائل .

ونجح البربر في اختراق صفوف جيش الخلافة ، وقد حاول بلج إيقاف تقدم جيش البربر غير أنه فشل حيث حال الثوار بينه وبين ما أراد وانقلبت المعركة لغير صالح جيش إفريقيا وأحاطت جماعات من البربر ببلج ورجاله حيث حاصروهم وتمكن الخوارج من جيش كلثوم وقتل كبار رجال جيش كلثوم وكثير من وجوه العرب ، ولم يثبت إلا عبد الرحمن بن حبيب وكلثوم بن عياض الذي طلب من جنده الثبات حتى أوقع البربر بجيشه في موضع يقال له بقدره على الضفة لاسافل وادى سبو (نهر مدينة فاس)^(٢) سنة ١٢٣ هـ حيث انهزم جيش الخلافة ، وقتل كلثوم بن عياض .

ونذكر المصادر التاريخية أن جيش إفريقيا تحول إلى ثلث مقتول وثلث مهزوم وثلث مأسور^(٣) .

وتعقب الثوار بلج بن بشر وقلول جيش الخلافة حتى وصلوا إلى مدينة سبتة الحصينة فتحصنوا بها وامتنعوا عليهم ، فسير الثوار إلى بلج جيشا بقيادة سالم الهواري الذي استطاع بلج أن يقضى عليه ويشتت جيشه^(٤) .

وتوالت جيوش الخوارج على سبتة كلما تقدم جيش تمكن بلج من القضاء عليه حتى قرر البربر ضرب الحصار حوله ، وكان حصارا صارما وجد منه جيش بلج صعوبة كبيرة في الحصول على الطعام .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٢٢ . الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٧٧ - ٧٨ ،

٤٠٢ - ٤٠٣ . ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

(٢) ابن عذاري : ج ١ ، ص ٥٥ ، أخبار مجموعة ، ص ٣٢ . درزي ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٣٤ . ابن خياط : ص ٣٥٥ .

(٤) ابن عبد الحكم : ج ١ ، ص ٢٩٥ .

وتذكر المصادر « أنهم جاعوا حتى أكلوا دوابهم »^(١).

واستغاث بلج بن بشر القشيري بوالى الأندلس عبد الملك بن قطن فلم يستجب لاستغاثته بل تغافل عنهم وسره هلاكهم وبلغ الحقد على العرب القيسية من ابن قطن أن عاقب عبد الرحمن بن زياد اللخمي الذي حاول مساعدة بلج في إرسال المؤن إليه لانقاذه مما هو فيه^(٢).

ثم اضطر ابن قطن للموافقة على دخول رجاله إلى الأندلس وذلك تحت ضغط ثورة البربر في الأندلس الذين أيدوا ثورة إخوانهم في المغرب . وقبل دخولهم على شرط أن يدافعوا له رهنا من قوادهم ، وعلى أن يعود أهل الشام بعد فراغهم من حرب البربر في الأندلس إلى إفريقيا^(٣).

وقد تفاقمت الأوضاع بين العرب والبربر وحينما بلغ الخليفة هشام بن عبد الملك قتل عامله كلثوم بن عياض بعث إلى إفريقيا حنظلة بن صفوان واليه على مصر سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م^(٤).

إلا أن الأمر لم يستتب له في القيروان إذ سرعان ما هاجمته جموع من البربر يقودها عكاشة الصفري الخارجي « في عسكر لم ير أهل إفريقيا مثله قط من البربر ولا أكثر منه^(٥) » من ناحية مجانه^(٦) « فنزل القرن وهو بظاهر القيروان » على حين حاصرته قوة أخرى من البربر بقيادة عبد الواحد بن يزيد الهواري من ناحية الجبال فرأى حنظلة أن يبدأ بقتال عكاشة قبل أن يطبق عليه وفعلا استطاع أن يدرهم

(١) أخبار مجموعة : ص ٣٥ .

(٢) أخبار مجموعة : ص ٣٧ - ٣٨ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٣٨ - ٣٩ . ابن عذاري ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٤) الرقيق القيرواني : ص ١١٤ - ١١٥ .

(٥) الرقيق : ص ١١٥ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٧٠ . ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١٢ ،

النويري : نهاية الأرب ، ٨٦ ب . ابن عذاري : ج ١ ، ص ٦٢ .

(٦) مدينة تبعد عن القيروان بأربع مراحل وأهلا يقال لهم السناجرة ، يقال أن أولهم من سناجر من ديار ربيعة وهم جند للسلطان وبها أصناف من العجم من البربر وغيرهم .

اليعقوبي : البلدان ، ص ٣٤٩ .

ويلحق الهزيمة بقائدهم الخارجي ، ويصف القيرواني هذه المعركة بقوله « وكانت النساء قد ركنن ظهور البيوت بالقيروان فإذا رأين الغبار سائر إلى الجبل وسجدن ، وإذا رأيته مقبلا صرحن واستغثن ، فبعث حنظلة البشير بهزيمة البربر وانصرف راجعا إلى القيروان » (١) .

وقد تمكن حنظلة بن صفوان أيضا من أن يلحق الهزيمة بعبد الواحد بن يزيد الهواري (٢) حين التقيا عند منطقة تدعى الأصنام (٣) « تبعد ثلاثة أميال عن القيروان » وأعد حنظلة بهذه المعركة كل طاقته ويذكر ابن عبد الحكم « لما رأى حنظلة ما غشيه من جموع البربر مع الفزاري وعبد الواحد احتفر على القيروان خندقا وزحف إليهم عبد الواحد وكتب إلى حنظلة يأمره أن يخلي له القيروان ومن فيه فاسقط في أيديهم وظنوا أنهم سيسبون حتى أن كان حنظلة ليبعث الرسول منهم ليأتيه بالخبر ... فلقية بالأصنام فهزم الله عبد الواحد وجمعه وقتل ومن معه وهرب من هرب منهم فلم يفتح لحنظلة عامل عكاشة الفزاري من ليلته فقاتله بالقرن ولم يكن بلغ عكاشة هزيمة عبد الواحد فهزمه الله ومن معه » (٤) أما الرقيق القيرواني فيصف كيف هيا حنظلة نفوس جنده وعبأها ضد الخوارج فيقول « وإذا بقصاص وقراء من أهل العلم والدين والفقه قد أرسلهم إلينا فتفرقا فينا وحرصوا على الجهاد وذكروا فضله ، وذكروا مذهب عدونا الخوارج وعظم ما يريدونه بنا من السبى وهتك الحریم وسفك الدم وأنه ليس ملجأ بعد هذا المقام ... ومشى حنظلة على الصفوف وأقبلوا يحرضون الناس ويرغبونهم في الجهاد وخرج نساء القيروان ففقدن الأولوية وأخذن معهن السلاح وعزمن على القتال واستبسلن للموت مع الرجال » .

وبعد هزيمة الخوارج في هذه الموقعة انتهوا إلى جلولاء . وكان عبد الواحد قد

(١) الرقيق : ص ١١٧ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٩ . ابن عذاري ، ج ١ ، ص ٦٣ . المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٣٩٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٩٩ .

(٤) ابن الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٢٠ .

تمكن من إستعادة تونس وبويع له بالخلافة فيها^(١).

وقد تركت الأحداث التي شهدتها إفريقيا والمغرب من صراعات قبلية بين العرب بعضهم مع البعض وبينهم وبين البربر أثرها على الأحداث في الأندلس فقد كانت الأحداث التي تجرى في الأندلس انعكاسا لما كانت عليه الأحوال في بلاد المغرب ، فقد شهدت الأندلس استمرار النزاع بين العرب القيسية واليمينية منذ أن انتقل بلج بن بشر إليها بعد أن اضطر ابن قطن للسماح له بالعبور إلى الأندلس تحت ضغط ثورة البربر في الأندلس كما ذكرنا .

وبانتصار جيوش عبد الملك بن قطن وبلج بن بشر على الثوار من البربر في الأندلس بدأت مشاكل الصراع بين الطرفين تتأجج مرة أخرى نظرا لتصميم عبد الملك على إخراج بلج من الأندلس . فرفض بلج الخروج بعد أن استطاب له المقام في الأندلس مما أدى إلى نشوب الصراع بين الطرفين ذلك الصراع الذي انتهى بمقتل ابن قطن وتولية بلج بن بشر الزعامة^(٢).

غير أن أبناء عبد الملك بن قطن (أمية وقطن) جمعوا حشود اليمينية واستعدوا للثأر لمقتل أبيهم ، وعندما وصلت أخبار تلك الحشود إلى صاحب أربونه (فارس الأندلس) عبد الرحمن بن علقمة - وكان آنذاك خلف البرتات حيث منطقة الجهاد والمرابطة للعدو - صمم على ترك موضعه لينضم لقوات اليمينية للأخذ بثأر ابن قطن في صراعهم ضد بلج ورجاله من العرب القيسية تاركا البلاد عرضة لاطماع الفرنجة المتربصين بها ، فقام بسحب جميع رجاله المرابطين خلف البرتات وتوجه للانتقام لمقتل ابن قطن^(٣) ، ولا شك أن حركة الجهاد خلف البرتات ستعرض للكثير من الهزات بعد أن اخليت أربونه من جميع رجالها نتيجة للدخول في تلك الثورات الداخلية .

(١) الرقيق : ص ١٢٢ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢)

(٣) المقرئ : المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ٢٠ .

ونجحت جيوش العرب القيسية فى الانتصار على اليمنية ولكن بعد مقتل بلج ابن بشر ، وبمقتله آلت الزعامة إلى ثعلبة بن سلامة العاملى^(١) .

ولما بلغ هشام ما حل باليمنيين على أيدي أهل الشام وكانت آنذاك قد وصلته رسالة من زعيمهم أبى الخطار بن ضرار اكلبى كتب إلى حنظلة بن صفوان والى إفريقيبا بأن يولى الخطاب ولاية الأندلس ليضع حدا للفتنة القائمة بين البلديين والشاميين^(٢) . وكان ذلك عام ١٢٥هـ / ٧٤٣م^(٣) .

وكان لتلك الفتنة فى المغرب والأندلس آثار سيئة إذ أدى انشغال المسلمين فى قمع تلك الفتن التى تسببت فى قصم عرى العلاقات بين العرب والبربر دون أن يعملوا حسابا لتلك الجيوش الإسلامية التى كانت تخوض المناطق الوعرة خلف جبال البرقات ، فقد كانت بحاجة إلى قوى تدعمها لإقرار النظام بين صفوفها لا سيما وأن معظم رجالها كانوا من البربر . وأن هذه المناطق لم يتمكن العرب من فتحها وحدهم دون سواعد إخوانهم من البربر ، وأن تلك الجيوش المحاربة كانت بحاجة إلى أوضاع مستقرة فى بلاد الأندلس فهى القاعدة والمدد والمؤون التى تستمد منها غالة قوتها فى متابعة النشاط الحرى فالقيروان تدعم قرطبة وقرطبة تدعم المسلمين فى غالة . وكانت الحكمة والحاجة يقتضيان نسيان جميع الفتن والمشاكل حتى يضمنوا استمرار الجيوش فى تلك المناطق البعيدة من الأرض الكبيرة لذلك خسرت حركة الفتوح الإسلامية فى غالة الكثير من البربر الذين شكلوا قوام الجيوش الفاتحة وراء البرقات وكان انضمامهم بتلك الأعداد الكبيرة مدعاه لتغطية النقص فى القوة العسكرية التى

(١) ابن القوسية : تاريخ ، ص ٣٩ - ٤٠ - ٤١ ، ابن الأبار : الحلية السيرة ، ج ١ ، ص ٦٤ . ابن تفرى بردى : ج ١ ، ص ٢٨٠ ، ابن أبى الضياف : انخاف أهل الزمان ، ص ٨٩ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ص ١٠٢ . ولقد وضح ابن الخطيب أن البلديين هم الداخولون الأندلس على يد موسى بن نصير فسموا بالبلديين لاستقرارهم فكان دخولهم مع بلج بن بشر القشيري سنة خمس وعشرين ومائة .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ١٠٢ . ابن القوطية ص ٤١ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ص ٢٨٠ .

تحتاج إلى مدد مستمر . ذلك حرمت تلك الفتنة القوة الدافعة المحركة لنشاط المسلمين^(١) ، واقتصرت إغارتهم على أيام الهدوء التي سادت بينهم وهي أيام لم يطل صفاؤها خلال هذه المرحلة المبكرة من حكم المسلمين .

لذلك أدت المنازعات إلى إضعاف الوحدة الإسلامية بدرجة كبيرة وعرضت كياناتهم لخطر شديد فاق ما ترتب على مثيلاتها من الخصومات في سائر أرجاء الدولة الإسلامية ، إذ أن المسلمين انشغلوا بخصوماتهم في تلك الرقعة ، التي كانت تمثلا نفرا هاما ومنطقة حساسة ، وأهملا أعداد هذه القاعدة الكبرى قبل بدء إغاراتهم على بلاد الغال فكان أخطر مظاهر الإهمال انصراف المسلمين عن بقايا القوط الذين اعتصموا باشتوريش وجليقية ورفعوا رؤوسهم بجرأة وتصدوا للمسلمين . بعد أن أخلى البربر مناطق واسعة وسط الأندلس وشمالها وعادوا إلى إفريقيا وكان ذلك فرصة سانحة للنصارى للانتشار في هذه المناطق الإسبانية وتكوين دويلات هناك أصبحت حاجزا بين المسلمين في الأندلس وجنوب غالة بل قامت بعد ذلك بتقليص دولة الإسلام هناك .

وهكذا أخذت المناطق المتاخمة لميادين الكفاح الإسلامى من سكانها المسلمين وتكونت الدول النصرانية في الشمال تلك الدول التي قامت بدور الحاجز والتي أصبحت تحمى جنوب غالة من الهجمات الإسلامية وانتقال جهود المسلمين إلى مناطق الشمال الإسباني بدلا من الجهاد في الأرض الكبيرة^(٢) .

رابعاً : أثر التجمع المسيحي في اشتوريش وغالييه :-

لو تتبعنا بداية الحركة النصرانية لعرفنا أن جذورها ترجع إلى الفترة الأولى أثناء فتح المسلمين لبلاد الأندلس ، إذ بعد انتصار المسلمين في معركة وادي لكه الحاسمة عام ٩٢هـ / ٧١١م فرت شراذم قليلة من الجيش المنهزم إلى الشمال واختفت فيما وراء تلك الجبال الشمالية في منطقة تقع في الركن الشمالى الغربى المسمى باشتوريش

(١) حسين مؤنس : فجر ، ص ٣٩٣ ، العدوى : المسلمون والجرمان ص ١٦٠ - ١٦٣ .

(٢) ابن عذارى : جد ، ص ٣٨ .

Asturias منطقة غاليبه (جليقية) Galicia ولم يفرض المسلمون سلطانهم عليها نظرا لوعورة مسالكها ، وبرودة مناخها فأهملوها احتقارا لشأنها ، ولكن ظلت فلول الجيش القوطى المنهزم تنتظر الفرصة المناسبة للتجمع والاستعداد للقاء المسلمين مرة أخرى متطلعين من تلك المناطق التى يطلق عليها الإسبان قمم أوروبا Picos de Europe وهى تتكون من ثلاثة جبال مرتفعة ، القمة الغربية منها وتسمى اونجا Onga وبها مغارة تعرف بكهف اونجا Cova de onga ^(١) ويسمىها العرب صخرة بلاى ^(٢) Pana de Pelayo أو الصخرة الممتدة أقصى شرق اشتوريش .

وفى تلك الصخرة اختبأ بلاى وأصحابه حينما حاصروهم المسلمون وعاش هو ومن معه فى تلك المنطقة على عسل النحل الذى كانوا يجدونه فى خروق الصخرة .

وفى هذا الصدد يذكر عيسى بن أحمد الرازى « أن المسلمين بالأندلس استولوا على النصرانية ، وأجلوهم ، وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا أربونة من أرض الفرنجة ، وافتتحوا بنبولونه من جليقية ، ولم يبق إلا الصخرة فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاى ، فدخلها فى ثلاثمائة رجل ، ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا ، وبقي فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ، ولا طعام لهم إلا العسل يشتررونه من خروق بالصخرة فيقتوتون به ، حتى أعيى المسلمين أمرهم ، واحتقروهم ، وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجى منهم ؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به » ^(٣) .

ومن هؤلاء النفر القليل الذين استهان بهم المسلمون واحتقروهم كانت النواة الأولى لحركة التجمع النصرانى ضد المسلمين أو لحركة الاسترداد الإسبانية كما يطلق

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .

عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ضد المسلمين فى لأندلس ، ج ١ ، ص ١٥ -

١٦ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الثالث ، الجزء السادس ، ص ١٥ .

عليها المؤرخون الإسبان La Reconquista^(١) .

وكان استدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد من قبل الخلافة في دمشق قد حال دون إتمام فتح منطقة جليقية واشتوريش^(٢) .

ولقد كون القوط ثلاثة مراكز لهم الأول : مملكة جليقية واشتوريش ، والثاني مملكة نيره (نافار) ، والثالث : إمارة قطالونية (كتالونية)^(٣) .

وتتمثل أهمية مملكة جليقية واشتوريش Asturias أنه أول إقليم قام سكانه بحركة تمرد وخروج على المسلمين في أواخر عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م أي بعد سبع سنوات فقط من فتح المسلمين لبلاد الأندلس^(٤) .

إلا أن مجاورة جليقية واشتوريش لمنطقة كنتبريه Cantabria التي لم تكن شملتتها موجة الفتح الإسلامي ، جعل الدوق الفونو يتتهدز الفرصة ويضم جليقيه

(١) يرى الإسبان أن هذه الحركة (حركة الاسترداد) متصلة بتاريخهم القومي عبر العصور ، في حين يرى د. حسين مؤنس أن إطلاق هذ التسمية على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي التي بدأت بعد سقوط قرطبة أمر لا يخلو من الخطأ ، لأن بعض مناطق اشتوريش لم يفتحها المسلمون ، فميلاد هذه الحركة لا يعتبر بدء الاسترداد ، وإنما يعتبر ميلاد لحركة المقاومة النصرانية المسيحية . حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتوريش ، ص ٥٨ - ٥٩ .

ويرى خليل السامرائي : أن إطلاق مصطلح حركة الاسترداد يحمل بين طياته دعوة نصرانية وصليبية حاقدة حيث يمكن أن يفسر أن المسلمين مغتصبون ومستعمرون للأراضي الإسبانية من أهلها ، ومن حق أهلها أن يستردوها من هؤلاء المغتصبين ، في حين أن واقع المسلمين في جميع فتوحاتهم لا تشير ولا تشهد بأنهم كانوا مغتصبين ، بل حملة رسالة إنسانية عادلة وخيرة . كما تشير إلى ذلك فتوحهم وانطلاقهم في كل مكان وباعتراف أهالي تلك المناطق المفتوحة بأنفسهم .

انظر خليل السامرائي : الشفر الأعلى الأندلسي ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٦ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٩ . ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ٢٣ . المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٣) محمد عبد الل عنان : ج ١ ، ص ٢١٠ . رجب عبد الحليم : العلاقات ص ٩١ .

(٤) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ، ص ١٥ - ١٦ .

واشتوريش إلى درقينه منذ العام الأول لاعتلائه الحكم سنة ١٢١هـ / ٧٣٩م وأعلن ميلاد أول كيان سياسى مسيحي فى الشمال مستقلا عن الكيان الإسلامى فى الجنوب عرف بمملكة اشتوريش El . Reino de Asturias فكان ذلك أول تكتل مسيحي ضد المسلمين فى تلك الفترة المبكرة .

وبدأت تلك المملكة ضعيفة منعزلة مستقلة عن المسلمين دون أن تتطلع إلى الاستئثار بالسلطة فيها من دونهم ، ولكنه سرعان ما كبرت مساحتها فشملت كل ما يقع شمال نهر دويره Duero من أمام إقليم جليقيه Galicia المطل على المحيط الأطلنطى غربا حتى بلاد البشكنس (الباسك) Vascones شرقا وزادت قوتها وتثبتت أقدامها وأمنت جبهتها الداخلية وتطورت استراتيجيتها من مجرد الدفاع إلى الهجوم على المسلمين ، واتسمت علاقتهم بالعداء وهو عداء ورثته اشتوريش للقوى المسيحية التى خلفها مثل ليون Lean وقشتالة Gastilla وجليقيه Galicia^(١) .

أما التجمع النصرانى الثانى : فيعرف بمملكة نبره (نافار) Navar وهى فى غربى جبال البرتات إلى الشرق من جبال كنتبريه Cantabria على أبواب غاله وهى تمثل مملكة فاصلة بين إمارة برشلونة الواقعة على ساحل البحر المتوسط فى الشرق وبين مملكة جليقيه التى تسمت بمملكة ليون وقشتالة فى القرن ٩هـ / ١٥م وكان سكانها شعبا قويا شديدا المراس يطلق عليهم الباسك نسبة إلى منطقة بسكايه Biscaya وكان العرب يسمونهم البشكنس أو البشكونس وهم أمة مستقلة بنفسها لهم لغتهم الخاصة وهم أشد الأمم استمساكا بقوميتهم واحتفاظا بعاداتهم وتقاليدهم وهم قليلوا العدد شديدا الشوكة^(٢) .

وكانت قاعدتهم مدينة بميلونه Pamplona التى حكمها المسلمون فترة طويلة ثم فقدوها فى أواخر القرن الثانى الهجرى أمام غزوات الفرنجة المستمرة لحدود الأندلس

(١) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٦ . الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ٥٦ .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

الشمالية ، فقد كانت هذه المدينة نظرا لموقعها عرضة للمسلمين والفرنجية عند عبور كل منهما للآخر ، ولقد حاول كل منهما غزوها ، ولكن أهلها البشكنس الباسك لا يتوانون عن الذود عن استقلالها^(١).

أما التجمع النصراني الثالث فهو إمارة قطلونية Catalonia وهى من الأمم المستقلة بنفسها وأهلها يقال لهم القطلان أو الكتالان لسانهم غير لسان الإسبان ولغتهم قريبة إلى لغة البروفانس وهم لا يتفقون مع أهالى قشتالة^(٢).

وتتمتد إمارة قطلونيا من جبال البرتات فى الشمال إلى بلنسية فى الجنوب ومن منطقة الثغر الأعلى (سرقسطه) فى الغرب إلى البحر المتوسط فى الشرق^(٣).

ولم تستطع تلك الممالك الظهور على مسرح السياسة إلا بعد أن وصل المسلمون أنفسهم إلى درجة كبيرة من التفرقة والضعف الذى دب بين صفوفهم مما أفسح المجال لهذه الجماعات أن تتصدى لهم عندما أدركوا مدى عمق الخلافات بين العرب والبربر. فأدى ذلك إلى قصم عرى الوحدة الإسلامية وعرض كيائها لخطر فاق ما ترتب على كل الخصومات والمشاكل فى سائر أرجاء الدولة الإسلامية ذلك لأن اشتغال المسلمين بخلافاتهم أدى إلى عدم الحرص على تأسيس قاعدة حصينة قبل عبورهم جبال البرت وبدء إغارتهم على بلاد الغال فأدى ذلك إلى تجدد روح المقاومة بين النصارى والقوط خاصة لعرقلة حركة الجهاد الإسلامى فيما وراء البرتات^(٤).

ويدو أن وقوع الفتنة بين العرب والبربر جعل البربر يقررون العودة إلى مواطنهم الأصلية ، فهجروا الأرض التى عاشوا فيها وزرعوا ، وأخذوا يرحلون عنها ، وفعل العرب مثلهم ، مما أدى إلى إخلاء تلك المناطق ، فقلت الخيرات ، وماتت المحصولات

(١) محمد عبد الل عنان : ج ١ ، ص ٢١٠ ، رجب عبد الحليم : العلاقات ، ص ٩١ .

(٢) الاضطراب : المسالك والممالك ، ص ٣٥ ، الميرى : صفة ، ص ٤٢ .

(٣) شكيب أرسلان : الحلل الهندسية ، ج ١ ، ص ٣٢١ .

(٤) إبراهيم العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

وتعرضت البلاد لخطر المجاعات. وفي ذلك يذكر كل من ابن عذارى ومؤلف مجهول أنه في سنة ١٣٣ ، ثار أهل جليقية وترددت الغارات عليهم ثم استحكم الجوع والقحط سنة أربع وثلاثين وسنة خمس وبعض سنة ١٣٦ ، فخرج أكثر من فيها إلى طنجة وزويله ، وريف البحر في العدو ، وكانت إجاتهم من وداى شذونه وهو المعروف بوادى يرباط وبه سميت السنة (١) .

وهكذا كانت نتيجة الفتن التي وقعت بين العرب والبربر ، أن عاد البربر إلى مواطنهم الأولى بإفريقيا وفقدت بلاد الأندلس بخروجهم أعدادا عظيمة من الناس الذين عمروا تلك الأراضي وزرعوها ، إضافة إلى سوء الأحوال الجوية التي مرت بها البلاد في تلك الفترة من قلة الأمطار وهبوب العواصف التي كثيرا ما تعرضت لها البلاد طوال السنوات الخمس من سنة ١٣١ هـ إلى سنة ١٣٦ هـ (٢) ٧٤٩م - ٧٥٥م. وزاد من ذلك البلاء تنبه النصارى إلى سوء حال المسلمين واستغلال تلك الظروف ، فاتجهوا جماعات لاحتلال تلك المناطق الخالية والواسعة الواقعة بين نهري دويره وتاجه وأخذوا يشددون هجماتهم على المسلمين ويهددونهم من أن لآخر ليشغلهم عن أغراضهم الأساسية في مد نفوذهم وتوسيع رقعة المناطق الإسلامية (٣) .

ولم يتنبه المسلمون لذلك الخطر بل قامت بينهم حروب ضارية (٤) ولم تنتبه هي الأخرى إلا بعد أن وجه المسلمون معظم نشاطاتهم الحربية إلى نواحي أخرى من خارج الأندلس أو داخلها ، وعلى الأخص إقليم سرقسطة Zargoza (الثغر الأعلى الأندلسي) وارايجون Aragon وكاد يخرج من أيديهم بسبب تطلعات حكامه المستمرة إلى الاستقلال وخسر المسلمون بذلك ربع ما فتحوه في شبه جزيرة الأندلس (٥) .

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٣٨ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٦٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٣) مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية ، ص ١٠٨ - ١٠٩ . حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٣٤ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٦٢ - ٦٣ . ابن عذارى : البيان ج ٢ ، ص ٣٥ . ابن

خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١١٩ - ١٣٠ . دوزى : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج ١ ، ص ١٢٤ -

١٣٥ .

(٥) مؤلف مجهول ، ص ٦٢ . المقرئ : المجلد الأول ، ج ١ ، ص ١١٠ .

وهكذا لم يعد لمسلمى الأندلس وقت للاهتمام بأمر اشتوريش وادركت اشتوريش ذلك فحرصت على أن تفت في عضد المسلمين بكل الوسائل العلنية والسرية ، فخاضت عدة حروب وعاونت ثوار المدن الأندلسية ، وألبت عليهم عمال الشغور الأندلسية فضلا عن محاولات حكامها المستميتة لفرض سيطرتهم على مراكز التجمعات المسيحية الأخرى مثل نبره Navar بغرض توحيد الجبهة المسيحية ضد المسلمين في الأندلس ، كما قامت بتوسيع علاقتها مع ملوك الفرنجة في غاله للحصول على العون العسكرى ، واتصلت بباباوات روما لإضفاء الصبغة الشرعية على صراعها السياسى ضد المسلمين ومباركته (١) .

ولم يتهياً لكل من نبره وقطالونيا أن تلعب دورا مهما مثل اشتوريش في مقاومة المسلمين بسبب موقع كل منهما فالأولى خلف موضع تنافس القوى المحيطة بها من الفرنجة والمسلمين والثانية كانت تخضع لنفوذ الفرنجة (٢) .

ذلك تركزت حركة التمرد في إقليم اشتوريش وما أعقبها من قيام مملكة مستقلة عن النفوذ الإسلامى فى الأندلس ، وهى أول محاولة إسبانية مسيحية لإعاقة المسلمين عن جهادهم .

وأصبحت اشتوريش البؤرة التى انبثقت منها فكرة المقاومة المسيحية فابتدأت بها أول مراحل التقصص التدريجى البطئ للنفوذ الإسلامى فى الأندلس ، وهو تقصص تكفلت الدول المسيحية التى ظهرت بعد اشتوريش بانتمام مراحلها (٣) .

وللمزيد عن هذه الحركة يجب أن نلقى الضوء على زعيمها الذى يطلق عليه بلاى ؟ فمن هو بلاى هذا الذى استطاع جمع النصارى ؟ . اختلفت المصادر والمراجع فى أصله فيرى ابن الخطيب أن بلاى ابن لدوق كنتبريه المسمى فافيللا Favila (٤) .

(١) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة ، ص ١٦ .

(٢) شكيب أرسلان : الحلل ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

(٣) عبد المحسن رمضان ، ص ١٥ - ١٦ - ١٧ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢٢ .

وكان أبوه على خلاف مع ملوك إسبانيا قبل مجيء لذريق ، ومن ثم مات الملك وخلفه بلاى هذا وأصبح من أعوان لذريق وحامل سيفه حتى فتح المسلمون الأندلس^(١) . وهناك اختلاف فى شخصيته فقسم يجعله ابن أخى لذريق^(٢) وقسم آخر يجعله من سلالة القروط^(٣) ولسنا بصدد تتبع هذا وإنما الذى يهمنا هو أن بلاى يبدو أنه من زعماء المنطقة وله الفضل فى جمع النصارى بالأندلس^(٤) . الذين فروا أمام الزحف الإسلامى وتجمعوا فى اشتوريش عند منطقة الصخرة ، ولما سمعوا بوفاة لذريق Roderic انتخبوا بلاى خليفة له وقام بلاى واتخذ من مدينة كانجاس دى اونيس عاصمة له Cangas de Ohis . وبذلك عد بلاى مؤسس الإمارة النصرانية الأولى^(٥) .

ولم يتفق المؤرخون فى بدء ثورة بلاى وفى عهد من الولاة فهناك من يرى أنه فى ولاية الحربين عبد الرحمن الثقفى الثانى من أمراء الأندلس فقد ذكر المقرئ أن « أول من جمع قل النصارى بالأندلس - بعد غلبة العرب لهم - على علج يقال له بلاى من أهل اشتوريش من (أهل) جليقية كان رهينه عن طاعة أه بلده فهرب من قرطبة أيام الحربين عبد الرحمن الثقفى الثانى من أمراء العرب بالأندلس وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها وهى سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحربين عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم إلى الآن »^(٦) .

ويبدو أن الحربين عبد الرحمن والى قرطبة قد أصدر تعليماته لنائبه للحاق بهذا الهارب وتعقبه وإلقاء القبض عليه وإعادةه إلى قرطبة ، وكادت القوات الإسلامية أن

(١) مؤنس : بلاى ، ص ٧٥ .

(٢) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٦٥ .

(٣) مؤنس : بلاى ، ص ٦٢ . وللمزيد انظر عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة ، ص ١٩٦ - ٢٠٤ .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثالث ، القسم السادس ، ص ٨٣ .

(٥) حسين مؤنس : بلاى ، ص ٥ .

(٦) المقرئ : المجلد الثالث ، ج ٦ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

تظفر به ولكن ساعده على الاختباء وعدم الظهور اختفاؤه فى مناطق غابات كثيفة فى طريق وادى كانجاس Cangas واختفى عن أعين مطاردته فى قسم أوروبا Picos de Europa التى يصعب البحث عمن يختفى بها وذلك لوعورتها قعادت القوات دون أن تحقق مهمتها^(١).

ويبدو أن بلاى استطاع اقناع الاشتوريين والقوط والجرمان بحرب المسلمين والتكتل ضدهم ، فتدفق إليه الناس من كل صوب فى المكان الذى عرف بصخرة بلاى الواقعة بجبل أوسيه Auseva أحد الجبال المعروفة بقسم أوروبا وقرروا اختيار مدينة كانجاس دى اونيس Congasda مركز الهم . والتعبئة ضد المسلمين^(٢) ونتيجة لانشغال الحر بحركة الجهاد فيما وراء البرتات سهلت مهمة المسيحيين اللاجئين إلى اشتوريش على العصيان وزرع نواة المقاومة ووضع أسس الدولة المسيحية ، أو قد يكون سخط الناس من عسف وظلم الحر الذى عرف عنه الجور والشدة وكان هؤلاء حديثى العهد بالخضوع للعرب فثقل عليهم ذلك وغلت نفوسهم واستغل بلاى هذا الغليان وأعلن الثورة والتمرد^(٣) . ومنهم من يرى أن ثورة بلاى كانت فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبي بين عامى ١٠٣ - ١٠٧هـ / ٧٢١ - ٧٢٦م حيث ازداد خطر بلاى فى الصخرة وقام بالدعوة لمقاومة المسلمين فى الأندلس كما يرى ذلك عيسى بن أحمد الرازى^(٤).

ولم تذكر لنا المصادر بأن عنبسة بن سحيم الكلبي قد قام بغزو نصارى الشمال وإنما ذكرت أنه خرج للأرض الكبيرة انتقاما لمقتل السمع بن مالك حتى استشهد عام ١٠٧هـ / ٧٢٦م . ولكن المسلمين فى تلك الفترة كانوا قد تنبهوا لحركة بلاى فقام عاملهم فى اشتوريش المسمى مونوسه بالتصدى له والجأه إلى الصخرة فى عدد قليل من أنصاره ولكن لسوء الحظ قام صراع بين مونوسه ووالى الأندلس عبد الرحمن

(١) عبد المحسن رمضان ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) عبد المحسن رمضان ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(3) Reinaud : op. cit., P. 14 .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الثالث ، القسم السادس ، ص ٨٣ .

الفاقي ١١٣ - ١١٤ هـ / ٧٣٢ - ٧٣٣ م وقضى الغافقى على مونومس ثم اتجه لحرب
الفرنجة فخلا الجو أمام بلاى فتشجع وخرج من الصخرة وأخذ فى التوسع حتى
استولى على خيخون Gijon وسط سلطان على اشتوريش وكنتيره واتسع ملكه ليشمل
جزءا من جليقيه^(١).

ولما تولى أمر الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى ١١٧ - ١٢٣ هـ / ٧٣٥ -
٧٤١ م جعل همه الانتقام لكارثة بلاط الشهداء والقيام برد عاديه نصارى الشمال
والقضاء على دولتهم فى اشتوريش وجليقيه^(٢).

ويدو أن علقمة لم يحقق نجاحا فى القضاء على النصارى إذ تذكر المراجع
النصرانية ذات الطابع التعصبى أحداث تلك الثورة مفصلة فتذكر أن المسلمين خرجوا
للقضاء على بلاى بقيادة رجل يدعى علقمة فحاصروا بلاى واتباعه فى كهف يسمى
أونجا Onga واستطاعوا أن يضيقوا عليه الخناق وأرسلوا مندوبا من قبلهم يطلب منه
الاستسلام فرفض وكان المسلمون واثقين من النصر وتجددت الحرب مرة أخرى وفى
تلك المرة انتهت بهزيمة المسلمين هزيمة ساحقة بعد أن قتل منهم عددا كبيرا ووقع
قائدهم أسيرا ، وتجعل المصادر الإسيانية من هزيمة المسلمين نصرا عسكريا وقوميا
للإسيان بل تذهب إلى أن العناية الإلهية قد تدخلت فى صالحهم وأن سهام المسلمين
سارت ترند إلى صدورهم وأن قطع الجبال صارت تنهار عليهم فتقتلهم انتقاما من
السماء^(٣) وسميت تلك المعركة كوفادونجا cova Donga وتعرف عند المسلمين
بصخرة بلاى Penq de Pelayo . وهو صدام أصيبت فيه القوة الإسلامية بأول
هزيمة وانحسر النفوذ الإسلامى عن الجزء الجبلى القاحل الذى دارت فيه المعركة فى
أقصى شرقى اشتوريش^(٤).

(١) مؤنس : بلاى ، ص ١٩ - ٢٠ . عبد المحسن رمضان : المرجع السابق ص ٢٤٤ وما بعدها .

(٢) رجب عبد الحليم : العلاقات ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) مؤنس : بلاى ، ص ٦٦ . السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٠٦ . العبادى فى تاريخ المغرب
والأندلس ، ص ٨٧ .

(٤) مؤنس : بلاى ، ص ٦٧ .

ويبدو من ظاهـر الروايات النصرانية أنها ضخمت الأحداث وأكثر من المبالغة لكي تصور عظمة بلاى وقوته الصغيرة أمام قوة المسلمين الكبرى لتصور مدى انهيار المسلمين أمام النصارى^(١).

ويذكر كوندى Conds : أن عامل المسلمين على اشتوريش البربرى مونوسه هو الذى تصدى لحركة بلاى ورده إلى الصخرة مع عدد قليل من أنصاره وأن الغافقى تخلص من مونوسه ، وبذلك أصبح بلاى يقف مواجهة أمام المسلمين^(٢).

وبعد ولاية عقبة بن الحجاج السلولى الذى ثار عليه عبد الملك بن قطن وتولى

(١) ادعى المسيحيون أن هناك تأييداً سماوياً قد خالفهم إلا أن الحقيقة أن طبيعة المنطقة . كانت السبب الرئيسى للهزيمة ولذلك ينبغى أن نلقى ضوءاً على الأرض التى قامت عليها المعركة .

يبدأ الطريق ما بين وادى كانجاس Canicas فى الغرب إلى جبل أوسيه Auseva فى الشرق بواد ضيق محفوف بتلال عالية مغطاة بأشجار كثيفة محاذ فى نفس الوقت لجرى نهر سلا Sella - (Buena) الحالى - وعندما يتحد هذا النهر على بعد نصف فرسخ من مدينة كانجاس مع نهر ديبا فإن الوادى ينحنى باتجاه الجنوب مع انحناء منبع النهر الأخير ، ولمسافة فرسخ آخر تكاد التلال تبدو جبالا على ضفتى النهر ، ويزداد ارتفاعها مع التقدم فى السير ، ويختق الوادى أيضاً ويضيق حتى يصل إلى منطقة تليه تسمى La Riera ومنها إلى الصخرة نصف فرسخ آخر ، أكثر وعورة وتعقيداً ، إذ لا يرى خلاله إلا قمم عالية متراسة تحيط بالوادى من كل جوانبه وتخيّلها المرء فكاً مفترساً يطبق على فريسته ويضيق الوادى وينكمش حتى لا يبقى فى اتساع أكثر من عرض نهر ديبا ذاته ، ويبدو الوادى فى النهاية عميقاً عند أقدام الكهف - الصخرة - الذى يرتفع إلى حوالى ثلاثين متراً . وبه يتغلغل الوادى تماماً وينتهى دون مخرج إلى ما وراءه من كتل جبال قسم أوروبا Los Picos de Europa بسبب المنحدرات الصخرية الشاهقة المحيطة التى لا تترك سوى منحدرًا واحد وهو إن كان شاقاً أيضاً - فإنه أقل صعوبة من تسلقه من غيره ويؤدى إلى مدخل الكهف .

للمزيد انظر عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
ويؤيد ذلك ما ذكره عنان : فيقول : إنه استطاع زيادة تلك المنطقة الوعرة وشهد الصخرة المنيعه ورأى أروع منظر يمكن تصوره من الصخور الوعرة والأنام الرفيعة المديبة وأدرك كيف عجز المسلمون عن اقتحام هذا المعقل المنيع .

محمد عبد الله عنان : جـ ١ ، ص ٢١١ .

(2) Conde : History of dominion of arabs in Spain. V. I. P. 106 - 107 .

الحكم ، تنفس بلاى الصعداء بعد أن وصلته أخبار صراع العرب مع البربر والعرب مع بعضهم البعض ، حتى قامت الفتنة بين أبى الخطر وثوابه وبين الصمىل وىوسف الفهرى عام ١٣٠هـ / ٧٤٧م فتهياً الجو للنصارى لتحقيق أهدافهم^(١) .

وفى هذا يذكر صاحب أخبار مجموعة « لما كانت سنة ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرج عن جليقية كلها وتنصر كل مذذب فى دينه وضعف عن الخروج وقتل من قتل وصار قلهم إلى خلف الجبل إلى استورقه حتى استحكم الجوع فأخرجوا أيضا المسلمين عن استورقه . وغيرها وانضم الناس إلى ما وراء الدرب الآخر والى قوريه وما رده فى سنة ست وثلاثين واشتد الجوع فخرج أهل طنجة وأصيلا وريف البربر ممتارين ومرتحلين وكانت إجارتهم من وادى بكورة شدونه ويقال له وادى برباط فتلك السنون تسمى سنى برباط ، فخف سكان الأندلس وكاد أن يغلب عليهم العدو إلا أن الجوع شملهم^(٢) .

وهكذا وبعد تلك الأوضاع السيئة التى انتهى إليها العرب مع بعضهم ومع البربر تولى أبوا الخطر ومن ثم ثوابه الجذامى ، وقامت الفتنة فى عهدهم وتولى يوسف الفهرى سنة ١٢٩هـ .

اشتدت مقاومة النصارى للمسلمين نتيجة لما أحرزه بلاى وأنصاره فى جليقيه فتشجعوا على رفع لواء الثورة . فيذكر صاحب أخبار مجموعة « أن أهل بنبلونه كانوا قد نقضوا بنقض أهل جليقيه^(٣) .

وهذه إشارة لحركتهم فى عهد يوسف الفهرى^(٤) . فقام يوسف بالتصدي لهم وأرسل جيشا لمهاجمتهم بقيادة سليمان بن شهاب والحصين بن الدجنين ولكن

(١) المقرئ : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٢ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٧٦ .

(٤) مؤنس : بلاى ، ص ١١ . السامرائى : ص ١٠٩ .

الجيش لم يوفق في المهمة التي أرسل إليها^(١).

وهكذا خلط المؤرخون خلطاً شديداً في بدء ثورة بلاى فمنهم من رأى أنها في أيام الحربين عبد الرحمن الثقفى وبعضهم رأى أنها في أيام عنبسة الكلبي وآخرون يجعلونها في أيام عقبة السلولى وهناك من يجعلها أيام ولاية يوسف .

ويرى رجب عبد الحليم معركة كوفادونجا Cova donga قد حدثت عام ١٣٣هـ / ٧٥٠م ، ٧٥١م . إذ أن خلافة بنى أمية في المشرق قد انتهت والقوات الإسلامية في الأندلس قد تضعضعت بفعل الصراعات القبلية أى أن الوضع العام في الداخل والخارج هياً لتلك المعركة ظروفها وكفل لها النصر ضد المسلمين . فاستطاع بلاى بمرور الوقت وانتهاز الفرص تحقيق النجاح في تأسيس مملكة اشتوريش التي بدأت صغيرة ثم اتسعت حتى شملت مناطق شاسعة (وخصوصاً بعد ثورة البربر فضم جليقية Galicia واسترقه Astorga والمدن الواقعة خلف الجبال مثل ليون الإسبانية Leon^(٢) وغيرها وسموره Zamora وشلمنقه Salamanca وشنت منكش Siman- cas وشقوبيه Segovia وابله Avola واوكة Oca واوسمه Osma وكلها مراكز جهد المسلمون أثناء فتحهم لها وبذلوا من أجلها الغالى ولكنهم أضاعوها في غمرة الصراع القبلى العنيف بينهم وبين البربر وبين القبائل العربية وبعضها مع البعض ، وأصبحت حدود الأندلس قبل بداية عصر الإمارة^(٣) . تبدأ من الغرب حتى مدينة قويمره على نهر منديق ثم تمتد إلى قوريه فطلييره فطليطله فوادى الحجارة فتطيله فبهلونه في أقصى الشمال الشرقى ، أى أن الأندلس الإسلامى فقد ربع شبه الجزيرة على وجه التقريب قبل قدوم عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ / ٧٥٨م^(٤) . وأخيراً وفي تلك

(١) ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢) رجب عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣) مؤنس : بلاى ، ص ١١ . وللتفاصيل انظر عبد المحسن رمضان : ص ٢٢٤ - ٢٣٤ ، مؤنس : فجر ، ص ٣٤٩ . سال : تاريخ المسلمين ، ص ١٦٩ .

(٤) شكيب أرسلان : الحلل ، ج ٥٧ . رجب عبد الحليم ، ص ٤١ . مؤنس : فجر ، ص ٣٤٩ . ٣٥٠ -

الفترة توفي بلاى فكانت وفاته سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م ، كما يذكر ابن خلدون^(١) على حين تؤكد المراجع الحديثة والأوروبية بأن بلاى قد حكم من عام ٩٠هـ - ١٢٠هـ / ٧١٨م - ٧٣٧م^(٢) وخلفه ابنه فافىلا Fafila الذى حكم بعده لمدة ستين ١٣٣ - ١٣٥هـ - ٧٥٠ - ٧٥٢م ومات ولم يترك ذرية . وكان الدوق يتروس أمير كنتبريه قد توفي فى ذلك الحين وخلفه ولده الفونو دوق كنتبريه وتمت هذه الإمارة النصرانية الصغيرة وقويت أواصر التحالف بينهما وبين جليقية بزواج أميرها الفونسون من ابنه بلايو واسمها ارسيندا Ermensind^(٣) فالتحدت بذلك إمارتا كنتبريه وجليقية فى حكومة واحدة وقامت مملكة نصرانية واحدة هى مملكة ليون النصرانية أو مملكة جليقية وامتدت من بلاد البشكنس شرقا إلى شاطئ المحيط غربا ، ومن خليج بسكونيه شمالا إلى نهر دويره جنوبا وتشمل مناطق واسعة وتحتجب وراء الجبال بعيدة عن سلطان المسلمين^(٤).

ويدو أن حركة المقاومة النصرانية للمسلمين فى عصر الولاة لم تقتصر فقط على منطقة اشتوريش بل يمكن القول بأن خط المقاومة امتد من بلاد البشكنس فى الشرق إلى الصخرة فى الغرب على طول سلاسل جبال كنتبريه . أما الممرات الشرقية لجبال البرت فقد ظهرت فيها المقاومة فى أواخر عصر الولاة واستمرت خلال عصر الإمارة الأموية .

وهكذا تغيرت الأحوال فى جنوب بلاد الغال ، بعد أن خلا الجو للمسيحيين وبدد العرب بخلافاتهم وحروبهم وعصبيتهم ما حصده يوحدهم وقتال أعدائهم .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

(٢) عنان : الآثار الباقية : ، ص ٣٧٠ . طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٩١ .

Leve - Provençal : op. cit., I. 319 .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢٣ . عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٤) عنان : دولة ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

Reinaud : op. cit., P. 74 - 75 .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل السابع

جهاد أمراء الأمويين ضد الفرنجة

أولاً : استئناف الجهاد خلف البرت .

ثانياً : الجهاد البحري في غالة .

أولا : استئناف الجهاد خلف البرت :

أثرت الأحداث التي مرت بها الأندلس على جهاد العرب فيما وراء البرت بعد انتهاء فترة حكم عقبة بن الحجاج السلولى عام ١٢٣هـ / ٧٣٤م ومجيء عبد الملك بن قطن وتولية الحكم فى صفر سنة ١٢٣هـ / ٧٣٤م فى ولايته الثانية^(١)، فتوالت المشاكل بعودته واشتعلت الأندلس بسبب قيام الفتنة بين العرب والبربر فى كل من إفريقيا والأندلس^(٢) وهى الفتنة التى انتهت بمقتل عبد الملك بن قطن وقيام ثورة اليمينية بزعامة ابنه قطن وأمية ضد بلج بن بشر القشيري واتباعه من المضريه ، وخروج عبد الرحمن بن علقمة والى أربونة وقائدها الأعلى فى غالة وفارس الأندلس الذى عرف بتعصبه لليمنية فقرر الخروج من أربونة والأخذ بالثأر وتركها خالية وجردها من معظم رجاله وتوجه بهم للانتقام من المضرية ، مع أن وجوده فيها كان خير ضمان لثبات أمر المسلمين^(٣).

ولقد زعمت بعض المصادر^(٤) أن عدد رجاله بلغ مائة ألف ، وعلى الرغم من المبالغة الواضحة فى تقدير جيشه إلا أنها تدل على أن علقمة قد سحب معظم قواته وأخلى غالة من المسلمين ، وكان ذلك من أقوى الأسباب التى أدت إلى زوال أمرهم فيما بعد بسبب إلقاء ابن علقمة نفسه فى معمة الحرب التى لم تكن نتائجها إلا الوبال والخسار ، ولم يعد للمسلمين أمل فى البقاء فيما وراء البرت نتيجة لإقدامهم على تلك التصرفات والفتن المدمرة ، وبالإضافة إلى ذلك انشغالهم بالخلافات والانقسام بين أفراد الأسرة الحاكمة فلم يستطيع المسلمون الاستمرار من رسالتهم ومتابعة الجهاد والفتح فى مناطق غرب أوروبا^(٥).

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ص ٢٦٩ ، ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ٢٨ ،

المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص : ١٧ - ١٨ .

(٢) انظر الفصل السادس فى أسباب تعثر جهاد المسلمين خلف البرت .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ١٦ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٢ .

(٥) مؤنس : فجر : ص ٢٨٧ .

ومن تلك الفترة العصيبة التي كانت تمر بها الأندلس والتي كانت مسرحا لثورة البربر ضد العرب في الأندلس ، وثورة الخوارج في إفريقيا وقيم بعض القبائل العربية بالفتن في الأندلس ، وكانت الدعوة العباسية تشير القلائل من المشرق الإسلامي وشغلت بها الخلافة الأموية في أواخر عهدها ، فلم تتمكن من بذل العناية اللازمة لهذا الجزء البعيد من العالم الإسلامي في الغرب ، بل وكلته لأمرء إفريقيا والأندلس وكل هذه الأسباب أدت إلى الهزائم في غالة وأثرت على الروح المعنوية لمسلمي الأندلس ونهت العالم الغربي لضعف المسلمين ، وجاء في نهاية المطاف قيام الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ (٧٥٠م) فتحول مركز الخلافة إلى بغداد وفي نفس الوقت حدث تغيير في العالم الغربي فقد زالت الدولة الميروفنجية وقامت الدولة الكارولنجية ، إذ أنه بوفاة شارل مارتل ١٢٤هـ / ٧٤١م قسمت الدولة بين أبنائه وساعدت الظروف ابنه بين Pepin على الانفراد بالسلطة عام ١٢٤هـ / ٧٤٧م^(١) وإعلان زوال البيت البيروفتجي وميلاد البيت الجديد الكارولنجي نسبة إلى شارل مارتل ، وامتد عمر دولة بين الذي أعلن نفسه ملكا واستمر حتى عام ١٥١هـ / ٧٦٨م ، وقرر أثناءها رسم سياسة جديدة لاعلاء شأن دولته الجديدة تقوم على تقوية علاقاتها مع البابوية في روما وإخراج المسلمين من سبتمانيا في خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري (منتصف القرن الثامن الميلادي) بوجود ثلاث قوى عالمية القوى الإسلامية من الأمويين في الأندلس وغالة والعباسيين في المشرق الإسلامي ودولة الفرنجة الكارولنجيين في غرب أوروبا والدولة البيزنطية في شرق أوروبا^(٢).

ولقد كان إخراج المسلمين من سبتمانيا عملا يهدف إلى انعام سياسة شارل مارتل من قبل ابنه الذي أدرك أن وجود المسلمين في عالم خطر يزعزع دولته

(١) إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص : ١٦٦ ، العدوى : المسلمون والجرمان : ص ٢٠٣ .

(٢) طرخان : المسلمون في أوروبا : ص ١٦٦ .

Thombson : The Middle ages . pp. 182 - 183 .

Oman : The Dark ages . pp. 335 - 320 .

Moss : The birth of the middle ages p. 217 .

خصوصا بعد تكرار حملتهم على جنوب بلاد الغال .

ولكن شارل مارتل ترك لابنه بين من بعده اتمام ما فشل فيه هو فبعد أن وصلت إلى بين أخبار سوء أحوال المسلمين في بلاد الأندلس وما سادها من تناحر وتطاحن ونزاع مستمر ، قام بين برسم الخطط للاستفادة من تلك الأوضاع محاولا التدخل في مشاكل المسلمين لكي يوسع الخلافات بين جميع الأطراف^(١).

ونعود للمسلمين فنذكر أنه برحيل عبد الرحمن بن علقمة فارس الأندلس من أربونه خرجت كثير من كبريات مدن سبتمانيا مثل نيم Nimes وماجلون Mague-Ion واجد Agde وبيزيه Beziers كما استقلت بعض إمارات البرقات مثل كتبريه Cantabria ونبره Navar ولكنه أصبح بها أمير يدير أمورها معترفا بسُلطان المسلمين^(٢).

وهكذا سقطت أراضي الشجر كلها بيد النصاري ولم يبق بيد المسلمين سوى أربونه، أما عبد الرحمن بن علقمة فقد عاد إلى أربونه مرة أخرى بعد انتهاء الفتنة والثأر لمقتل ابن قطن وقام يرقب الحوادث .

ولما تولى يوسف الفهري^(٣) إمارة الأندلس واستأثر الصميل بالسلطة دونه وأبعد

(١) شكيب أرسلان : غزوات : ص ١٤٦ .

(٢) أرسلان ، غزوات العرب : ص ١٤٤ ، ريتو : الفتوات / ترجمة إسماعيل العربي : ص ٩١ .

(٣) تعاقب على الأندلس قبل أن يتولى يوف الفهري العديد من الولاة فنذكر أنه بمقتل ابن قطن ورجوع علقمة إلى أربونه تولى بلج بن بشر القشيري سنة ٢٤هـ / ٧٤٢٢م ، ولم تستمر ولايته سوى أحد عشر شهرا أو أقل ، ثم تولى ثعلبة بن سلامة العاملي ١٢٤هـ / ٧٤٤٢هـ عشرة أشهر ، ثم تولى أبو الخطار حسام بن ضدار الكلبي في رجب ٢١٥ - ٧٤٣م ولايته التي دامت أربع سنوات وستة أشهر تولى بعده ثوبه الجذامي سنة ١٢٨هـ / ٧٤٦م ودامت ولايته سنة واحدة ، ثم جاء عبد الرحمن اللخمي سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م بضعة أشهر لاعتبارات خاصة ، ثم جاء يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس التي تولى الحكم ١٢٩هـ / ٧٤٧م .

للمزيد من أخبار الولاة انظر الحميدى : جذوة المقتبس : ص ١٨ ، ابن عذاري المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٠ - ٣٥ ، المقرئ : المرجع السابق ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع : ص ١٧ - ١٨ - ١٢٤ .
(هذا وسيجد القارئ جدولا بأسماء الولاة) .

الصميل الحاكم على سرقسطه وخشى عبد الرحمن بن علقمة أن يكون تعيين الصميل تمهيدا لإقالته من أربونه وإبعاده عن ميدان الجهاد ، وقرر محاربة يوسف الفهرى وعبور جبال البرتات ، ولكن ما لبث أن اغتيل عبد الرحمن من بعض أصحابه وحملوا رأسه إلى يوسف الفهرى وتمت هذه المؤامرة بتدبير يوسف الفهرى نفسه ، فبدلا من أن يتدارك الموقف الخطير للمسلمين فى سبتانيا وأن يوحد جهود المسلمين لصد طلائع التحالف بين الأعداء من الفرنجة والقوط أثر التصادم فى مشاكله الداخلية وإهمال الجبهة الإسلامية الشمالية للأندلس حتى صارت القوات الإسلامية فى حالة سيئة وزاد الطين بله حنقه على حاكم أربونه وانتهى الأمر بمقتله^(١).

ففقدت سبتانيا بذلك الشخصية الوحيدة القادرة على حمايتها والدفاع عنها والتي ذهبت نتيجة لسياسة الفرقة العمياء والصراع الداخلى المقيت فى الأندلس ، وعندما وصلت أخبار مقتل ابن علقمة تجدد الأمل وانبعث الحماس فى نفس يبين للاستيلاء على تلك القاعدة^(٢).

وقبل أن نتابع تلك الأحداث يجب أن نلقى نظرة على يوسف الفهرى^(٣) وجهوده خلف البرتات فنذكر أنه فى سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م وجه يوسف الفهرى ابنه عبد الرحمن إلى جبال البرتات لكى يقضى على كثرة المسيحيين فى هذه المناطق (جنوب غاله) ولكن المسيحيين استطاعوا أن يقاوموه ويتصروا عليه ، وكان النصارى فى الأندلس قد انتهزوا فرصة الاضطراب الداخلى فقاموا بالإغارة على الأراضى الإسلامية الشمالية واستولوا على كثير من القلاع وواصلوا تقدمهم حتى ضفاف نهر دويره ،

(١) ابن الأثير : الكامل : ج ٥ ص ٢٩ ، ابن عذارى : البيان : ج ٢ ص ٣٨ ، المقرئ : المجلد الثانى ، القسم الرابع : ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) العدوى : المسلمون والجرمان : ص ١١٤ - ١١٥ .

Reinaud : op. cit., P. 76 .

(٣) هو من ولد عبد الرحمن بن جبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى فات إفريقيا ومؤسس القيروان وصاحب الغزوات والآثار الحميدة ، ولهذا البيت فى السلطنة بإفريقيا والأندلس نباه .
انظر : المقرئ : المجلد الثانى ، القسم الرابع : ص ٢٤ .

وهكذا فشلت محاولة عبد الرحمن بن يوسف نتيجة لضعف النفوذ الإسلامى هناك وبسبب انقطاع الاتصال بين الأندلس وسبتمانيا عقب قيام أهل جليقية بانتقاضه على المسلمين وتغلب بلاى على اشتوريش^(١).

ولم يطل الوقت حتى بدأ المسيحيون فى سبتمانيا ينقضون على المسلمين وكان يتنازع هذه البلاد بمقاطعاتها السبع فيفر Vaifre ابن أودو دوق أكيثانيا وبين ابن شارل مارتل ، وكان بين قد نال لقب ملك ونقل إليه التاج من آخر ملوك الميروفنجيين سنة ١٣٣هـ / ٧٥١م فاتجه إلى أربونة^(٢).

أما إذا نقلنا إلى سبتمانيا فنجد أن القوط نتيجة للصراع الذى انتهت به فترة الولاة قد قاموا برفع رؤوسهم مرة أخرى عندما وجدوا انصراف المسلمين عنهم إلى مشاكلهم الداخلية وبدءوا يجمعون صفوفهم للتصدى للمقاومة الإسلامية ، واتصف القوط بتلك الظاهرة العدائية سواء كانوا فى بلاد الأندلس أو خارجها فكانوا يجنحون إلى السكون والهدوء أمام الحزم والقوة والسلطان ، ويتجهون إلى الانتقام إذا ما أحسوا من جيرانهم ضعفا^(٣).

وحمل لواء المقاومة فى سبتمانيا فى تلك الفترة أحد القوط ويدعى أنستوندوس Ansemundus ظهر فجأة على مسرح الأحداث وانتهاز فرصة اضطراب الأمور من الأندلس فامستولى على بعض القواعد الإسلامية فى سبتمانيا وهى نيم Nimes واجد Agda وبيزيه Beziers وماجلون Maguelon وما حولها ، ثم أسس من تلك المدن مملكة صغيرة جعلها ملجأ لأعداء المسلمين ومركز لنشاطهم الحربى ولكنه مالبث أن أدرك أن تلك المملكة لن تعمر طويلا طالما يقى المسلمون فى أربونة ، فعزم على إخراجهم ولكنه وجد نفسه على الرغم من مشاكل المسلمين وضعفهم عاجزا عن

(١) عن دور بلاى فى اشتوريش . انظر الفصل السادس الخاص بأسباب تعير المسلمين خلف البرت ، وعبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة .

(2) Oman : op. cit., P. 325 .

(٣) رينر : الفتوات / ترجمة إسماعيل العربى : ص ٩٠ - ٩١ .

القيام وحده بتلك المهمة فقرر الاستجداء بملك الفرنجة بين الذي رحب بدعوته حين وجدها فرصة سانحة لفرض سلطته على ما تبقى خارجا عن طاعته في غالة^(١).

فسار بقوات الفرنجة وقوات القوط مجتمعين فاستولوا على كثير من المدن والمعاقل إلا أربونة التي دافعت واستقصت عليهم فحاصروها ثم أدركوا بعد مضي الوقت أنها من المتانة والصعوبة بحيث لا يمكنهم فتحها فتركها بين وخلف حليفه القوطي ليستمر في حصارها ، ثم دارات رحى الحرب بين أنسموندوس والمسلمين الذين قاموا بعمل كمين له أدى إلى التخلص من متاعبه وبعد تلك الأحداث حلت مجاعة شديدة في غالة^(٢) عطلت حركة سير الجيوش ولم يستطع الفرنجة الاستمرار في ضرب الحصار على أربونة^(٣) فاضطروا إلى الانسحاب منها فنجت أربونة من خطر الحصار هذه المرة أيضا وظلت بجانب نواحي سبتمانيا تشكل نفرا ومقرا إسلاميا ودرعا واقيا للمسلمين في الأندلس الذين انشغلوا بصراعتهم ومشاكلهم دون النظر والاهتمام بهذا الشر الهام وتقويته حتى آلت الأمور إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية أي الداخل^(٤).

واشتغل أهل الأندلس بأمرهم وتأسيس دولتهم وظلت أربونة قائمة بالدفاع معتمدة على نفسها دون أي أمل في وصول أي مجندات من المسلمين ، وابتسم لها الحظ حينما انشغل بين عنها بقيام الثورات^(٥) في بلاده والتصدى لها وظلت أربونة وبعض نواحي سبتمانيا نفرا إسلاميا يكون للأندلس الإسلامي كدرع مكين دون أن يدرك أهالي الأندلس أهمية الدور الذي قام به المسلمون في تلك المناطق المنعزلة وهم محاصرون بالأعداء المتريعين لهم من كل جانب^(٦).

(١) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢٨٩ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة : ص ٦٢ - ابن عذاري : ج ٢ ص ٣٨ .

(2) Reinaud : op. cit., P. 78 .

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح : ص ٤٢ - ٤٥ ، مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة : ص ٥٦ - ٦٣ .

(5) Oman : op. cit., P. 325 - Thomson : op. cit., P. 183 .

المدري : المسلمون والجرمان : ص ٢٨٩ .

(٦) مؤنس : فجر : ص ٢٨٩ .

أما الأندلس فقى تلك الفترة كانت قد شغلت بأمر أميرها الجديد عبد الرحمن بن معاوية وتأسيس دولته الأموية^(١)، وبعد استتاب الأمور له عام ١٤٠هـ / ٧٥٨م ولانشغال ببين بالشورات فى بلاده ، أدرك عبد الرحمن الداخل أهمية أربونة ولكنه كان محاطا بالمشاكل والشورات فقرر إرسال جيش أعده لهذا الغرض على الرغم من الأخطار المحدقة به لانقاذ أربونة وقاد الجيش رجل يرجح أن اسمه أبو سليمان بن حبيب بن عبد الملك بن عمر ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان^(٢) ولكن العصابات المسيحية المنتشرة فى جبال البرتات استطاعت القضاء على هذا المدد^(٣) وبرغم تلك الهزيمة التى يجب أن تحرك نفوس الحكام فى أطراف الأندلس إلا أنه لم يتحرك أحد منهم ولم يكتفوا بموقفهم هذا بل أخذوا يثون الفتنة للثورة على الأمير عبد الرحمن أو إعلان العصيان المسلح ضده^(٤).

وكانت هذه آخر محاولة قام بها عبد الرحمن بن معاوية لانقاذ آخر معاقل الإسلام من غالة . إذ روعت هذه الكارثة عبد الرحمن فلم يعد يفكر فى أمر حامية غالة بأربونة بالإضافة إلى الثورات التى تواترت عليه فما أن ينتهى من ثورة إلا لتبدأ الأخرى فى الاشتغال^(٥).

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن ج فى الهروب من المذبحة التى أقامها العباسيون للأمويين ففر إلى مصر ثم إلى أخواله بنى نفره فى شمال إفريقيا وهناك حدثته عصبية الأموية بما يعاناه الأندلس من فوضى سياسية وبما فيه من مزايا فأنجحه إلى هناك ودخل فى صراع مع القوى السياسية الممثلة فى يوسف القهري والعميل بن حاتم ونجح فى أن يسبقهم للوصول إلى قرطبة وأسس بذلك إمارة أموية فى بلاد الأندلس لا علاقة لها بالخلافة العباسية فى بغداد .
للمزيد انظر : مؤلف مجهول : أخبار مجموعة : ص ٧٨ - ١٠٠ ، ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٧ - ٦٠ .

(١) ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ١ ص ٥٩ .

(٢) من أهم هذ العصابات البشكنسى ، الجلالة ، القطلان

للمزيد انظر : الاصطخرى : المسالك : ص ٣٦ .

(4) Reinaud : op. cit., P. 81 .

(٥) ابن عذارى ، البيان : ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨ ، المقرئ : نفخ الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع : ص ٢٦ - ٥٠ .

وهكذا تركت أربونة لمصيرها ولم يفكر أحد في أهميتها أو في المساعي والجهود التي بذلها المسلمون لبقائها قوية صامدة ضد كل القوى المحيطة والطامعة فيها وعلى رأسهم الفرنجة .

وبعد أن وصل حالها إلى هذا السوء وتبين مدى ضعفها أدرك أعداء المسلمين أن أربونة باتت وحيدة منعزلة عن غيرها فزاد طمعهم فيها .

وفي تلك الأثناء قام الفرنجة بفرض الحصار عليها ولكن المسلمين استطاعوا أن يقاوموهم ويردوا بأسهم ، فلما أدرك بين صعوبة الاستيلاء عليها بالحرب لجأ إلى سلاح الخديعة والخيانة فقام في سبيل ذلك بالاتصال بجماعات القوط من سكانها وحشهم على القدر بالمسلمين بعد أن مناهم بالوعود الكاذبة وهي أن يتعهد لهم مقابل إعلان ثورتهم على المسلمين وفتح أبواب أربونة وأسوارها خلسة أن يمنحهم حقوقا وامتيازات واسعة وأن يسمح لهم باستعادة قوانينهم القديمة .

ورضى القوط بقبول وعود بين الكاذبة وذلك عن غدر متأصل في طباعهم السيئة نتيجة لما انطورت عليه روحهم من تمرد وغدر متأصل ونسوا ما تمتعوا به من حكومة عادلة في ظل المسلمين نعموا خلالها بالحرية وحسن المعاملة ونسوا كل الامتيازات التي نالوها في عهد الإسلام وأهله ورأوا في دعوة بين إحياء لسلطانهم المندثر ولم يتبينوا خداعه لهم ، فقاموا بالثورة على حامية المسلمين في أربونة وقتلوا حراس الأسوار وفتحوا المدينة عنوة فما لبث أن اندفعت قوات بين داخلها سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م واستولت عليها^(١) .

وهكذا حرم المسلمون من أهم قواعدهم في بلاد الغال بعد أن دافعوا دفاع المستعيت وضاعت بستمانييا من يد المسلمين عام ١٤٢هـ / ٧٥٩م نتيجة منازعتهم وترك جند أربونة بلادهم ووراءهم صيحات تدوى باقتراب خطر الفرنجة وتهديده

(١) رينو : الفتوحات ، ص ٩٣ - ٩٤ .

Reinaud : op. cit., P. 81 .

للمسلمين فى عقر دارهم بالأندلس ، وضاع المعقل الإسلامى الذى تصدى للعدو خلف البرتات^(١) .

ولكن بالرغم من ذلك فقد استمر الوجود الإسلامى فى نواحي دوقية الدوفينه Dauphine واكوتين Aquitaine ونيس Nice وشعاب الألب الغربية وجرينوبل Grenoble^(٢) .

وهكذا لم ينته الوجود الإسلامى بسقوط ثغر أربونة (سبتمانيا) عام ١٤٢هـ / ٧٥٩م بل بقيت هناك جماعات أو جيوب إسلامية فى كل من مقاطعة الدوفينه Duphine ، وفى مقاطعة نيس Nice وفى جبال الألب وأن هذه الجيوب المسلمة بقيت متمكنة فى تلك الأنحاء مدة طويلة فى عهد كل من بيبين وشارلمان ، بل قيل أن المسلمين احتلوا مدينة غرينوبل Grenoble^(٣) .

ولكن كانت الأوضاع فى بلاد الفرنجة فى عهد عبد الرحمن الداخل تزداد تحسنا وتألقا يوما بعد يوم فأصبحت لديهم الدولة المنظمة والمملك الحاكم والرجال الأجناد وأصبح بإمكانهم الاستعانة بقوى خارجية تعضدهم ضد أعداءهم من المسلمين ، ولم يعد مسلموا الأندلس هم المهاجمين لمسيحي غالة بل أصبح الأمر بالعكس ، فقد تغير الوضع بالنسبة للمسلمين من حركة هجومية إلى حركة دفاعية صرفه وكان بيبين قد أخذ يرأسل أهالى كاتالونيا Catlony وأرغوان Aragon ونافار Navar ليوحدوا حركتهم مع الافرنج ، كما طلبوا مساعدة البابوية التى كانت تمثل قوة دينية لها وزنها فى أوروبا فى هذه الأونة^(٤) .

(١) مؤنس : فجر ، ص : ٢٩١ ، عنان : ج ١ ص ١٣٥ .

مصطفى أبو ضيف : القبايل : ص ١١١ .

(١) مؤنس : فجر ، ص ٢٩١ ، رينو : الفتوات ، ص ٩٤ . أرسلان : غزوات ، ص ١٥٤ .

(٣) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٦٩ ، أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٥٤ - ١٥٥ . رينو : الفتوات : ص ٩٤ .

(4) Pirenne : Mohamed and Charlemagne PP. 226 - 227 .

أما في عصر شارلمان^(١) فقد حرص على أن يمد العون لكل ثائر على أمراء العرب .

وبمرور الأيام قام شارلمان وأولاده بالدخول إلى أراضي الأندلس وضموا إلى مملكتهم أجزاء من الأندلس نفسها في وقت كان فيه أمراء الأندلس في نزاع دائم مع خلفاء الدولة العباسية الذين كانت بينهم وبين ملوك غالة علاقات طيبة ويتبادلون معهم التحف والهدايا ، وقيل أنه في عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م قدم ثلاثة رسل من بغداد عاصمة الخلافة العباسية إلى غالة ونزلوا في ميناء مرسيليا Marseill وصعدوا إلى مقر بين فاحتفل بهم وقضوا الشتاء في متز Metz وبللورين Lourin ثم أقاموا في سلس Sels على ضفاف اللوار Loure ثم عبروا وعادوا إلى أوطانهم ومعهم الهدايا والتحف إلى الخليفة العباسي^(٢) .

ومنذ استيلاء بين القصير على أربونة اعتبر منطقة جبال البرت هي الحدود الطبيعية بين غالة وإسبانيا ورأى أن هذه الحدود يجب أن تؤمن لتكون في حالة من الاستعداد والتعبئة حتى لا يتكرر هجوم المسلمين على غالة مرة أخرى .

وكان في استطاعة عبد الرحمن بن معاوية أمير الأندلس اتخاذ خطوات عاجلة لمعالجة الموقف الجديد الذي طرأ على التحويم الشمالية لبلاد الأندلس ولا سيما في جهاتها المجاورة لمنطقة جبال البرتات ولكن كان أمامه الكثير ليمهد الأمور ويقضي على

(١) هو ابن بين القصير تولى بعد وفاة أخيه كارلومان وسيكون له دور كبير في ضم مملكتي غالة وإيطاليا تحت سيادته .

للمزيد انظر : Einhard : The Life of Charlemgne P. 40 - 50 .

(٢) كما كانت هناك مراسلات وهدايا بين الخليفة أبي جعفر المنصور وبين بين القصير تبادلوا فيها الهدايا . أما في عهد شارلمان فقد توطدت العلاقات مع الخليفة هارون الرشيد .

للمزيد انظر : Einhard : op. cit., P. 41 .

Lamb : op. cit., P. 183 .

أرسلان : غزوات ، ص ١٥٤ - ١٥٥ . رينر : الفتوات ، ص ١٠٢ ،

Sherwani : op. cit., P. 88 . Reinaud : op. cit., P. 89 - 90 .

Buckler : Harun Alrashid : P. 27 .

الفتن حتى يؤمن فيه وضع إمارته النامية وتدعيم أركانها المتصدعة التي أحدثتها شقاقات المسلمين وخلافاتهم الداخلية ورأى أن السبيل الوحيد لهؤلاء الفرنجية المتربصين هو إقرار أمور دولته الجديدة . وما كاد ينتهي منها حتى تصدى لمؤامرات الفرنجية ، ذلك أن سياسة الدولة الكارولنجية منذ بداية عهد شارلمن انجذبت إلى استغلال الفتن الداخلية في بلاد الأندلس لإضعاف الإمارة الأموية خشية أن تعيد إمجادها الحربية في بلاد الغال^(١) .

لذلك حرص ملوك الفرنجية على رسم سياسة تضعف وتفت في عضد الدولة الأموية تقوم على الاتصال بأمراء المسلمين في المناطق الشمالية وتخريضهم على عدم طاعة عبد الرحمن الداخل ، ومحاولة توسيع هوة الخلاف بينهم حتى يشغلهم ذلك عن التفكير في أى تقدم خلف البرت .

ونتيجة لانشغال الداخل بتلك المشاكل التي عرقلته عن التفكير في استئناف حركة الجهاد التي انتهت بعصر الولاة^(٢) .

ولقد كانت سياسة شارلمان تنمى لسياسة أبيه الذى كان كثيرا ما يغرى أمراء المناطق الشمالية بالأندلس على دولتهم والالتجاء إليه ، ولكن هؤلاء الأمراء كانوا إذا ما أحسوا بمطامع الفرنجية نحوهم لجأوا إلى أمراء الأندلس يطلبون النجدة والعون ، وإذا حسوا بضغط من أمراء الأندلس لجأوا إلى الفرنجية ، وكان يساعدهم فى ذلك طبيعة بلادهم الجبلية التى تتميز بالوعورة والصعوبة فى معرفة محاورها وطرقها ودروبها^(٣) .

وحينما استقر أمد شارلمان أخذ يداخل أمراء الأندلس مرغبا لهم فى تحريرهم عن طاعة أميرهم مشجعا لهم على الانفصال والاستقلال .

(١) أرسلان : غزوات ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ . رينر : الفترحات ، ص ١٠٢ .

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

Sherwani : op. cit., P. 66 .

(٣) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ . الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٢٢٠ .

وفي عام ١٥٧هـ / ٧٧٤م ثار سليمان بن يقظان الكلبي والى برشلونة - Barce lona وجيرونة Gerona والحسين بن يحيى الأنصاري والى سرقسطة Zeragoza على عبد الرحمن بن معاوية وشجعهم على ذلك الموقع الجغرافي لولايتيهما ذلك أن برشلونة تعتبر قاعدة سهلة الاتصال بسببتمانيا جنوب بلاد الغال ، وكذلك سرقسطة حيث يقع بالقرب منها عمر هام يربط بينها وبين تلك المناطق الجنوبية من بلاد الغال .

وعلى الرغم من امتداد جبال البرت في تقويس هائل إلى الشمال من برشلونة وسرقطة إلا أن لها ممرات معروفة ومحددة تكفل الانتقال من شمال بلاد الأندلس إلى بلاد الغال والعكس بالعكس ، ورأى الفرنجية من وراء ذلك جعل منطقة جبال البرتات حاجزا منيعا يحول بين قيام المسلمين في الأندلس بغارات على بلاد الغال ، إذ ما فكرت الدولة الأموية في تحقيق هذا الهدف يوما ما^(١).

وكان شارلمان حينذاك يقيم في بلاطه في مدينة بادربون Paderbon في مقاطعة وستفاليا Westphila في إمارة سكسونيا Saxsony (شمالي ألمانيا الحالية) فاجبه الثائرون إليه وعرضا عليه المحالفة وغزو الولايات الشمالية الأندلسية وتعهده بمعاونته وأن يسلمه المدن التي يحكمها هو وصحبه ولا سيما مدينة سرقسطة ، وزين له سهولة الأمر وسرعة سقوط أي جيش يتصدى لهم ، ولو كان جيش الداخل ، وصوروا له أن أميرهم مقتصب للسلطة فقبل شارلمان ذلك العرض ورحب به خصوصا أن شارلمان كان قد فرغ من حروبه^(٢).

وفي هذا الصدد يذكر المقرئ أنه : (في سنة سبع وخمسين ومائة ثار بسرقسطة

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(2) Oman : The dark ages . London . 1914 . P. 352 .

عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ . كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكي ، ص ٢٨٧ .

Levi - Provencal : I . P. 120 .

الحسين بن يحيى بن سعيد بن عباد الخزرجى وشايعة سليمان بن يقظان الأعرابى الكلبى رأس الفتن (١).

ولقد استغلا انشغال الداخل بمشاكله الداخلية وقاما بالثورة ولكن الداخل حرص على التصدى لهم والقضاء عليهما فأرسل إليهما جيشا بقيادة ثعلبة بن عبيد الذى حاصر سرقسطة التى اجتمع بها الثائرون فامتعت عليه وعجز عن فتحها (٢).

وفكر الثائرون فى حيلة يقضيا بها على جيش الأمير عبد الرحمن فطلبوا من قائد ثعلبة الهدنة فأجيبوا إليها وبعدها باتوا الجيش مستغلين عدم استعدادهم للقتال وقاما بأمر ثعلبة مما أدى إلى إضعاف معنوية الجيش الذى عاد إلى قرطبة مهزوما فاقتاد الفائدة ، وفى هذا الصدد يروى صاحب أخبار مجموعة أن « سليمان الأعرابى ثار بسرقسطة وثار معه حسين بن يحيى الأنصارى فبعث إليه الأمير ثعلبة بن عبيد فى جيش فنازل أهل المدينة وقاتلهم أياما ثم أن الأعرابى طلب الفرصة من العسكر فلما وضع الناس عن أنفسهم الحرب وقالوا قد أمسك عن الحرب أغلق أبواب المدينة وأعد خيلا ثم لم يشعر الناس حتى هجم على ثعلبة فأخذه فى المظلة فسار عنده أسيرا وانهزم الجيش » (٣).

أما العذرى فيورد لنا حادثة أسر القائد ثعلبة بن عبيد من قبل سليمان بن يقظان سنة ١٦٤ هـ / ٧٨٠ م ، وهذا دليل على أن أسره كان قبل اتصالهم بشارلمان فيقول : « خرج لمحاربتة ثعلبة بن عبيد سنة أربع وستين ومائة ونزل مدينة طرسونه ووالى حربه واضطرب على باب سرقسطة بمعسكره فافترس سليمان ابن يقظان غفلته واقتراق أهل الجيش فهجم عليه وأسر ثعلبة بن عبيد » (٤).

عندها قرر سليمان اتخاذ ثعلبة رهينة لها قيمتها وأهداها إلى شارلمان إمبراطور الفرنجة للتقرب منه وللتعبير عن ولائه له .

(١) المقرئ : نف الطيب ، المجلد الثانى ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .

(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤) العذرى : نصوص من الأندلس ، تقيق عبد العزيز الأهوانى ، ص ٢٥ .

ولكن قبل ذلك كانت هناك مراسلات قد تمت بين الشوار وبين الداخل، فقد أورد كل من ابن عذارى والمقرى بأن الداخل كتب إلى سليمان ابن يقظان الأعرابي الكلبى يدعوه إلى الطاعة ولزوم الجماعة « ووقع إلى سليمان ابن يقظان الأعرابي على كتاب من سلك به سبيل الخداع قائلا : أما بعد فدعنى من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لأزوين بناتها على رصف المعصية ، نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد»^(١).

إن هذه المراسلات لم تجدد فى كسب طاعة الحسين بن يحيى وسليمان بن يقظان بل اتفقا على دعوة شارلمان للهجوم على بلاد الأندلس على أن يقدموا له المساعدات فى تسهيل مهمته تلك ووعداه بتسليم يروشونة وسرقسطة^(٢).

ولم يكن شارلمان ليترك هذه الفرصة التى أتته طائعة وخصوصا أنه كان قد فرغ توا من حروبه من السكسون^(٣) لذلك لى دعوة العصاة ووافق على عروضهم فبعث إليه سليمان بأسيره الغالى ثعلبة بن عبيد رمزا للثقة والتحالف فسجنه فى إحدى القلاع الفرنسية ، وقيل أنه سلمه حينما قدم على سليمان بنفسه .

وفى هذا الصدد يذكر ابن الأثير ... « واستدعى سليمان قار له ملك الإفرنج ووعداه بتسليم البلد وثعلبة إليه »^(٤).

وعلى أى حال فقد كان وجود هذا الأسير وهو من خاصة قواد الأمير عبد الرحمن ضربة له ورهينة قيمة يمكن استغلالها لتنفيذ مصالحه الخاصة ، وكان شارلمان يرى من وراء تدخله هذا فى شئون الأندلس الاستيلاء على المدن التى وعده

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٥٨ . المقرى ، المجلد الثانى ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٢) الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٢٠ .

(3) Oman : op. cit., P. 353 .

Levi Provencal : op. cit., I . P. 120 .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٤ .

ابن الأعرابي بتسليمها له بل كان يرمى إلى السيطرة على الأندلس كلها أو على الأقل نصفها الشمالي ، وكان من وراء حملته هذه غايات سياسية قوامها أن يضع حدا لأخطار الغزوات الإسلامية فيما وراء البرت ، والظهور بصورة القوى الذي لا يستطيع أحد أن يجابهه ، إضافة إلى محاولة تقليص حكم المسلمين ، وطرد المتبقين منهم في المناطق الجنوبية في غالة خلف البرتات والتطلع بعين الطمع لضم بعض مناطق الأندلس (١) .

ولذلك جهز شارلمان جيشا متخبا من كافة المقاطعات (٢) ثم قاد هذا الجيش بنفسه واخترق ولاية اكييتانيا Aquitaine وقرر أن يبدأ الغزوة وقسم جيشه إلى قسمين ، قسم يتجه إلى جبال البرتات من الجانب الشرقي خلال ممر باريتيان - Perpig nan والقسم الآخر منه بقيادته من ممر الشريز وهو ممر رونشغال (٣) Roncesvalles ليلتقى الجيشان عند سرقسطة حسب الخطة المرسومة (٤) .

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ١٧٠ . الحجى : التاريخ الأندلسي ، ص ٢٢ .
Oman : op. cit., P. 352 .

(٢) انتقى شارلمان جيشه من جميع المناطق التابعة للفرجة من برجندي واوراسيا وبافاريا وبروفانس وسبانيا ولومبارديا .

انظر : قشور : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٩٣ . عاشور : أوروبا ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(3) Jean del Perugia : Nams de lieu d'origine berbere dans les sud. -
Quest de la france . P. 28 .

(٤) وكانت مدينة سرقسطة والمقاطعة المحيطة بها تعرف باسم الشجر الأعلى لقربا مباشرة من جنوب بلاد الغال ، وتعتبر أعلى مكان في أطراف إسبانيا الشمالية يغير منها الفرجة على المسلمين ، وكانت سرقسطة معدة لأن تكون قاعدة للجيش الإسلامية في الأطراف العليا الشمالية ، وكان الطريق من سرقسطة إلى باب الشريز مفتوحا وميسورا ويقع على بعد ٨٨ كم منها مدينة بنبلونة Pamplona التي تشرف على مدخل باب الشريز ، وكانت هذه المنطقة المحيطة بسرقسطة إلى بنبلونة مملوئة بالحصون والمعازل التي تصلح لإقامة الجيش ثم مدينة تطيله Tudela وأخير طرطونه Tarazona التي تعتبر مقرا هاما للجيش ، لذلك لم يكن من السهل على الفرجة العبور إلى تلك الممرات واقتحام المعازل للإغارة على شمال إسبانيا دون معونة من حكامها المسلمين الفاطميين في تلك المناطق المهمة .

المدوي : المسلمون والجرمان ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

وعندما اجتاز شارلمان باب الشريزي استولى على بنبلونة Pamplona مفتاح هذا المر الهام وحصنها وكانت هذه المدينة قد خضعت لجماعات القوط التي اعتصمت بالأطراف الشمالية وحينما ساءت الأمور في بلاد الأندلس استطاعت أن تستغل الفرصة فوسعت سلطانها تدريجيا على المعازل الهامة بالقرب من جبال البربات ، وإلى جانب القول هناك القبائل البشكنسية التي عرفت بشدتها وكثرة غارتها واعتدائها على من يمس أطرافها ولكن شارلمان أثناء عبوره مارا بها عامل أهلها أسوأ معاملة ما أثار في نفوسهم روح الكراهية والحقد عليه^(١).

وبعد استيلائه على بنبلونة اتجه شارلمان ومعه سليمان إلى سرقسطة^(٢) مع جيشه الثاني الذي وصل عن طريق جيرونه وبرشلونة وكان شارلمان يعتقد أنه سيلتقي بحلفائه المسلمين في سرقسطة وأن الأمور ستكون في غاية السهولة والبساطة^(٣). ولكن حينما وصل وجد أن الأمور قد اختلفت عليه ووجد أن الحسين الأنصاري^(٤) قد حصن نفسه في مدينته وامتنع عن تسليمها إلى شارلمان مخالفا الخطة المتفق عليها مع الكلبي ، وحاول الكلبي اقناعه بكل الأساليب ولكنه امتنع وفي ذلك يروى صاحب أخبار مجموعة ... « طمع قارله في مدينة سرقسطة فخرج حتى حل بها فقاتله أهلها ودفعوه أشد الدفع »^(٥).

وبعد أن قاومت سرقسطة الحصار المضروب حولها وطالت مدنه وصلت شارلمان

(١) حنان : ج ١ ، ص ١٧٤ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٤ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الشعوب ، ص ٢٨٧ . أرسلان : غزوات ، ص ١٢١ .

(٤) رجع الحسين بن يحيى الأنصاري إلى صوابه في آخر لحظة وعرف نتيجة التورط بمثل هذه المؤامرة وخصوصاً أنه رجل عرف بأنه من أسرة عريقة في الدين والأخلاص للإسلام فهو من أحفاد الصحابي الجليل سعد بن عباد الخزرجي سيد الخزرج في المدينة المنورة ، لذلك أغلق أبواب مدينته أمام الغزاة ، فكان ذلك منبياً لفشل مشروع المتأمرين . انظر السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ٤١٨ .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٢ - ١١٣ .

أخبار سيئة تنبئه بثورة خطيرة قام بها السكسون في بلاده منتهزين فرصة غيابه^(١)
فخشي شارلمان مغبة التوغل داخل الأطراف الشمالية لإسبانيا لأنه فقد الأساس الذي
اسند عليه في سياسته وهو الاعتماد على الحكام المحليين وأثر أن ينسحب إلى الشمال
ويعود إلى بلاد الغال وارتد جيشه عن سرقسطة في شوال سنة ١٦١ هـ / ٧٧٨ م بعد أن
تخطمت آماله وأحلامه عند أسوارها^(٢).

ودبر شارلمان الانتقام من الأعرابي فأخذه أسيرا ثم عاد به إلى بلاده^(٣). وفي طريق
العودة مارا بمدينة ينبلونة عاصمة نافار دك حصونها للمرة الثانية بعد أن خربها أثناء
مجيئه إلى الأندلس وسقطت وشقه وجيرونه^(٤).

وحين علم ولدا الأعرابي عيشون ومطروح بمصير أبيهما لحقا بشارلمان لانقاذه
ويذكر ابن الأثير أنه « لما أبعد من بلاد المسلمين واطمأن هجم مطروح وعيشون ابنا
سليمان في أصحابهما فاستنقذ أباهما ورجعا به إلى سرقسطة »^(٥).

أما موقف البشكنس Basques فإن هذه القبائل لم تستطيع الدخول في حرب
سافرة مكشوفة وخاصة أن شارلمان يجر وراءه جيشا كبيرا لذلك ترقبوا مروره داخل
ممرات البرتات الضيقة^(٦).

وفي تلك الفترة تهيأ البشكنس للانتقام من جيش شارلمان واتفقت مصالح كل

(١) حدثت ثورة قام بها فندكند قائد السكسون بعد رحيل شارلمان ، وبعد المواثيق التي أخذها عليه ،
لذلك خاف شارلمان على أملاك هناك وقرر العودة للانتقام من هذا الشاثر وتصفية السكسون نهائيا
للمزيد انظر :

Oman : op. cit., P. 353 .

Hulme, E. M. The middle ages . PP. 260 - 261 .

Stephenson . C. medieval history . P. 150 .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٤ .

(٤) عنان : ج ١ ، ص ١٧٤ ، طرخان : المسلمون ، ص ٩٢ .

(٥) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(6) El Hajji : op. cit., P. 145 .

من أبناء الأعرابي والبشكنسى على الانتقم منه والنيل من قوته ، فاستغرق وقتا طويلا فى اختراق ممرات فكسونيا حيث القمم والوديان تغطيها الغابات وقد أختبأ البشكنس له هناك ، وقام شارلمان بعبور ممر رونسفال Roncevalles وهو أحد الممرات التى كانت تستعمل منذ عهد الرومان لاختراق هذه الجبال من الشمال والجنوب وكان العرب يعبرون منها إلى غالة^(١) وبينما كانت قوات شارلمان تجتاز الممر على الجانب الإيبانى من مرتفعات البرقات فاجأت قوات الباسك والمسلمين مؤخرة جيشه ، ولم يستطع إيدء أى مقاومة بسبب وقوعهم فى منطقة جبلية وعرة^(٢) .

وكان ذلك عام ١٦١هـ - ٧٧٨م وانقذ المسلمون سليمان بن يقظان من الأسر^(٣) . وقتل فى هذه المعركة بعض القواد والفرسان بجيش شارلمان مثل اجنهارد Eginhard حاجب القصر ورولان Roland قائد ثغر بريتانى وصارت كارثة باب الشزرى وممر رونسفاله باقية فى أذهان الفرنجة وأعقابهم حتى بعثها الفرنسيون أثناء الحروب الصليبية ضد الشرق الإسلامى بتأليف ملحمة رولاند - Chanson de Ro-land المشهورة التى تعد من طلائع الأدب الفرنسى ، وقد حلا لواقعيها أن يغيروا الأحداث ويحرفوا فى سير الأبطال وليجعلوا من رولاند صورة للبطولة والعظمة رغم أن شارلمان لم يكن له هنا عند ممر رونسفاله أية أعمال بطولية^(٤) .

(١) البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٦٦ .

(٢) منى محمود : المسلمون فى الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ، ص ١٨١ .

أرسلان : غزوات ، ص ١٢٢ . عنان : ج ١ ، ص ١٧٦ .

El - Hiji : op. cit., P. 145 .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ص ٦٤ .

(٤) Onan : op. cit., P. 353 .

Hulme : op. cit., PP. 260 - 261 .

Stephen son : op. cit., P. 150 .

El - Hajji : op. cit., P. 146 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ٢٠٣ - محمد عبد الله عنان : ج ١ ، ص ١٧٧ - ١٨٠ .

وتذكر الروايات التاريخية^(١) أن عبد الرحمن الداخل جهز جيشا لرد شارلمان الذى كان قد ترك الأندلس قبل أن يلحق به هذا الجيش ، ثم أن العصاة قتل بعضهم بعضا وانتهى أمرهم ، وفشلت هذه المؤامرة الآتمة ومحاولة شارلمان المعتدية . وفى هذا الصدد يذكر المقرئ « فى سنة سبع وخمسين ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجى وشايعة سليمان بن يقظان الأعرابى الكلبي رأس الفتن وآل أمرهما إلى أن فتنك الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين^(٢) .

أما الأسير ثعلبة بن عبيد ، فإن عبد الرحمن قد أهمله ، ولم يطلبه من شارلمان ، ثم وضع من طلبه من الإفريج فأطلقوه^(٣) وقيل أنه بعد تلك المؤامرة تغيرت سياسة الدولة الفرنجية نحو دولة الإسلام بالأندلس ، وبدأ شارلمان السياسة السلمية تجاههم وقد أورد المقرئ : أنه قامت معاهدة سلم بين شارلمان وعبد الرحمن الداخل ودعوة للمصاهرة فقال « وخاطب عبد الرحمن قارله ملك الإفريج وكان من طغاة الإفريج بعد أن غرس به مدة فأصابه صلب المكسرتام الرجولية فمال معه إلى الإدارة ، ودعاه إلى المصاهرة والسلم فأجابه للسلم ولم يتم المصاهرة^(٤) .

ويؤيد ذلك ليقى بروفنسال أن شار لم يقم بأى مغامرة أخرى فى الأندلس منذ حملته تلك فلقد أدرك أنه لم يتمكن من بسط نفوذه على الأندلس كما أنه لن يستطيع ذلك ما لم يؤمن بلاد غالة الإفريجية والمسيحيين من ناحية أخرى ، لذلك حرص أثناء عودته على ضم مملكة إكيتانية إلى مملكته لغرض مراقبة الأمراء المسلمين المواليين لدولة الإسلام فى الأندلس والخارجين على طاعتها على تخوم جبال البرتات^(٥) .

(١) العدوى : نصوص من الأندلس ، ص ٢٦ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١١٤ - ١١٥ .

المقرئ : المجلد الثانى ، الجزء ٤ ، ص ٣٩ .

(٢) المقرئ : المصدر نفسه ، المجلد الثانى ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٤ .

(٤) المقرئ : المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(5) Levi Provencal : op. cit., P. 128 .

وبوفاة عبد الرحمن الداخل عام ١٧٢هـ / ٧٧٨م خلفه ابنه هشام ١٧٢-
١٨٠هـ / ٧٨٨ - ٧٩٦م ، وواقع أن عهد هشام لم يخل من جهاد وراء البرتات
ولكنه لم يكن من أجل الفتح لعله كان لرد مكيدة وتأديب آثم وتثبيت هيئته^(١).

ففى عام ١٧٦هـ / ٧٩٢م قام هشام بن عبد الرحمن بالتأهب والاستعداد لمحاربة
الفرنجية فى جيش كثيف اسند قيادته لقائد من قواده الأكفاء هو الحاجب بن عبد
الملك بن عبد الواحد بن مغيث (حفيد الرومى فاتح قرطبة) وقام بمبور جبال البرتات
من ناحية إقليم قطلونيا Catlony وفى طريقه استولى على مدينة جيرونه (جرنده)
Gironde فى شمال شرق الأندلس ثم قام بالاستيلاء على عدد آخر من المعاقل
والحصون ثم اتجه بعدها إلى منطقة سبتمانيا Septemanie واتجه منها إلى أربونة
Narbone قاعدة الثغر الإسلامى القديم .

وتذكر الرواية العربية ممثلة فى ابن القوطية وابن الأثير وابن عذارى وابن خلدون
والمقرئ أن المسلمين فتحوا أربونة^(٢).

وفى هذا الصدد يذكر ابن الأثير فى حوادث سنة سبع وسبعين ومائة « وفيها سير
هشام صاحب الأندلس جيشا كثيفا واستعمل عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن
مغيث فدخلوا بلاد العدو فبلغوا أربونة وجرنده فبدأ بجرنده - وكان بها حامية الفرنج -
فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها إلى أربونة ففعل
مثل ذلك وأوغل فى بلاد ووطى أرض شرطانية وقد أجفل العدو من يديه هاربا
وأوغل فى بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهى من أشهر
مغازى المسلمين »^(٣).

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتنا ، ص ٦٢ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٩٤ . ابن عذارى : البيان ،
ج ٢ ، ص ٦٤ . المقرئ : نفح الطيب ج ١ ، ص ٣١٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص
١١ - ١٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٩٤ . وأوردها مؤلف مجهول مع اختلاف بسيط فى النص . انظر
مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس - تحقيق لويس مولينا ، ج ١ ، ص ١٢١ .

ولكن الروايات الإفريقية المعاصرة لا تذكر عن ذلك الفتح شيئا بل تذكر أن المسلمين ارتدوا عن أربونة Narbone لمناعتها إلى مدينة قرقوشة Carcassone وكان شارلمان إمبراطور الفرنجة مشغولا حينذاك بمحاربة أعدائه السكسون^(١) فبعث إليهم ولده لويس التقى لصددهم وأوفد إليهم جيشا بقيادة جيوم (وليام) Count de Toulouse أمير إكيتانيا^(٢) لصددهم فالتقى الفريقان في مكان يسمى فيل دنى Villedaigne بين مدينتي قرقوشة وأربونة على ضفاف نهر انبيو Onbieu ونشبت معركة قيل أنها غير حاسمة ثم ارتد المسلمون بعدها إلى الجنوب مثقلين بالغنائم والسبي وأصيب الفرنجة بخسائر فادحة وأبدى كونت تولوز شجاعة كبيرة جعلتهم يضعونه في مصاف الأبطال^(٣).

ويقال أن عبد الملك أوغل في أرض الفرنجة حتى وطئ أرض بريطانيا Brittany وهزمهم^(٤).

ويقال أن أخماس السبي التي غنمها المسلمون قد بلغت وحدها خمسة وأربعين ألف مثقال من الذهب وأرغم النصارى من الأسرى على حمل وجر أحمال الأحجار والتراب من أسوار أربونة حتى مدينة قرطبة ، وأمر هشام بن عبد الرحمن أن يبنى بها جناحا جديدا للمسجد الجامع تخليدا لتلك الغزوة الشهيرة^(٥).

وفي هذا يذكر المقرئ « وفي أيامه فتحت أربونة الشهيرة ، واشترط على المعاهدين من أهل جليقية من صعباب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من أسوار أربونة المفتحة يحملونها إلى باب مقره بقرطبة وبنى قبة المسجد الذي أمام باب الجيان » .

(1) Oman : op. cit., P. 349 . Hulme : op. cit., P. 261 .

(٢) لكونت جيوم المعروف بذي الأنف القصير .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١ - ١٢ . ابن القوطية : تاريخ ص ٦٥ . ابن عذارى ، ج ٢ ، ص . المقرئ ، ج ١ ، المجلد الأول ، ص ٣١٦ .

(٤) ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٩٤ . المقرئ : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١٦ .

(٥) المقرئ : نفح العليوب ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، ص ٣١٦ .

فى حين يرى المؤرخون المحدثون أن العرب لم يحتلوا أربونة فى هذه الغزوة ولو كان الأمر كذلك لما هدموا أسوارها وتحصيناتها التى يحتاجون إليها فى الدفاع ضد عدو يعرفونه جيدا أنه غير بعيد وأنه سيأتى لمحاصرتهم لا محالة^(١).

فى حين يرى الدكتور المحجى : أن هذه النصوص العربية التى أوردتها المصادر لا تخلو من غموض ومن تفاصيل ضائعة أو مبتورة^(٢).

وانتأنتف مع هذا رأى لأن هذه النصوص المبتورة لا تؤكد حقيقة فتح مدينة أربونة على يد المسلمين أو عدم فتحها .

ولنا أن نتساءل هل يعنى ذلك أن المسلمين توقفوا عن مد نفوذهم إلى مناطق أخرى بعد أن أخفقوا فى الاحتفاظ بمناطق وراء جبال البرتات ؟ وفى الحقيقة أن المسلمين لم يتوقفوا عن مد راية الإسلام فى عدة أماكن أخرى خلف البرتات ، فعندما أخفقوا برىا بدأوا يفكرون فى الاتجاه بحريا إلى مناطق أخرى لتكون لهم حصنا ودرعا واقيا من غارات وهجمات الفرجة المتعددة ومن كل عدو متربص بهم فكان اتجاههم إلى البروفانس وجبال الألب وإيطاليا وسويسرا وهذا ما سنفصله فى البحث التالى .

ثانيا : الجهاد البحرى فى غالة :

وبعد أن استعرضنا جهود أمراء بنى أمية فى استئناف حركة الجهاد ضد الفرجة عن طريق العبور خلف البرتات عن طريق ممراته وكيف واجهتهم صعوبات كثيرة فى هذا السبيل مما جعلهم يفكرون بطرق أخرى لغزو المناطق خلف البرتات . فبرزت فى تلك الفترة فكرة الغارات البحرية الإسلامية على شواطئ غالبيه الجنوبية ، تلك الغارات التى انتهت بتأسيس بعض الإمارات الإسلامية فى منطقة البروفانس وجبال الألب

(١) رينو : الفتوات ، ص ١١٣ .

(٢) المحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٥٨ .

الإيطالية وسويسرا ، والواقع أن نجاح الفرنجة في إخراج المسلمين من مناطق ما وراء البرتات في غالة كان يعنى نهاية لوجودهم هناك خلال تلك الفترات الطويلة التى تأرجحت بين القوة والضعف بل كان لبقاء المسلمين فى غرب أوروبا آثار بعيدة المدى فى كل النواحي سواء الناحية الحضارية اللغوية أو الزراعية ، أو الصناعية ، وفى انتقال بعض العادات والتقاليد مما نلمس آثاره حتى يومنا هذا^(١) .

فحينما أخفق المسلمون فى الاحتفاظ بتلك المناطق التى تمثل كبريات مدن سبتانيا مثل نيم Nimes وماجلون Maguelon واجد Agde وبيزير Beziers ، وبعض إمارات البرتات مثل كنتبريه Cantabria ونبره Navar وأربونه التى شاعت منهم عام ١٤٢هـ / ٧٥٩م بدأوا يفكرون فى البحث عن مناطق جديدة ، وجديرة بجهادهم ، فوجدوا منفذا عظيما لهم من البحر لتطويق الفرنجة من الجنوب فحرصوا على الاهتمام بالأسطول وتنميته وتطويره ، وكان الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) المؤسس لدولة بنى أمية بالأندلس عام ١٣٨هـ / ٧٥٦م قد بدأ اهتمامه بالأسطول الأندلسى نظرا لوضع الدولة الناشئة من جهة ولطمع دولة بنى العباس التى حرصت على القضاء على سلطان بنى أمية من ناحية أخرى ، لذلك حرص الداخل على إيجاد إسطول قوى يقف فى وجه أعدائه ويعيد الحياة إلى موانئ الأندلس ودور الصناعة فأمر ببناء إسطول قوى يسهم فى السيطرة على مياه البحر المتوسط فى مراسى طركونه Tarragona وطرطوشة Tortosa والمريه Almeria^(٢) وقد أدت سياسة عبد

(١) غومثاف لوبون : غزوات العرب ، ص ٣١٧ .

(٢) إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، ص ٨٤ ويدو أن العدوى استقى تلك المعلومات من شكيب أرسلان فى كتابه تاريخ غزوات العرب ، ص ١٨٢ ، ولكن لم يذكروا من أين استقوا تلك المعلومات ، ولقد حاولت أن أثبت ذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية ، فلم أجد ما يثبت ذلك فى حكم عبد الرحمن الداخل . لذلك أنوه .

ومن المعروف أن موسى بن نصير اهتم بإنشاء عدد كبير من السفن فى دار الصناعة بتونس ساعدت المسلمين فى المدد الذى أرسله موسى لطارق ابن زياد فى موقعة وادى لك (فتح الأندلس) ولقد بلغت شهرة الأندلسيين فى ركوب البحر والاهتمام بشؤونه قدرًا كبيرًا مما ساعد على تكوين طوائف بحرية تسكن السواحل الشرقية من الأندلس ، وتم نقل عبد الرحمن الداخل أثناء عبوره الأندلس . وللمزيد انظر مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٧ . ابن القوملة : تاريخ افتنا ، ص ٢٤ .

الرحمن الداخل بالاهتمام بالبحرية الأندلسية إلى وقوع اصطدام بين قوات الأمويين وقوات بحرية جديدة أوروبية هي الأساطيل الفرنجية ، ويرجع ظهور القوة البحرية الفرنجية إلى إمبراطور الفرنجة شارلمان الذى تربع على عرش بلاده سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م وتطلع إلى إيجاد قوة بحرية تكفل له منافسة أعدائه الروم فى شرق أوروبا من ناحية ولكى تساعده على الوقوف فى وجه الإسطول الأندلسى من ناحية أخرى بعد أن أصبح ذلك الإسطول يشكل خطرا على ممتلكاته فى جنوب بلاد الغال^(١) . مما حفز الداخل على مضاعفة جهوده واهتمامه بالبحرية الأندلسية خصوصا بعد أن وجد عوناً كبيراً من المرابطين وغزاة البحر الذين اتخذوا لهم قواعد ومراكز بحرية على طول الساحل الشرقى لبلاد الأندلس فتميزت قوة الأساطيل الأندلسية بوجود تلك الجماعات التى كرست حياتها كلها للجهاد والمرابطة . وكانت أكثر قواعد هؤلاء المجاهدين والمرابطين^(٢) فى الأندلس ما بين أكيله (أكيوله) Aquila ولقنت Alicante فى

(1) Levi Provencal : op. cit., P. 348 .

إبراهيم المدوى : الأساطيل ، ص ٨٥ .

(٢) اهتم المسلمون بنظام الرباطات والمنارات المقامة على السواحل وأعتبر المسلمون مرابطتهم فى تلك الشغور جهاداً تنفيذاً لأمر الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) لذلك حرصوا على الاهتمام بالرباطات والمخارج على طول السواحل للاستعداد والتأهب للجهاد ، وقد لعبت تلك الرباطات دوراً هاماً فى الحياة الدينية والحربية ببلاد المغرب والأندلس وكان الرباط يزود عادة بمنارة توقد فى النار ليلاً للإلتذار باقتراب سفن العدو ، وعن طريق تلك الإشارة يتأهل المجاهدون لصد العدوان وكانت الإشارات نهاراً تنطلق من هذه الرباطات على هيئة دخان ولقد اهتم الأندلسيون بنظام الرباطات فأقاموا الكثير منها على طول الساحل الشرقى والجنوبى الشرقى من الأندلس ، وكان أهمها رباط المرية ومرية بجانة ، ونظراً لأن الأندلس يحيط بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية والمحيط الأطلسى من الجهات الجنوبية الغربية والغربية ، والشمالية الغربية ، لذلك تعرضت سواحلها الممتدة جنوباً من مصب وادى ايره عند طرطوش ثم شمالاً حتى مصب وادى تاج عند لشبونة فى الغرب فى القرنين الثالث والرابع لغارات قوية ، ونظراً لأن الأندلس يصفها الحميرى « دار جاد وموطن رباط قد أحاط بشرقيها وشمالها وبعض غربيها أضاف أهل الكفر » لذلك كان من الطبيعى أن تنشأ تلك الرباطات على سواحلها لأنها موضع الاحتكاك بين أم النصرانية، فابتليت فيها المخارج وقصدها الناس للمرابطة .

شرق الأندلس واسكمبره Escombra التى تقع جنوب شرقى الأندلس ومرسى اشكوير^(١).

ويذكر الحميرى^(٢) أن هؤلاء البحريين تركزت قوتهم فى بداية العصر الأموى فى الأندلس فى المنطقة المحيطة بطرطوشة^(٣) فى الشجر الأعلى الإسلامى ومن هناك اتجهوا

= ولقد اهتم امراء بنى أمية وحرصوا على توطيئ بعض الأسرات العربية على الساحل الجنوبى الشرقى لحمايتها من الغارات ، للمزيد انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣ . أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٤٠ - ٥٢ . آية ٢٠٠ سورة آل عمران .

(١) العدوى : الأساطيل ، ص ١٤٤ - ١٤٥

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) وهنا لا بد من توضيح أهمية طرطوشة Tortosa فيذكر الحميرى أنها تقع فى سفح جبل ولها سور حصين وبا تشأ المراكب الكبار من خشب جبالها وبجبالها خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول والغلظ ومنها تتخذ الصوارى والقرى وهو خشب أحمر صافى البشرة بعيد التغير لا يفعل فيه السوس ما يفعله فى غيره من الخشب ومنها إلى طركونه خمسون ميلا ... وقصبة طرطوش على صخرة عظيمة سهلة وفى الشرق من القصبة جبل الكمين ، وهو جبل أجرد ... وعلى المدينة صخرة من بناء أمية على رسم أولى قديم ولها أربعة أبواب وأبوابها كلها مبنية بالحديد ، ولها أرباض من جهة الجوف والقبلة ودار الصناعة ، وتعد بابا من أبواب البحر ومرقا من مرافقه يحلا التجار من كل ناحية وهى كثيرة شجرة البقس ومنها تفترق إلى النواحي وخشبها الصنوبر له خاصية فى الجودة تفوق خشب الأمصار . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ . ولقد وصفها ابن غالب فقال : مدينة متقنة الأسوار ، وقد أنافت على نهر ابرة وقريب من البحر الثانى الذى ينصب فيه هذا النهر وهى شرق من يونس شرق من قرطبة وهى باب من أبواب البحر يسلكه التجار من كل جهة وبها شجر البقس (البقسى شجرة كالأس ورقا وحبا) وخشب الصنوبر ولها صون كثيرة وأقاليم واسعة . ابن غالب : فرحة أنفاس تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، ص ٢٨٥ . أما الأدريسى فقد وصفها بما وصفها به الحميرى تماما . ارجع إلى الأدريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٩٠ .

أما القزوينى : فقد ذكر أنها مدينة برية وبحرية وهى مدينة داخلية فى مدينة وبها جبل الخير والبركة وهو جبل منيف به جميع أنواع الثمار وفى أعلاه مروج كثيرة المياه والمراعى ، وبه شجر يشبه خشب خشب الساج تتخذ منها الآلات والظروف . انظر القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

لغزو سواحل إفريقية وكانت أساطيل الشفر الأعلى الإسلامى فى طرطوشة وطركونه^(١) تقوم بحماية حدود الأندلس الشمالية من هجمات الفرنجة الكارولنجيين وتطارده أساطيلهم عبر منطقة الحوض الغربى للبحر المتوسط^(٢).

ولقد أسهم هؤلاء المرابطون بدور كبير فى تاريخ البحرية الأندلسية نظرا لتعاونهم مع إمارة الأندلس الأموية ولوقوفهم فى وجه المغيرين على أملاكها^(٣).

وبوفاة عبد الرحمن الداخل عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م كان إسطول الشفر الإسلامى يغير من قواعده فى طرطوشة وطركونه على نغر مرسيليا Marssilla فى جنوب بلاد الفرنجة وهددوا المناطق القريبة من إيطاليا التى كانت ضمن ممتلكات الفرنجة ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمويين فى الأندلس كانوا آنذاك ذا نشاط ملحوظ فى التقدم البحرى ضد قوى الفرنجة^(٤) منتهزين فرصة اشتغال شارلمان فى حروبه ضد السكسون والنافار .

ففى عهد هشام بن عبد الرحمن ١٧٢ - ١٨٠هـ (٧٨٨ - ٧٩٦م) كان

(١) طركونه Tarragona وكان لها أهمية كبيرة مثلها مثل طرطوش وقد ذكر الحميرى عن طركونه أنها مدينة بينها وبين لاردة خمسون ميلا وأنها من أكثر البلاد رخاما محكما وسورها من رخام أسود وأبيض قليلا ما يوجد مثله ، وكانت فى قديم الزمان خالية لأنها حُد المسلمون والروم ، وفى هذه المدينة يكمن المسلمون عند طلب الفرصة فى الغزو وفيها يكمن العدو أيضا للمسلمين . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩٢ أما ابن غاب فوصفها بأنها مدينة أولية على شاطئ البحر توسطت بين طرطوشة وبرشلونة ومنها معالم ظاهرة قائمة .

ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦

أما الأدريسى فقد ذكر أن من مدينة طرطوشة إلى طركونه ٥٠ ميلا وأنها تقع على البر وأن لها سور رخام وبها أبنية صينة وأبراج منيعة وهى رابطة حنة صينة منيعة ويسكنها قوم أغيار . الأدريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٩١ .

(٢) ارشيبا لدلويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، ص ١٦٠ .

(٣) ارشيبا لدلويس : القوى البرية ، ص ١٦٠ ، شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٤) ارشيبا لدلويس : القوات البرية ، ص ١٦٠ .

الفرنجية قد كرسوا قوتهم البحرية والبرية للإغارة على شمال الأندلس حتى تمكنوا من الاستيلاء على جيرونة Gerona وأوزونة Osuna وملسون Solsona وكونوا بذلك ولاية فرنجية دعيت بالمارك الفرنجي^(١).

ولكن وفاة هشام وتولى الحكم الرضيي^(٢) عام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م أعطى الفرصة للفرنجية مرة أخرى ، فتقدم جيشه إلى برشلونة^(٣) بينما كان الحكم مشغولاً بظليطة حرصاً عليها وأخفق الفرنجية في فتح طرطوش^(٤).

(١) المارك الفرنجي : أو الثغر الفرنجي ، عمل شارلمان على تأمين شواطئ أوروبا الجنوبية وجزرها من خطر المسلمين بعد أن أشدّت إغاراتهم عليها ، لذلك بدأ شارلمان بتأمين حدوده الجنوبية من ناحيتهم ، فأنشأ وحدة إدارية على الحدود الإسبانية سميت ماركية إسبانيا March of Spain سنة ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م حول مدينة جيرونة وجارثونا وأورجل وأوزونة ثم ضم إليها برشلونة أعظم مدن كتالونيا سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م . وقد عرف المارك الإسباني فيما بعد باسم إقليم قطلونيا كما أضحت قاعدة مسيحية في الركن الشمالي الشرقي لإسبانيا الإسلامية ونواة حيّة نمت حولاً قوة المقاومة المسيحية خلال الحروب المستمرة والمنقطعة التي شنها المسيحيون .
للمزيد انظر عاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، شكيب أرسلان : ص ٢١٢ الحلل السندسية ، ج ٢ .

(٢) تولى الحكم الرضيي سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م وفي أواخر عهد قامت بقرطبة ثورة خطيرة كادت أن تزعزع عرشه ، وهى ثورة الرضيي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م فى الريض الجنوبي من قرطبة المسمى بريض شقنده Secunda وقضى الحكم عليها بقسوة وطرد جزء من أهلها وتبع الآخرين فسكن بعضهم فى فاس ، وارتل بعضهم إلى الإسكندرية ثم إلى جزيرة كريت (اقريطش) وأسسوا فيها دولة سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م استمرت ما يزيد على قرن من الزمان ، ولقد ندم الحكم على قمع تلك الثورة بطلب الصورة القاسية ، ولقب بعدها بالرضيي نسبة إلى حى من أحياء قرطبة قام أهله بطلب الثورة .
ابن الأبار : الحلة السرياء ، تحقيق حسين مؤنس ، ج ١ ، ص ٤٤ .
ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

(٣) فى الحقيقة أن مدينة برشلونة ترددت سيادتها بين المسلمين والفرنجية أكثر من مرة ولم يستطع المسلمون أن يثبتوا سلطتهم عليها فثارة فى يدهم وثارة فى يد الفرنجية .

أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ، ج ٢ ، ص ١٤ . شكيب أرسلان الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(٤) ارشيبا لدلوس : القوى البحرية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

ويبدو أن جماعات البحرين استمرت تغير على سواحل إفريجه^(١)، وقواعد الفريجة البحرية في إيطاليا وجزر البحر المتوسط تنتصر حيناً وتهزم حيناً آخر^(٢) ويتولى عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦هـ / ٨٢١م بدأ الضعف يدب في البحرية الفريجية بعد موت شارلمان ولم يتمكن خلفه لويس التقى من مواجهة القوات الأندلسية في الحرب التي نشبت في عام ٢٠٦هـ / ٨٢٠م في شمالي الأندلس وأسفرت عن هزيمة القوات الفريجية وعزل الشجر الفريجي المحاذي للشجر الأعلى الإسلامي وقطع اتصالاته ببلاد الفريجة^(٣).

وفي تلك الفترة وصل النشاط البحري والمجاهدين الأندلسيين ذروته في الحوض الغربي للبحر المتوسط وتعرضت سواحل الأندلس الغربية والجنوبية للمرة الأولى إلى غارات بحرية واسعة النطاق من قبل أساطيل النورمان ، الفايكنج^(٣) ٢٢٩ - ٢٣٠هـ / ٨٤٣ - ٨٤٤م.

(١) الحميري : الروض المطار ، ص ٨ . عن هذا الجزر ودخولا وخروجها في يد المسلمين تارة وفي يد الفريجة تارة أخرى . انظر ابن حيان : المقتبس ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ . ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٤٩ . ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) ارشيبا لدلويس : القوي البحرية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ . أرسلان : تاريخ غزوات ، ص ١١٥ - ١٩٢ .

(٣) عرف هؤلاء الأقوام بعده أسماء منها النورمان ، الأرمانيون ، الفايكنج ، المجوس ، فلفظ النورمان محرف من لفظ Northmen أى سكان الشمال ، وكذلك لفظ الأرمانيين يعنى الشماليين ، فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Nordmanni وهذا اللفظ محرف من لفظ النورمانيين وفقاً لعادة الأندلسيين فى قلب النون إلى حمزة مثل « أربونة » و « نربونة » ، وقد أطلق عليهم اسم الفايكنج Viking بمعنى سكان الخليجان التى تمتاز بها شواطئ الجهات الشمالية الغربية فى أوروبا ، أما عن سبب تسميتهم بالمجوس أى عبدة النار فلأنهم كانوا يشعلون النار فى الأماكن التى ينزلون بها فطن العرب أنهم من عبدة النار ، بالإضافة إلى أنه حتى تلك الفترة كانوا وثنيين . وينسب النورمان من الناحية الجنسية إلى جنس الآرى وينقسمون إلى ثلاث مجموعات السويديون والنرويجيون ، والدانمركيون ، وموطنهم الأول شبه جزيرة اسكندناوه وشبه جزيرة جوتلند ، وما يجاورها من الجزر وهناك من يقول أنهم من شواطئ ألمانيا الشمالية ، ولقد بدأت إغارتهم منذ القرن ٣هـ / ٩م على شواطئ غالة ومصب اللوار والجارون حتى استطاعوا إنشاء عدد من القواعد والمراكز لم فى تلك =

وقد استطاعت قوات الأمير عبد الرحمن الثانى بالتعاون مع غزاة البحر والمتطورة من رد الغزاة النورمانديين ولكن بعد معاناة وخسائر فادحة^(١)، غير أنه كان لتلك الغزوة البحرية أثر كبير على الأندلس، فلقد نهبت الأمير عبد الرحمن إلى ضرورة الاهتمام بالسواحل وتحصينها فأمر بتسوير أشبيلية^(٢) وإقامة مراقب ومحارس على طول الساحل الغربى المطل على المحيط وشحنها بالمقاتلة، بالإضافة إلى ذلك اندفعت الحكومة الأموية إلى زيادة الاهتمام بالبحرية عن طريق إنشاء دور لصناعة السفن لتزويد البلاد بأعداد وفيرة تؤهل لصد أى عدوان جديد^(٣). كما يذكر ابن القوطية «أنه أمر بإنشاء دار صناعة بأشبيلية وأنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس، فالحقهم ووسع عليهم فاستعد بالالات والنفط^(٤)».

ويبدو أن عبد الرحمن الأوسط استفاد من جهود وخبرة البحريين فى إدارة إسطوله، وكان من أثر ذلك أن أصبح لدولة الإسلام فى الأندلس فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط إسطول منظم يضم عدد كبيراً من السفن. فمئذ توليته إمارة الأندلس سنة ٢٠٦هـ / ٨٢٢م وهو يعمل على تدعيم وتقوية البحرية الأندلسية لمواجهة الأخطار المحيطة بدولته والقضاء على المؤامرات المدبرة له، فقام بإنشاء دور لصناعة السفن فى مراسى الأندلس مثل طركونه وطرطوش حرصاً منه على مواجهة الغارات المختلفة،

= المناطق أما خروجهم وغارتهم على شواطئ أوروبا العربية فترجع إلى عدة أسباب أهمها خصب الأندلس وما عرف عن خيراتها وغناها، وكانت هذه الأمة من الأمم البحرية العريقة التى تمرست فى ركوب البحار وبرعت فيه.

وللمزيد عن أخبار هؤلاء، انظر: وفاء المزرورع: الخليفة الأموى الحكم المستنصر ٣٥٠ - ٣٦٦هـ، رسالة ماجستير، غير مطبوعة، ص ٧٢ - ٧٣.

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٢ - ٨٣. العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٩٨ - ٩٩. ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب، ج ١، ص ٤٩.

(٢) ابن حبان: المقتبس، نشر د. عبد الرحمن الحجى، الملحق، ص ٢٤٤ ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج ١، ص ٤٩.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٨٢ - ٨٣.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المربه، ص ٣٥ - ٣٦.

واستعدادا لتطويق الفرنجية من الساحل الجنوبية على البحر المتوسط^(١).

هذا ما كان من جهود أمراء بنى أمية على السواحل والأهتمام بتطوير البحرية الأندلسية والعناية بشأنها ، ومن هنا كان الاهتمام بشواطئ غالة حتى أنهم سعوا إلى تأسيس إمارة إسلامية في منطقة البروفانس وسافواي وبيمونت وفراكستيوم وجبال الألب في سويسرا وإيطاليا^(٢).

واتخذت تلك الحركة الجهادية منطلقا بحريا ومجورا جديدا أدى إلى مضاعفة جهود المسلمين لضخم تلك المناطق الهامة ، وتكوين مناطق جديدة لاستقرارهم تركت آثارا بعيدة المدى بعد خروجهم منها ، وبذلك أثبت المسلمون أن جهادهم وتحركاتهم لم تقف عند حد هزيمتهم في موقعة تور وبواتييه فإذا ما أخفقوا في الاستقرار في منطقة بحثوا عن غيرها وجعلوها مستقرا ومكانا ومعقلا جديدا لهم ، لذلك اتجهوا إلى تلك المعاقل والمراكز الجديدة وكانت البداية محاولاتهم في تكرار الهجمات إلى منطقة جنوب غالة لتطويق الفرنجية من الجنوب والشرق عن طريق الجهاد البحري .

وفي سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٨م سار الأسطول الأندلسي من مياه طركونه ومياه الجزائر الشرقية إلى البروفانس Provançe وزا ثغر مرسيلى وما حولها من الأراضى وأثنى فيها وحمل الغزاة كثيرا من الغنائم والسبى وفى أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط عبر موسى بن موسى صاحب سرقسطه وزعيم الثغر الأعلى جبال البرينات وغزا سبتمانيا وأثنى فى نواحيها .

وفي سنة ٢٨٣هـ / ٨٦٩م هاجمت جماعة من البحارة والمجاهدين المسلمين شواطئ بروفانس مرة أخرى واستولت على جزيرة كاماراج Camrague الواقعة على مصب الرون وعادت مثقلة بالغنائم والأسرى^(٣).

(١) الحميرى : الروض المعمار ، ص ٧٣ .

(٢) ارشيبا لدلويس : القوى البحرية ، ص ٢٢٩ . حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، ١٩٥١م . ص ١٢٩ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ .

ولقد تكررت غزوات المسلمين فى جنوبى غالة حتى مرسيليا Marseille أكثر من مرة فى عام ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ، ٢٢٨هـ / ٨٤٢م ، ٢٣٢هـ / ٨٤٦م ، ٢٣٤هـ / ٨٤٨م . ووصل المسلمون إلى مصب الرون قرب مدينة أرل وغنموا وعادوا^(١) . بل أن غزواتهم امتدت على طول ساحل غالة الجنوبية الشرقية حتى وصلوا إلى جنوه الإيطالية .

وفى تلك الفترة كان الوضع السياسى فى غالة سيثا إذ كانت هناك صراعات داخلية ومشاكل قائمة فى زمن شارل الأصلع فاستعان بعض خصوم الفرنجة بالمسلمين فأمدوهم بجنود أجبرتهم على طلب الصلح ، ورغم تلك الاضطرابات التى شغلت بها الأندلس فى ذلك الوقت فإن المسلمين قد استمروا فى جهادهم لغالة برا وبحرا ونزلوا البروفانس وحاولوا الاستقرار فيها^(٢) وكان ذلك عام ٢٨٣هـ / ٨٦٩م^(٣) .

ومن المؤسف أننا لا نجد لنشاطهم هذا أى ذكر إلا فى الحوليات الأوروبية التى سجلت هذه الأحداث ، وربما كان لسبب هو أن تلك الجهود لم تكن منظمة تمدها الدولة الأموية بما يحتاجه على الدوام .

وعند الحديث عن الوجود الإسلامى فى منطقة البروفانس ، وما جاورها من المناطق التى كانت ميدانا لنشاط المسلمين فى غالة ، لا بد أن نشير إلى أن معظم الفرنسيين الذين تناولوا تلك الفترة لم ينصفوا المسلمين هناك ، بل اعتبروهم مجرد عصابات مسلحة من اللصوص والقراصنة وسفاكين للدماء ما جاءوا إلى تلك المناطق بغرض السلب والنهب والعدوان ، ونسى هؤلاء أو تناسوا بأن النتيجة الواضحة للوجود الإسلامى فى الأندلس كانت الاهتمام بالعلوم والفنون والآداب والتجارة والصناعة مما ترك أثارا واضحة على أوروبا فى شتى المجالات ولا يمكن لأمة أن يكون هذا وضعها تعيش على السلب والنهب ولكن إذا نظرنا حقيقة إلى أوروبا فى هذه الفترة نجد أن

(١) حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١٢٩ .

Levi Provencal : op. cit., P. 153 .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ١٥٨ .

الذين قاموا بمثل هذه الأفعال التي الصقت بالمسلمين من المرجح أن تكون جماعات اجتاحت تلك البلاد مثل القوط الغربيين والفرنجة Franks واللومباردين Lam-bard ، وأن القصص المصطنعة والموضوعة عمدا والتي وصلت إلينا فصولها الدامية لاحتلال المسلمين لغربي أوروبا كان أصحابها في الغالب هم أعداء المسلمين وبالتالي لن تكون تلك الروايات موضوعية أبدا^(١) .

وفي تلك الفترة التي قام فيها المسلمون بالغارات المتواصلة على منطقة غالة الجنوبية اضطر ملك شارل الأصلع إلى أن يعقد صلحا مهينا مع الأمير محمد أمير الأندلس سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م كى يتيح لسكان منطقة غالة الجنوبية التمتع بنوع من الأمن والاستقرار^(٢) .

وبعد تلك الفترة تمكن المسلمون أن يستغلوا الأوضاع التي كانت تمر بها مملكة الفرنجة بعد وفاة شارل الأصلع من سوء واضطراب واختلاف بين الكونتات وحكام الأقاليم فاستطاعوا الاستيلاء على منطقة البروفانس .

إذ بعد وفاة شارل الأصلع قام أحد الدوقات المدعو بوزو Boson دوق بروفانس ، وأعلن نفسه ملكا على اكيثانيا وكان ذلك عام ٢٦٦هـ / ٨٧٩م وشملت مملكته تلك

(1) Charles Lenthéric : Provrce Marithe . PP. 184 - 185 .

وإذا أردنا أن نثبت حقيقة كلامنا هذا فإن الغربيين هم أصحاب تلك الأفعال الشائنة لئى أن ما فعل شارلمان مع السكسون عندما ارغمهم على دخول المسيحية فأقام لهم مذبة عرفت فى التاريخ باسم مذبة فردان Verden سنة ١٦٦هـ / ٧٨٢م . انظر عاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

وقد ظهرت كتابات عديدة لأقلام مؤرخين غربيين وحذا حذوهم عن جهل أو عن قصد بعض المؤرخين المسلمين معظمهم تصدوا لحركة الدعوة الإسلامية الصحيحة . لذلك تخرص الدولة الغربية ممثلة فى مؤرخيها على خدمة مصالحهم وتصوير المجتمع الإسلامى باعتبار متخلفاً والإسلام باعتباره دين المتعطلشين للدماء والمتهاككين على الشهوات ، وعلى هذا فقد تماد الغرب بعث صورة الإسلام المظلمة التى سادت فى العصور الوسطى فى أوروبا على أنها تقوم على العنف التعصب وينشرها مقاتلون متوحشون يحملون القرآن فى يد والسيف فى اليد الأخرى .

انظر رودلف بيترز : الإسلام والاستعمار عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(2) Levi-Provencal : op. cit., P. 153 .

حوض الرون من أرل Arles إلى ليون Lyon - كما تأر هيو أحد مقدمى الأديرة ولكن الإمبراطور شارل السمين استطاع القضاء على حركة بوزو هذه وحصره فى منطقة ضيقة ، ولكن لويس بن بوزو استغل وفاة شارل السمين ، واستعاد جميع ما أخذه أبوه واستقل بالبروفانس^(١) واستمر الشقاق بين الأمراء قائماً وأصبحت البلاد فى وضع منهك الاختلاف بينهم حداً كبيراً وتزامن ذلك مع الوجود الإسلامى فى تلك المنطقة^(٢) إذ استطاع المسلمون استغلال تلك الاضطرابات الناجمة عن الأحداث الداخلية فى بلاد الفرنجة من جهة الغزو النورماندى من جهة أخرى ، وأخذوا يستعيدون بعض المناطق التى فقدوها وكانت مراكزهم الأولى فى إقليم سبتانيا . بعد وفاة الأمير محمد تجددت غارات البحرية الأندلسية على تلك المناطق واستطاعوا خلال حكم ولديه الأمير المنذر ٢٧٣ - ٨٨٦ / ٢٧٥ - ٨٨٨ م والأمير عبد الله ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٢٨٨ - ٩١٢ م استطاعوا أن يتوغلوا فى المناطق الجبلية المليئة بالغابات والمظلة على خليج سان تروبي ST. Tropes (سان تروبيز) جنوبى غالة ، وظلوا فى تقدمهم حتى وصلوا إلى قمة جبل يشرف على جزء كبير من البروفانس ، وقد نسب هذا الجبل إلى المسلمين فيما بعد فعرف (باسم جبل المسلمين أو سلسلة جبال المسلمين) Chans de Mauoes^(٣) .

(١) إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) عاشور : أوروبا : ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩

نتيجة لتعرض أوروبا فى القرنين التاسع والعاشر وما ترتب على من انهيار السلطة الملكية وما جزى عن منازعات بين الأمراء والحكام تمخضت كلها فى النابة عن حالة شديدة من الفوضى عمت بلاد غرب أوروبا كلها ، وظلت غالة تحت حكم الفرنجة مقسمة إلى أقسام إدارية وكونتيات تتبع حدود الاسقفيات ، وبحكم كل منها كونت نائب عن الملك وظل الوضع كذلك حتى تحطمت السلطة الملكية فى غالة وسقط البيت الكارولنجى وقامت أسرة كايية فى الحكم ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م وعزل شارل السمن ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م .

للمزيد : انظر عاشور : ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٣) حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، ص ١٣٠ . أرسلان غزوات ، ص ١٦٠ -

١٦١ إبراهيم طرخان : المسلمون وأوروبا ، ص ٢٠٣ .

ولقد أدركوا أهمية هذه المنطقة الحصينة فالبحر مفتوح أمامهم للإمدادات الخارجية ، كما أن البر من الداخل مهياً للغارات الداخلية وبجانبهم الغابات الكثيفة للالتجاء إليها عند الحاجة ، وأخذوا يقيمون المعاقل فى هذه المنطقة وتوالت عليهم الإمدادات من الأندلس وشمال إفريقيا ، وأهم هذه الحصون التى بناها العرب حصن فراكتيوم^(١) .

Fraxinetum وموضعه الحالى هو المكان المعروف باسم لاجارد فرينى La Garde Frainel ويقع بين هير Hyeres وفريجوس^(٢) .

وحينما سمع المسلمون المقيمون خارج هذه المناطق بأخبار إخوانهم فى هذا المعقل بدأوا يتوافدون عليهم من كل حذب وصوب . حتى أصبحوا يشكلون أعدادا كبيرة من المسلمين فى تلك المعاقل ، واستطاعت تلك الوحدات البحرية بالتعاون مع وحدات موانئ الشغل الأعلى فى الأندلس تعزيز الأسطول الأندلسى حتى استطاعوا به تنظيم السيطرة على غربى البحر المتوسط فى القرن الرابع الهجرى وأسسوا حصن فراكتيوم^(٣) .

(١) ويرى ابن حوقل أن اسم هذا المعقل يطلق على القلال بمعنى رؤوس الجبال ومفرد قلة وأن هذا الجبل كان تابعا لصاحب الأندلس .

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٨٥ .

فى حين يرى الاصطخرى أنه كان فى الأصل خرابا وفيه ماء فجاء المسلمون فعمرو وثاروا فى وجو الأفرجة لا يقدر عليهم أحد لامتناع مواضعهم . الاصطخرى : المسالك الممالك ، ص ٥٠ .

أما ياقوت فيذكر جبل القلال أثناء حديث عن تكبرده ويقول : بلاد واسعة من بلاد الفرخ بين القسطنطينية والأندلس تأخذ على طرق بحر الخليج من محاذة جبل القلال وتمر على محاذة ساحل المغرب مشرقا إلى أن تتصل ببلاد قلورية . ياقوت : معجم البلدان ، ص ٢٧٣ .

(2) Leve-Provençal : op. cit., P. 158 .

(٣) تسميته بحصن فراكتيوم مما اختلفت حوله الأقوال ويحتمل أنه كانت توجد قرية رومانية بهذا الاسم فى هذا المكان واحتلها المسلمون وأزالوها واختاروا قمة الجبل لإنشاء هذا الحصن المنيع وأطلقوا عليه اسم القرية ، وربما كان أصل هذ التسمية مشتقا من شجرة البلوط Fraxinus الذى أثبتت الحفريات الدقيقة والدراسات العميقة أن كان يوجد غابة دردار فى مقر الخليج على شاطئ البحر ، وهذا القرية تسمى فراكتيوم .

ولا شك أن تحكم المسلمين في حصن فراكستيوم بجنوب غالة كان عاملا أساسيا في استمرار الغزو الإسلامي لهذا الإقليم وما وراء جبال الألب .

ويذكر غوتيه (1) Gautier أنه في عام ٣٢٩هـ / ٩٤٠م احتل المسلمون حدود مدينة فريجوس وطولون والبروفانس السكان لامسيحيون من المنطقة الواقعة بين البحر وبين جبال الألب وسقطت المدن المهمة في أيدي المسلمين واحتفظت مدينة غاب Gap بالمعبد الروماني .

أما تاريخ فريجوس فيذكر عن بداية استقرار المسلمين في منطقة البروفانس قائلا : أن الغموض يحيط بتاريخ تدمير المسلمين لمدينة فريجوس وكذلك بتاريخ إعادة بنائها ، وأوتق المصادر عن ذلك ما رواه جوزيف انتلمن في جداوله التاريخية التي أورد فيها مدونته عن أساقفة فريجوس حيث ذكر أنه في سنة ٢٧٧هـ - ٨٩٠م أدرك المسلمون الذين قذفت بهم عاصفة بحرية إلى ساحل فريجوس أهمية بلدة فراكسيت الحصينة للقيام بغزواتهم فشيدوا فيها القلعة الشهيرة التي تحمل نفس الاسم وذلك على مقربة من خليج سامبراستيان ، وعلى مسافة ١٥ ميلا من مدينة فورم جوليبى Forum Ju-lia وحوالي عام ٣٠٣هـ - ٩١٥م محا المسلمون مدينة فورم جوليبى من الوجود واستولوا على خيراتها وعلى الأشياء المقدسة التي كانت بها قبل أن يجعلوها طعمة للنيران ، وكان ذلك إيذانا ببداية تواجدهم في تلك المناطق (2) ويعقب عليه مؤلف آخر

= أما المعنى المجازي لهذا الاسم فهو حربه أو رمح ذو عمود أو مقبض مصنوع من خشب البلوط .
للمزيد انظر شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٦٢ - ١٦٦ . إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ٢٠٤ .

(1) Theodore Gaultier : Historie de la O'rlele de gopet de gapeu cais rom I. P. 196 .

(2) J. A. Aubwnas : Historie de Frejus . PP. 260 - 261 .

وللرد على تلك الاعتداءات تقول أن المسلمين لم يتخلوا عما ألزمهم به دينهم الحنيف ولم ينسوا أن دستور الوحيد (القرآن) يشرع لهم وينظم حياتهم وسلوكهم نحو الآخرين لذلك نشأت نزعة إنسانية عريقة لا تفرق بين الناس أبداً ، ولم يكن المسلم فاتحا ولا غازيا بقدر ما هو دافع ومبشر بعهد جديد ، لذلك لم يفكر أن يطمش أو ينظر نظرة متعالية تهين من تحتة ولكن مارس حقوقا محترمة =

ذكر أنه فى فراكستيموم وفى الجزء الغربى من كونتيه فريجوس نزلت سنة ٢٧٧هـ - ٨٩٠م جماعات من المسلمين القادمين من إسبانيا وانطلاقاً من تلك القاعدة راحوا يزرعون الرعب والروع فى البروفانس يكامله وينتقلون من وادى إلى آخر معتمدين على عنصر المفاجأة ، وعلى براعتهم الحرية وعلى قدرتهم فى التمويه والتضليل فيها جمون المدن والقرى وخاصة الأديرة الغنية ، و يقيمون بحملات خاطفة على قوافل الحجاج المتوجهة إلى روما ويهدمون الكنائس والأديرة^(١) . وفى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م اثاروا

= حول الآخرين فأكد احترام الإسلام لقيم الإنسان والحرص على كرامته وإزالة الفوارق ، وفى ذلك يقول الأستاذ هاريسون Herson فى كتابه العرب فى وطنهم « فحيث حل الإسلام تأكدت قيمة الفرد ونهض الناس معتزين بكرامة لا تقهر » وغدا موقف لزاء اليهود والنصارى موقف المحترم المتسامح وأباحوا للأساقفة النصارى أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية وسمحوا لهم ببناء البيع فمارسوا معتقداتهم بحرية .

للمزيد انظر يوسف حسن نوفل : إنسانية الحضارة العربية وإبداعها ، ص ٤٥٢ .

(١) وهنا نرد على هذه الفرية بأن نسوق رأى سيدىو فى كتابه تاريخ العرب العام حيث يذكر أن الفرغ إلى الآن ينسبون إلى العرب جميع التخريب الذى يرون اليوم آثاره فى الأقطار التى أغاروا عليها ، وقد هولت الفرغ فى شأنهم ، مع أنهم كانوا فى جميع الوقائع ذوى لطف عند الانتصار ، وسبب ذلك ما رسخ فى عقول الفرجة من الخوف والنفرة من العرب ، وكانت وجوههم كالحة من حر الشمس وأعينهم مخيفة هذا مع شدة عدو خيلهم وغرابة ملابسهم وتجريدهم سيوفهم وتكلمهم بلغة لا يعرفها أهل تلك الإرجاء لنشر دين بين هؤلاء النصارى المملوءة قلوبهم بتعاليم أساقفتهم ، وكانوا لا يتفوهون إلا بالفاظ دالة على العداوة والبغضاء لهؤلاء العرب المنكرين ألوهية عيسى بن مريم .

انظر سيدىو : تاريخ العرب العام ، ص ١٨ .

بالإضافة إلى ذلك إذا تأملنا وصية الرسول ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية قال : « اغزوا باسم الله ، وفى سبيل الله ، تقاتلون من كفر بالله لا تغلوا ولا تمثلوا أو لا تقتلوا وليدا » .

أخرجه مسلم فى الجهاد والسير ، باب تأمير الأمراء على البعوث ، ج ٣ ، ص ١٣٥٧ ضمن حديث طويل .

ولو نظرنا أيضاً إلى وصية أبى بكر لجنوده « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا تعقروا بعيراً إلا لما كلة وسوف تمرن بأثوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهن وما فرغوا أنفسهن له لتبين من تلك الوايا مدى سماحة وعدل المسلمين .

الطبرى : تاريخ الأم والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

غضباً مسيحياً شمالاً لما ارتكبو^(١).

ويذكر ادوار بارتبيه : فى تاريخ البروفانس أن المسلمين فى بداية القرن الثامن وأواسط القرن التاسع الميلاديين قاموا بحملات تخريبية هامة فى البروفانس ولكنهم رغم ذلك لم يتمكنوا من إقامة رأس جسر على هضبة المور Cate Desmaueres إلا فى نهاية القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى ، ولقد اهتم المجمع الكنسى المتعقد فى فالانس لويس بن بوزون ملكاً على البروفانس ، اهتم بعمليات التخريب التى قام بها المسلمون ، وكانت نتيجتها إهمال الأراضى الزراعية ونزوح السكان عن تلك المناطق^(٢).

ولكن لماذا يعلل نزوح السكان وإهمال الأراضى الزراعية بسبب تخريب المسلمين ؟ ولماذا لا يكون هذا النزوح بسبب استمرار الحروب الداخلية الحامية الوطيس بين زعماء البلاد حتى أصبح كل زعيم منهم يحرص على أن يجذب المسلمين لصفة محاربة الآخرين فاضطر الناس إلى الهجرة بسبب ذلك^(٣).

ولكن يبدو أن هجمات المسلمين الرئيسية على البروفانس قد تركزت بين عام ٢٨٨ - ٢٨٩هـ / ٩٠٠ - ٩١٠م أى فى الفترة التى وجه فيها لويس الأعمى Louis L'A eugle حملاته العسكرية إلى ما وراء جبال الألب وبين عام ٣١٣هـ و ٣٣٤هـ (٩٢٥ - ٩٤٥م) أى فى الفترة التى ترك فيها هوج دارك Hugus D'Alrles البروفانس متوجهاً إلى إيطاليا لمقاتلة بيرانجه Berenger ملك اللومبارد الذى كان ينازعه ملكه ، وبعد أن فرغ من توحيد سلطته على إيطاليا حاول تطهير البروفانس وجبال الألب من هؤلاء الضيوف المزعجين الذين حلوا بها ، ويقصد بذلك العرب طبعاً ، واستعان بالأسطول البيزنطى لأن الفرنجة Franks لم يكن لهم أسطول فى

(1) Paul Guichonnet : Histoire et Civilisations des alpes . PP. 179 - 180 .

(2) Edaward Baratier : Histoire de la Provence, PP. 180 - 190 .

(٣) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢١٥ .

(4) Edaward Bertatier : op. cit., P. 110 .

البحر المتوسط ، وبالفعل استطاعت السفن البيزنطية من فرض الحصار على قاعدة فراكتيوم التي يتركز فيها المسلمون منذ بداية هجماتهم على المنطقة من جهة البحر سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م بينم راح هوج دارك يضغط بوحداته المكونة من جند بروفنسيين وبمونتوتيين على تحصينات المسلمين ولكن بكل أسف - كما يقول المؤلف - توقفت هذه الحملة وتعثرت بعد أن وصلت هوج دارك الأخبار بأن غريمه ييرونجه ديفري Bereuger d'Ivree ملك اللومبارد يسعى إلى خلعه من العرش في إيطاليا ، فاضطر نتيجة لتلك الظروف الصعبة إلى التفاوض مع المسلمين وسمح لهم باحتلال بعض معاير الألب مقابل مساعدتهم له في حرية ضد غريمه وعدوه^(١).

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن سكان البروفانس والسافوى والدوفينه كانوا يعانون الأمرين من صراع الأمراء المحليين على السلطة وعلى مناطق النفوذ ثم الصراع بين أولئك الأمراء من جهة وبين الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى ، هذا فضلا عن الفظائع التي كان يرتكبها بحق السكان وأهالي البلاد الغزاة الهنغاريون واللومبارديون بين برابرة الشمال .

ومن المحتمل أن تكون هجمات المسلمين قد تزامنت مع فترة الخلافات السياسية والعسكرية في المنطقة ، ولكن لا تتوفر لدينا الوثائق الدقيقة حول فترة الاضطرابات والمشاكل التي نشأت بين الزعماء والتي شملت مناطق البروفانس الممتدة من شرقى مدينة اكس Aix ومدينة مرسيليا Marseille ومدينة دورنس Durance حتى جبال الألب . وفي بقية مناطق البروفانس التي تشير بعض النصوص الواردة هنا وهناك عن فترة تركز المسلمين على شواطئ المور Maures وإلى عبورهم بعضهم من مدينة أبت Apt ومنطقتها حوالى سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٦م وفي مرسيليا واكس من ٣١١ - ٣١٣ هـ / ٩٢٣ - ٩٢٥م تقريبا وقد شوهدوا في مستهل القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى أيضاً على الريفيرا بين البينغا Albenga وسان ريمو San remo

(1) Edouard Baratiers : op. cit., PP. 110 - 111 .

Live Provençal : op. cit., P. 160 .

وكذلك فى وديان جبال الألب بمنطقة بيموت Pimput ، ولا يعقل أن يكون كونتات Contes مملكة البروفانس قد تحملوا طويلا اجتياح المسلمين الذين قد تمركزوا فى تلك المناطق وتمكنوا منها ، ففى غياب الجيش النظامى يصعب على السلطة المركزية وهى فى حالة من التفكك والضعف والتردى أن تتقدم لصد أى عدوان أو هجوم خصوصا وأن أولئك الكونتات لم يكن اعتمادهم إلا على الهبات التى يقدمها الملاك الصغار لرد أى هجوم ، فى حين أن المسلمين فى تلك الافتراءات كانوا يعتمدون فى خروجهم على جماعات ، ويعتمدون على عنصر المباغته والمفاجأة والنصوص التى لدينا تثبت وتتحدث عن مدى براعة المسلمين وقدرتهم على الاختفاء فى تلك الغابات المحيطة بتلك الجبال والوديان^(١).

ويرى بعض الكتاب أن هجمات المسلمين كانت تأتى من قمم جبال الألب أكثر مما تأتى من البحر ، وخلال القرن العاشر الميلادى نجد أن المسلمين قد ازدادوا جرأة وقوة مع مرور الأيام وامتد مجال تحركهم وانطلاقهم حتى أصبح يشمل جميع قمم جبال الألب حتى منطقة الدوفينية Dauphine وفى السافوى Savay بل وحتى فى فاليه Valis وغريزون Gesgrisons^(٢).

ويؤيد استعانة أهالى المنطقة بالمسلمين ضد أعدائهم ما أورده تيودور غوتيه حيث يذكر أنه أثناء هجمات المسلمين واستقرارهم فى منطقة الدوفينية انضم إليهم قسم من السكان وشاركوهم غزواتهم وأعمالهم الحربية ولولا ذلك لا يمكن أن أنفسهم بسهولة اجتياح المسلمين لتلك الجبال المنيعه والصعبة حتى تمكنوا من الإقامة ، ويشارك تيودور فى رأيه هذا الأب مارميلان فورنييه Mareclin Fournir حول تعاون السكان المحليين بكل أسف على حد قوله مع المسلمين وانضمامهم إليهم . وهذا فى رأينا دليل أكيد على تسامح المسلمين وحسن معاملتهم لأهالى البلاد الذين وضعوا أيديهم فى أيدي المسلمين^(٣).

(1) Codera : Limites Probables de la Conquista arabe en-la Cordillera Pirenaica . P. 237 .

جمال الدين الرمادى : الإسلام فى أوروبا ، ص ٦٨٤ .

(2) Edouard Baratier : op. cit., PP. 108 - 110 .

(3) Mareclin Fournier : Historie des alpes Maritimes Pieele . P. 222 .

ولقد أورد رينر أثناء حديثه عن الفتوحات الإسلامية ما يؤكد أنه لما فتح المسلمون غالة والمدن المجاورة لها وجدوا عوناً ونصرة كبيرة من أهالي تلك البلاد ، ولولا هذه المساندة والمساعدة لما استطاع المسلمون الاستقرار في تلك المناطق الشاسعة والثابتة عن أوطانهم وهم في قلة من أمرهم ، في وقت كانت المواصلات والمراسلات صعبة وشاقة وهذا دليل على قدرتهم على الامتزاج بأهالي البلاد الأصليين والعيش معهم^(١).

أما في موجز تاريخ دار غينون فيذكر المؤلف قائلاً أن المسلمين القادمين من شمال إفريقيا وبلاد الأندلس استطاعوا ضم منطقة البروفانس التي احتفظت باستقلالها منذ انهيار الإمبراطورية الكارولنجية ، واجتاحوا في البداية منطقة الساحل ثم توغلوا في الداخل واستطاعوا أن يدمروا مدينة (نيس) ولسائر القرى الموجودة على الساحل فهرب السكان من أماكنهم من السهول ولجأوا إلى التلال المجاورة وعاشوا في حالة بؤس كما كانت الحال قبل الغزو الروماني واستمر هذا الوضع قرابة مائة عام^(٢).

أما جورج ريمون وجان إدوار دوغان فيذكر أنه لا ينبغي أن نبالغ أو نقلل من شأن العمليات التي سموها بالهبة وأن العصر الذهبي للمسلمين هو عصر تقدمهم في الجبهة الغربية من غالة للرد على هذه التهم نقول أنها قد نسجت بمنوال محكم لدى صنعة مهرة تخصصوا في إلصاقها بالمسلمين ، ونقول أن المسلمين كان بإمكانهم اقتتراف المظالم والإساءة للمغلوبين ولكن كان لديهم من العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الأخرى ، وأدركوا أن النظم الأديان ليست مما يفرض قسراً وأن اتباع أسلوب التدمير ومعاملة السكان بسوء ليست من أخلاقهم لذلك عاملوا أهالي كل قطر فتحوه واستولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم ، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ورحمة العرب وتسامحهم كانا من زسباب اتساع فتوحاتهم واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم . للمزيد انظر غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٢٥ - ٢٣٥ ، ٢٩٢ . ناجى معروف : آصال الحضارة العربية ،

(١) رينر : الفتوحات الإسلامية ، ترجمة إسماعيل العري ، ص ٢١٧ .

(2) E. Poupe, f. MINEUR : Petiteaistore de diaguignon .

ص ٢٤٢ . بعد أن سحقوا في يواتيه^(١) عام ١١٤هـ / ٧٣٢م ، وبعد تلك الهزيمة بدأوا بمهاجمة السواحل حتى تمكنوا من الانتشار في أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي على سواحل وشواطئ البحر المتوسط الغربية بعد أن تمركزوا في فرنييه أوفراكستيوم فأخذوا يشنون الغارات المدمرة^(٢) على المدن والقرى في منطقة البروفانس وعلى المدن الواقعة على الساحل^(٣) .

ويعقب المؤلفان بأنه نتيجة لغزوات المسلمين أصبح لا يوجد في السجل الكنسي لمدينة نيس Nice أسماء لأساقفة ما بين سنة ٢٧٤ - ٣٩٠هـ ، (٨٨٧ - ٩٩٩ م) وكذلك الأمر بالنسبة لعدد من المدن الأخرى التي تعرضت للغزو ويعود الكاتبان فيذمران لامغالة في التعميم^(٤) .

(١) لم يهزم المسلمون في يواتيه ولم يتوقفوا وذلك اثبتاه بما أحده عبد الملك ابن قطن وعقبه بن الحجاج السلولى من ضم مناطق جديدة للإسلام والمسلمين وأخيراً بما وفق إليه المسلمون من احتلال تلك المناطق البعيدة من البروفانس وما حولها بعد أن اخفقوا في الاحتفاظ بمناطق غالة الجنوبية .

(٢) يعترف الكاتبان بأن المسلمين لم يتوقفوا بعد يواتيه بدليل ما أحده في سواحل وشواطئ البحر الأبيض الغربية ، من تقدم بحرى فعال كان له أثر في تمركزهم في منطقة فراكشيون .

(3) George Reymond et Jean edauard Daugand : Monaco Antiqu. P. 255 .

(٤) ويذكر المؤرخ محمد كرد على : أن هناك عوامل في جفاء الغربيين وهناك عقدة مدنية وعقدة دينية إذ سهل الأمر في الأولى عسر في الثانية لأنها متعذرة على الانتزاع فمهما جهدت بكل جهدك فحكم الغرب على الغرب منبعت في الأصل من تباين في المعتقدات ، والمعتقدات وليدة التسليم والاستهواء والعادات ومن الصعب استئصالها ، ويذكر دريول في المسألة الشرقية : (أن الغربيين رخوا على عاطفة أن النصرانية أرقى من الإسلام بكثير ، وأن رسالتها تهدى المسلمين إلى دين المسيح وهذا أمر عسير . وكم من أناس يسمون لما يذكر من النعيم الذى وعد به المسلمون في الجنة ، ونحن ندعوا المسلمين بالكافرين . ومع أن المسلمين جماعة من المؤمنين لذلك لا يرجى بيننا وبينهم صلات أخاء وحب أبدا .

ويقول لوين : كان الأنصاف في التاريخ صفة جوهرية في المؤرخ ، وأنه على المؤرخ أن يكون خاليا من الأغراض متجردا من الهوى حتى يستطيع أن يرى الحوادث وإلا عبر كل مؤرخ بتعبيرا يخالف غيره أو معنى بتفصيل يمهلهما غيره ، أو قد يبلغ المؤلف عن عمد أو غير عمد أن يختار المواد التى =

ولكن لا بد من إعادة النظر لكشف الحقائق فالمسلمون أبعد من أن يكونوا لصوحا أو رجال عصابات ، فلقد اغنوا الثقافة الغربية طوال العصور التي جرى فيها جهادهم ودخلهم إلى المناطق في شمالي غرب البحر المتوسط .

ويعود الكاتبان فيذكران مغالطة أخرى هي أن البروفانس ليست الأندلس فكل ما نقل عن تأثير المسلمين على الجنس واللغة والعادات والثقافة في منطقة البروفانس هو مجرد اختراع متأخر من المؤرخين المحليين ، وتعبير عن نوع من العداء لرجال الدين ، ومن ثم جاء الشعراء فأعادوا ذكر هذا الاختراع وحسنوه وزينوه^(١) .

ويذكر ادوار بارتيه : أن المسلمين بعدما احتلوا المناطق الشمالية من الجبال الواقعة في منطقة الدوفينه Dauphine ومنطقة السافوى Sayoy خففوا من عمليات السلب والنهب في البرفانس لأنهم بدأوا يتطلعون إلى أماكن أخرى^(٢) .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي أخذ المسلمون يتقدمون نحو

= توافق اهواء السياسية والدينية والأخلاقية لذلك تعذر تأليف كتاب في التاريخ يبلغ من الأنصاف مداه.

انظر محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، ص ٢ - ٥٣ نقلا عن غوستاف لوبون : روح الثورة الفرنسية وروح الثورات .

(1) George Reymond et Jean edouard deugand : op. cit., PP. 225 - 256 .

وللرد على تلك الأقوال نسوق رأي المؤرخ غوستاف لوبون في كتابه الأسس العلمية في فلسفة التاريخ في الفصل الخاص في النقد التاريخي « رأينا مدى الشكوك التي تعرض للوقائع التاريخية حتى ما كان منها معروفا فاقترضى للحكم عليها أن يتجرد منها عن التأثيرات القومية والدينية والسياسية التي هي مرجع البيت في معظم الأحكام ، لذلك جاءت التأليف حاملة تقديرات متباينة في الحوادث الواحدة ، وللأوهام الدينية خاصة سلطان على المؤلفين على حين يعتقدون أنهم نحوا من تأثيراتها ، ولا جرم أن كثيرا منهم قد اندفعوا بسابق هذه الأوهام وأتوا بأراء بعيدة عن حجة الصواب في بيان فضل الحضارة الإسلامية ولا يزال التحامل على العالم الإسلامي القديم بحالة من الشدة ، لذلك وجب أن يعاد النظر في تاريخ القرون الوسطى بجميع أجزائه التي لها مساس بانتقال المدينة القديمة إلى العصور الحديثة .

نقلا عن محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، ص ١١ .

(2) Edouard Baratier : op. cit., PP. 108 - 110 .

سلسلة جبال الألب . وفي سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦م عبروا الشعب المؤدية إلى مملكة
برجنديه Burgundia الجديدة ، وكانت تضم الدوفينه والسافوى وأجزاء من المناطق
التي تشكل اليوم مع غيرها سويسرا الحالية ثم اجتازوا جبل جنيس Genies فهرب
السكان ولجأوا إلى مدينة سوز Suse ومدينة بريانسون Briancon ولكن المسلمين
لحقوا بهم وقتلوا أعدادا كبيرة من المسيحيين فأطلق على مكان المذبحة من ذلك اليوم
ساحة الشهداء^(١) .

ولقد أورد شكيب أرسلان^(٢) نقلا عما جاء في تاريخ دير نوفاليزا الوارد في
مجموعة موراثورى : أنه كانت هناك كنيسة صغية فأحرقوها وفر كثير من أهلها إلى
الجبال بين سوز Suse وبريانون Briancon واعتصموا بديرا ولكس Oulx فاقتص
العرب آثارم وقتلوا أعدادا كبيرة منهم حتى سمي ذلك المكان بساحة الشهداء .

ومنذ ذلك الحين شرع العرب فى شن غاراتهم على سواحل بيدمونت Bied-
mount ومونفerrat ومدينة استى Asti واكى Acquies حتى وصلوا
إلى حدود ليجوريا Liguria ودخلوا جنوه عنوة وفى سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م نزل العرب
سواحل لنفدوق

وبذلك أضحي المسلمون سادة فى مناطق جبال الألب وفى الحدود بين فرنسا
 وإيطاليا وسويسرا وصاروا يتقاضون رسوما على القوافل المارة عبر ممرات الألب سواء
كانت هذه القوافل للتجارة أو إلى الحج إلى روما .

وهكذا نجح المسلمون فى تطويق بلاد الفرنجة من الجنوب والشرق على السواء^(٣) .

(1) Por Theodor Gautier : Historie de la Gibbe P. 194 .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ٢١٦ نقلا عن مجموعة ديرولكس التى نشرها ريفاتلا فى تورنتو سنة ٧٥٣م
 . وأوردتها أرسلان : غزوات ، ص ٢١٦ .

وللعرب حصون فى منطقة بيد مونت منها حصن فرسكنديلرم Fracene dellum قرب كازل
Gassal على نهر البر .

(3) Victor de Saint Jenis : op. cit., P. 148 .

طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٦٢ .

ومن تلك المعابر التي استولى عليها المسلمون هاجموا سويسرا ولا سيما عن طريق
مرسان برنارد ST. Bernard وهو الذي يفصل بين مقاطعة فاليه Valais السويسرية
بين شمالي إيطاليا واجتاحوا منطقة فاليه Valais وكذلك منطقة جريزون ويبدو أن
رجال الدين اذبن فروا أمام المسلمين في بروفانس كانوا قد لجأوا إلى فاليه ومعهم
أموال فكان ذلك من بين أسباب عبور المسلمين إلى سويسرا^(١).

وقد وصل المسلمون إلى شواطئ بحيرة جنيف Geneva حوالى عام ٣٢٥هـ -
٩٣٦م ، من المحتمل أن هذا التاريخ لا يحدد أول دخولهم والغالب أنهم دخلوها منذ
مطلع القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى .

واشتدت وطأة الغزوات الإسلامية فى المنطقة بين بحيرة كونستانس Constance
فى الشمال الشرقى من سويسرا وبين مدينة كور Chur فى شرق سويسرا ويبدو من
حوليات المؤرخين عن حوادث عام ٣٢٥هـ / ٩٣٦م أن العرب شنوا الغارة على
سويسرا الألمانية وقتلوا الكثير من الحجاج العائدين إلى روما^(٢).

ويبدو أن قسما كبيرا من سويسرا الألمانية الواقع بين مدينة كور وبين أعالي الراين
كان ميدانا لنشاط العرب الحربى .

وفى حوالى عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م توغل العرب فى منطقة خات Waadt ادفو
Vaud وقاعدتها لوزان Lusanne الواقعة على الشاطئ الشرقى لبحيرة جنيف ،
ووصل المسلمون إلى منطقة افانشى Avanchez ونيوشاتل Neuchatel وإلى بحيرة
تونستانس Tonstance وسانت جل ST. Gallen وابنزيل Appenzell وسارجان
Sargan وتونجبرج Tongenbourg^(٣) فى أعالي الراين^(٤).

(1) Par Lucien Musset : les invasions le second assant Contre L'europe
Chretienne VIIIXI Siecles PP. 164 - 165 .

(٢) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٦٣ .

(٣) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ . مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ،
ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٤) كانت البلاد المعروفة اليوم باسم سويسرا مقسمة فى العصور الوسطى بين مملكة برغنديا ودوقية سوايا .
ولم تكن قد وجدت وجمعت اطرافها .

عاشر أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، ص ٥٩٧ .

ويؤيد فيكتور سانت جنيس^(١) في تاريخ السافوى أنه في الوقت الذي كان فيه الهنغارون يدخلون إيطاليا ، عبر منطقة التيرول كان المسلمون يغزون جبال الألب الغربية عبر وادي دورونس Durance ووادي الرون Rhone وأنه في سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م كانت جميع المعرات الجبلية المحتلة من شاطئ البحر حتى الثلوج التي تمتد نهر الرون بالمياه ، وكان المسافرون يدفعون المكوس على الطرقات المؤدية من إيطاليا إلى منطقة السافوى Savoie ومنطقة الدوفينه Dauphine والبروفانس وسويسرا . وقد هدم دير أولكس Oulx ودير نور فاليز Norvalse والمدين التالية سان جان دي دي موربين Daint Jeau de Mautieune وميسترون Sisteron وغدت طعمة للنيران ولجأ السكان إلى الغابات وقبضوا على المزارعين في الجبال لكي يستخدموهم الغزاة جواسيس^(٢) .

تلك هي الصورة التي تبدوا أمام أعيننا ونحن نقرأ مذكرات القديس رومول Ro-mule وقصائد لويتبراند Luit Prand^(٣) ومدونات الأديرة . وفي سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م احتل المسلمون تورنتيز Torentaise ونوا فوق السبخات المالحة قصر الملح Chateae de Melh الذي مازال اسمه العربي حتى الآن^(٤) وتغلغلوا في قالي Valley وتقدموا نحو سان غال Saint Gall وغدوا سادة البحيرات كما كانوا سادة

(١) Victor de Saint Genus : Histore de Savoie de Savoie ep. cit.; P. 148 .

(٢) وللدرد على هذه الأدعاءات نذكر أنه لم يوفق كثير من مؤلفي الغرب إلى فهم تاريخ العرب فما زالوا يتكرونها فيه إبداع المدينة التي ولد بها الدين ، أما ما نسب إلى العرب من فظائع أثناء فتوحاتهم ، فمعها مبالغ في نسبته إليهم مما تبيحه القوانين الحربية الرومانية التي جريت كل أنواع الجور والاستعباد مما لم يأت العرب مثله في بضع قرونهم الأربعة الزولس على اتساع رقعه ممالكهم ، ولم يحفظ لهم التاريخ بتلك الصور البشعة إطلاقاً .

محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، ص ١٨ .

(٣) لويتبراند : مؤرخ الماني شهير ولد عام ٣٢٠هـ / ٩٢٢م من أسرة شريفة في لونبارديه نشأ في معية

الملك هونغ في بافيه وكسب كتابين باللاتينية انظر أرسلان : غزوات ، ص ٢٢٠ .

(٤) وهذا من أكبر الأدلة على قدرتهم على الامتزاج بالسكان والاختلاط بهم وتكوين تلك الأصول الجرمانية دليل عظيم على تسامحهم مع أهالي البلاد المفتوحة .

البحار ، وعلى مقربة من كونستونس Constance التقى أعداؤهم بطلائع المهاجرين الهنغاريين (المجر) وهكذا أصبحت منطقة جبال الألب ضحية لأنواع من العذاب لا يمكن وصفها بسبب حالات العنف الدورية الهابطة كالانهيارات الثلجية من أعالي الجبال التي تحولت إلى قلاع منيعة ، ولحسن الحظ فإن التباين الواسع بين الأجناس والتناقض في الطبائع والأديان منع الانصار بين الهنغاريين والمسلمين كما يجرى عادة بين القراطنة أيا كنت بلدانهم ، وقد تمكن هوج دارك Hugues a'Arles من إحداث تيير في النظام الاجتماعي للمسلمين وذلك بإبعادهم عن البحر والقائهم وسط جبال الألب لاستخدمهم في تسهيل عبوره نحو إيطاليا ضد ألمانيا سنة ١٢٦٣هـ / ٩٤٥م ، ولم يكن قرصان البر هؤلاء متأكدين من استيلائهم الدائم على سلسلة جبال الألب لكي يحولوا معسكراتهم إلى مستعمرات سكنية ثابتة ، وقد تزوجا من نساء المنطقة وزرعوا الأراضي ، وكونوا أرومات عائلية عربية جرمانية .

ويؤكد ذلك المؤرخ الراهب اكهات مقدم دير سانت جال أن المسلمين رغبوا في الاستقرار في الأقاليم التي وصلوا إليها ، وأنهم تزوجوا من الوطنيت وأخذوا يزرعون الأرض ويستغلونها ، وأن احكام الوطنيين في تلك البلاد لم يسعهم إلا التسليم بمقامهم ، واكتفوا بجباية اتاوة منهم بالإضافة إلى الآثار المادية الدالة على استقرارهم في أنحاء سويسرا المختلفة^(١) .

ويؤكد فيكتور سانت جنيس : أن المسلمين أثناء احتلالهم لمدينة نيس Nice وغاب Gap وجرينوبل Gerenooble كانوا يتسامحون في إقامة بعض التظاهرات والاحتفالات الدينية المسيحية وشعر أهل البلاد بعد احتكاكهم بالعرب أنه لا خوف منهم^(٢) .

وقد عرف الملك كونراد أمير برجنديا وسويسرا وفرنشكونني ودوفينه في تدبير حيلة

(١) طرخان : أوروبا ، ص ٢١٨ .

(٢) أمثلة من تسامح العرب وحسن اخلاقهم باعترافهم

للتخلص من المجر والعرب معا بعد أن رأى فى الإمكان الاستفادة من ضعف روح المقاومة لدى المسلمين فداراهم وتملقهم لأنهم أصبحوا ملكا ، ورأى أن يضرب أحدهم بالآخر ، وبالفعل فقد وقعت معركة بين المسلمين والمجر عند إحدى الطرق المؤدية إلى إيطاليا عبر جبال الألب ، وفى نهاية المعركة هجم الملك كونراد بعساكره على مابقى من أعدائه وقضى عليهم جميعا ، وقد قضت هذه المكيدة العسكرية على الأمل الأخير للمسلمين وادى تعرضهم للهجمات من جميع الأطراف إلى طردهم من السهول ، وكان أسقف مدينة غرينوبل Grenoble المدعو ايزارن أحد أبرز قادة الحملة الصليبية المحلية التى أعادت النظام الإقطاعى المسيحى إلى وادى ايزير Isere وبعد التجاء المسلمين إلى أعالي الوديان بقوا محتفظين بسيطرتهم على سلسلة جبال الألب عدة سنوات أخرى وخاصة على المعابر الوعرة فيها^(١).

وقد أورد أرسلان فى كتابه تاريخ غزوات العرب ذكر تلك الحادثة التى أدت إلى القضاء على العرب وسببها أن المسلمين على حد زعمه كانوا يسلبون النساء والأولاد والخيول ، وقد انضم إليها أفاق يدعى إيمون Aymon طمعا فى الغنائم فوقعت فى أيديهم امرأة بارعة الجمال فاستأثر بها إيمون فنازعه عليها أحد زعماء العرب وانتزعها من يده^(٢) فقرر إيمون الانتقام منهم فاتصل بأهل البيروفانس وأصحاب الكلمة العليا فيها سرا لطرد العرب من البلاد فكتبوا أمرهم واستنفروا الناس ، واجتمع الأمراء والزعماء وقادوا الأهالى وهاجموا العرب سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م وكان المجر قد اكتسحوا الألزاس ، وصارت جميع البلاد تحت خطر احتلالهم ، ففكر كونراد أمير بروجنديا وسويسرا وفرنشكونتى ودوفينه فى تدبير حيلة للتخلص من العرب والمجر فكتب إلى العرب كتابا يقول فيه : أن لصوص المجر قد سمعوا بخصب الأراضى التى فى أيديكم وهم عامدون إلى انتزاعها منكم فتعالوا لى لنزحف إليهم معا ونبيدهم وفى نفس الوقت كتب إلى المجر قائلا لهم : لماذا ينازع بعضنا بعضا والمسلمون هم الذين بأيديهم أخصب البقاع فتعالوا لى لنزحف إليهم ونطردهم وحينئذ أنا أجعلكم فى مكانكم

(1) Victor de saint . Genis : op. cit., P. 148 .

(٢) أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

واتفق مع الفريقين وعين مكانا للقائهم والتحمت الحرب بينهما ولم ينج منهم إلا القليل .

ولكن برغم تلك الحيلة المدبرة للقضاء على العرب والمجر بقى جانب من جبال الألب والبروفانس الدوفينه تحت يد العرب الذين كانت ترد إليهم الامدادات عن طريق البحر^(١) .

وفى تلك الفترة كان على عرش دولة الإسلام فى الأندلس الخليفة عبد الرحمن الناصر (الثالث) منذ عام ٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ ، ويبدو أنه كانت تربطه علاقة مع أوتو الكبير ملك الفرنجة وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة^(٢) ، وقد جاءت تلك العلاقات نتيجة للغارات البرية التى كان يشنها المجاهدون الأندلسيون على سواحل بلاد الفرنجة الجنوبية ، وعلى الرغم من أن نشاط هذه الجماعات البحرية كانت لا تتبع ولا تنتهى لدولة معينة وإنما هى عبارة عن مزيج من المسلمين القادمين من إفريقيا والأندلس مع بعض المتطوعة المتضمنين إليهم . إلا أن الإمبراطور أوتو الكبير اعتبر الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر مسؤولا عن تلك الأعمال التى قام بها هؤلاء البحريون ، وطلب منه فى رسالة شديدة اللهجة أن يضع حدا لتلك الأعمال ، وقد رد عليه الخليفة الناصر برسالة مماثلة عام ٣٣٩هـ / ٩٥٠م وبعد أعوام قليلة عاد الإمبراطور أوتو وبعث برسالة أخرى إلى الناصر على يد راهب يدعى جورز June de Gorze^(٣) .

ويبدو أن تلك الرسالة قد تضمنت نيلا من الرسول ﷺ فرفضوا تسليمها للناصر وأرادوا من الراهب التنازل فى التفاوض فى هذه الأمور الدينية ولكنه رفض فما كان من الناصر إلا أن أرسل رسولا من قبله إلى الإمبراطور أوتو يدعى رثمونندو -Rece-mundo ويطلق عليه العرب اسم ربيع بن زيد (كما جرت عادة المستعربين فى

(١) أرسلان : غزوات ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) أوتو الكبير أو العظيم مؤسس الامبراطورية الرومانية المقدسة والتس ضمت إيطاليا والمانيا واستمر حكمه من ٣٢٥ - ٣٦٢هـ / ٩٣٦ - ٩٧٣م للمزيد انظر عاشور : أوروبا ، ج-٢ ، ص ٢٩٨ .

(٣) نسبة إلى دير جورز . Goizer الذى كان ينتمى إليه الراهب بالقرب من مدينة متر Metez .

قرطبة أن يتخذوا أسماء عربية إلى جانب اسمهم المسيحى) ثم عاد الرسول إلى قرطبة بناءً على تعليمات الإمبراطور الجديد فتخلى الراهب عن عناده وتنازل على استصحاب الرسالة التى فيها نيل من الرسول واستقبله الناصر أحسن استقبال^(١).

والغريب أن مؤرخى العرب لم يذكروا شيئاً عن قضية احتلال العرب لتلك المناطق أو عن السفارات المتبادلة بين الطرفين ، ولكن ابن خلدون والمقرئ أوردوا عبارات وإشارات مختصرة يذكران فيها أن ملك الإفرنجية وراء البرتات أرسل رسولا وهدية إلى الناصر^(٢) وتلك العلاقات التى كانت بين الطرفين تدل دلالة واضحة على ما كان لرجال البحر الأندلسيين من نشاط فى حوض البحر المتوسط إلى درجة جعلت كلا من إمبراطور بيزنطة وإمبراطور الدولة الغربية يتوسط لدى الخليفة الأندلسى لكى يحد من نشاطهم^(٣).

وفى هذا الصدد يذكر أدوارد بارتيه : أن أوتو الأول Otton I قد أجرى مفاوضات غير مجدية مع خليفة قرطبة لكى يسحب العصابات الإسلامية من جبال الألب ، يعد أن وطد سلطته فى إيطاليا وبدأ أوتو الأول سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م يعد العدة من جديد للقيام بهجوم ضد المسلمين ، ولكن هذه الحملة لم تتم إلا أنها بقيت واردة^(٤).

ويؤكد الدكتور طرخان : أن الإمبراطور أوتو نتيجة لالتماس أمير سويسرا الألمانية هرمان Hermann قام بتعويض دير كور عن الخسائر التى لحقت بأمالك الدير نتيجة اجتياح المسلمين^(٥).

وإذا ما نظرنا إلى الاجتياحات العسكرية فى منطقة جبال الألب نرى أن دور

(١) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧١ - ٢٧٤ . أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٣ . المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول ، ص ٣٤٢ .

(٣) العبادى : دراسات ، ص ٢٧١ - ٢٧٤ .

(4) Edouard Baraitier : op. cit., PP. 110 - 111 .

(٥) طرخان : المسلمون ، ص ٢٢٠ .

المسلمين فى مناطق جبال الألب قد جرى تضخيمه ولكن الوقائع الثانية تتحدث على نحو كاف لتظهر التزييف^(١) فى تاريخ تلك الحقبة .

ونحن نعلم من هم الذين تعرضوا لدير نوفاليز Novalais فى وادى سوز Suse فلقد هوجم الدير ثلاث مرات ، ومنذ الهجوم الأول سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦م لجأ الرهبان إلى مدينة تورينو فى إيطاليا ولم يعودوا إلى وادى سوز إلا حوالى عام ٣٩١هـ / ١٠٠٠م . كما أن الهجمات على الحجاج المتوجهين إلى روما تمت البرهنة على حدوثها عدة مرات سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ، ٣١١هـ / ٩٢٣م ، ٣١٧هـ / ٩٢٩م ، ٣٢٥هـ / ٩٣٦م . وفى سنة ٣٢٩ / ٩٤٠م أقاموا مخيما فى سان موريس - Maurice - d'Aoune - Aaint وفى قاليه (Valais) وذلك لمراقبة المسافرين عبر ممر غران سان برنار (Grauid - Saint Beruard) ثم عادوا إلى نفس المكان سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م حيث فرضوا لأول مرة ضريبة على العابرين وعدوا سادة جبال الألب فى الحدود ما بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا^(٢) .

وإذا تتبعنا منطقة السافوى Savay منذ بداية هجمات المسلمين نرى أن تلك المنطقة بحكم موقعها بين وادى نهر الرون وقمم جبال الألب تعرضت طيلة قرن تقريبا لهجمات المسلمين القادمين من إفريقيا وصقلية والأندلس مع أولئك المهاجمين المنطلقين من بعض المعسكرات التى كانت عبارة عن حلقات وصل موجودة إما على الشواطئ أو على تلال البروفانس ، وكان هؤلاء المهاجمون يتميزون بخفة وسرعة الحركة سواء على الخيل أو فى المراكب ، ويشنون تلك الغارات للسلب ، وكانت هذه الغارات ذات نتائج بالغة السوء على الأرياف والقرى أكثر منها على المدن المسورة، وإن كان لا يحسن بنا أن نبالغ كثيرا . فإذا استثنينا بعض المدنات وسير بعض الأساقفة فإن الأبحاث التاريخية الخاضعة للقواعد العلمية السليمة تؤدي إلى نتائج حاسمة حول

(١) وهذا اعتراف ثابت من قبل الكاتب ، على مدى تزييف تلك الحقبة من التاريخ على يد أولئك المؤرخين الذين قد يكونون إما رهبانا متعصبين وإما مؤرخين متحيزين .

(2) Parlucien Musset : op. cit., PP. 164 - 165 .

هذه الفترة من تاريخ السافوى Savay فالأبراج الإسلامية ليست معاصرة للفترة التي كتبت فيها تلك المدونات ، كذلك يجب أن نحترس من استعمال بعض العبارات كما يفعل بعض المؤلفين الذين يختبئون خلف المصادر العائدة للقرن التاسع عشر وهي عبارات خاطئة ومتجنية مثل تعبير « العصابات العربية » أو « الغزوات الهمجية المدمرة التي اجتاحت السافوى وحولت المناطق الآهلة إلى صحارى » وهكذا وللرد على ذلك نقول كيف نفسر والحالة هذه عودة الحياة وعودة النمو السكاني وعودة النشاط الاقتصادى والإدارى على نحو سريع بعد تلك الغزوات الإسلامية ، ولا يجب أن ننسى بأن الشهادات هي شهادات الضحاي والمهزومين وهم يكونون في العادة في حالة اضطراب مما يجعل أية إشاعة مهما صغر حجمها تبث موجات من الرعب تحمل السكان على اللجوء وقتيا إلى القلاع الحصينة والغابات وقمم الجبال^(١).

وكانت السافوى أقل تأثرا بغزوات المسلمين من تأثر بعض المناطق التي اجتاحتها الغزوات الهنغارية العابثة في الفترة الممتدة من سنة ٢٨٦ - ٣٤٤هـ / ٨٩٩ - ٩٥٥م^(٢).

ويؤكد هذا مولر^(٣) حين يقول أن هناك الكثير من الإشارات المادية التي تدل على استقرار المسلمين في أنحاء سويسرا المختلفة ، فقد وجدت كتابة عربية على حجر في كنيسة القديس بطرس مونتجو St. Pierre-Montjoux في فاليه . وفي منطقة لزان مكان يعرف باسم برج المسلمين La Tourdes Sarrazins ، وهناك حائط ينسب إلى المسلمين في مدينة ففلسبرج Fflisburg وفي منطقة ديفلى يوجد كهف منسوب للمسلمين وعلى أحد صخوره رقم ٢٣ بالحروف العربية ، كذلك في المقاطعات المجاورة لمدينة بازل Basel بقايا أسماء عربية تحف بالطرق الرومانية القديمة ،

(١) وهذا اعتراف صريح شهدوا به على أنفسهم .

(2) Jean Prieuret Autres : la savoie desorigines Al'an 1000 . P. 357 .

(٣) طرخان : أوروبا ، ص ٢١٧ .

وهى التى يسلكها العرب فى غزواتهم^(١).

ويؤكد ذلك أيضا فيكتور دى سانت جينس : أن المسلمين احتفظوا بسيطرتهم على سلسلة جبال الألب عدة سنوات وخاصة فى المعابر الوعرة . ولقد علموا السكان تسجيل المساحات الأرضية أى الطوبوغرافيا وتحسين مستوى استغلال المناجم واستخراج الملح ومازال ذكرهم فى جميع نواحي السافوى قائما حتى الآن^(٢).

أما عن نهاية المسلمين فى سويسرا فتذكر الروايات أن أوتو الأول Otton 1 بدأ يعد العدة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م للقيام بهجوم ضد المسلمين وهذا الهجوم كان أوتو قد قرره منذ عدة سنوات ولكنه لم يتم ، ويبدو أن هناك حوادث أدت إلى التعجيل بخروج المسلمين والتآمر ضدهم . فعلى أثر مقتل القديس مايول Mayel راهب مدينة كلونى Cluny^(٣) ومقتل العديد من الحجاج والمسافرين بدأت الحملة ضد المسلمين خصوصا لأن هذا الراهب كان ذا مكانة رفيعة فى الأوساط الدينية وغير الدينية لذلك جمع الرهبان مبالغ كبيرة من المال لتمويل الحملة ، وجرت مفاوضات واسعة النطاق

(١) طرخان : أوروبا ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

Victor de Saint Genis : op. cit., P. 153 .

ويقع الكاتب سهوا رغم حرصه ويذكر مآثر الحضارة الإسلامية وآثارها فى البلاد المفتوحة ومحاولتها ترك بصماتها الواضحة فى تعليم أهل تلك المناطق وترقيتهم وثقافتهم . وهنا نسوق رأى عاشور الذى يذكر أن هناك فريقا من المشككين فى ماضى العروبة وحاضرها وربما مستقبلها فيمثل الجانب الجانب الهدام الذى لا يرى فى ماضى الحضارة الإسلامية ولا فى حاضرها إلا عجزا ولا فى مستقبلها إلا ظلاما .

عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ١١ .

(2) Victor de Saint Geins . op. cit., P. 153 .

(١) ظهرت الحركة الإصلاحية الكلونية فى النصف الأول من القرن العاشر فى منطقة اللورين حول متزوليج ثم ظهرت مع أقليم اللورين حركة إصلاح جديدة فى حوض الرون وأسس ديرا جديدا فى كلونى سن ٢٩٨هـ / ٩١٠م ، وسرعان ما اشتهر دير كلونى وانتشر هذا النظام الديوى فى غرب أوروبا ، وأصبح للأديرة الكلونية ورجالها قوة عظيمة ونفوذ واسع عند منتصف القرن ١١م . لذلك كان لمقتل القديس مايول راهب مدينة كلونى شأن وأهمية عظيمة فثار الجميع لمقتله ، وتكتلوا للوقوف فى صف واحد لمحاربة المسلمين أنظر عاشور : أوروبا والعصور الوسطى ، ج١ ، ص ٣٤٢ .

لجمع الكلمة والعمل على إخراج المسلمين من جبال الألب ومن البروفانس . نظرا للغموض المحيط بتاريخ مقتل الراهب مايول فإنه من الصعب تحديد الفترة التي تم جلاء المسلمين فيها ، وتشير بعض الدراسات والتقديرات إلى أن أسر مايول قد جرى ليلة ٢٢/٢١ يولية الموافق ٣٦٢هـ / ٩٧٢م وأن الهجوم على المسلمين استمر طيلة سنتين أثر ذلك وقد استهدف الهجوم الكبير المعقل الرئيسى فى فراكستيوم^(١) .

وتزعم ذلك الهجوم الكونت غليوم الذى أطلق عليه غليوم المحرر بالاشتراك مع حاكم توران Turin وفوركالكييه Forcalquier حملة عسكرية على معاقل المسلمين فى فريجوس واستطاعوا إلقاء قراطة الألب فى البحر عام ٣٦٢ - ٣٦٣هـ / ٩٧٢ - ٩٧٣م (ويقصد بذلك العرب)^(٢) .

أما فرديناند : فيوضح عملية القضاء على المسلمين فيذكر أنه انتظمت عمليات مطاردتهم فى منطقة درورنس العليا Haute - Durance قرب مدينة سيسترون فضم حاكم مدينة بوفرون Beuvron قواته إلى قوات روبرو Roubaud شقيق غليوم حاكم مدينة أفينون Avignon وقام الاثنان بارتكاب مذبحه شرسة فى صفوف المسلمين^(٣) وطورد الهاربون منهم حتى نهري بوش Buech وساس Sasse وانصرف قادة آخرون إلى تنظيف مجرى النهرين ، ثم هوجمت منطقة نيس Nice وانصرف ومنطقة فيليفراش Villefranche حيث يوجد للمسلمين معسكرا آخر يدعى فراكسينه الصغير توجه غليوم وروبو نحو فراكسينه الكبير Grand Frascinet وبدافع من ثقتهم بما آثاروا من رعب فإن المسلمين لم يولوا أمر الحراسة اهتماما كافيا فلقد استقروا فى المنطقة منذ ثمانين عاما بل قد ولدوا ونشأوا هناك ولا يشعرون إلا أن تلك الديار هى ديارهم وأنهم بين أهلهم ، وهذا دليل باعتراف الكاتب على روح التسامح وسرعة الاندماج مع أهالى البلاد .

(1) Edouard Baratier : op. cit., P. 110 - 111 .

رينو : الفتوحات ، ص ١٨٥ .

(2) Paul Guichonnet : Histoire et civilisations des Alpes . P. 180 .

(٣) على ماذا يدل ارتكاب تلك المذابح الشرسة بين صفوف المسلمين ؟

ويروى أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة أن حراس المعقل كانوا يثلهون بلبع الورق فعمد المهاجرون إلى كم خيولهم حتى لا يفضح صهيلها وجردهم وفي الفجر شن المهاجمون حملتهم المفاجئة فاعملوا السيف في البعض واعتقلوا البعض الآخر ، وكان عدد الأسرى كبيرا لدرجة أن كل جندي من المهاجمين حصل على عبد منهم^(١) . ثم وزعت الأراضي على السكان بعدما أعيدت إلى الكنائس أملاكها القديمة^(٢) .

أما موجز تاريخ دارغينيون Draguignon فيذكر أن استمرار بقاء المسلمين في تلك المناطق استمر قرابة مائة عام ، وفي أواخر القرن العاشر قرر غليوم كونت البروفانس أن يذل كل ما في وسعه لطرد الغزاة العرب فحشد عساكره على مقربة من دارغينيون كما يروى ونجح في طرد المسلمين من جنوب غالة وبعد طردهم ساد الأمن في منطقة البروفانس وما حولها^(٣) .

أما تاريخ فريجيوس فيذكر المؤلف أنه في سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م تمت هزيمة المسلمين وطردهم نهائيا من حصونهم وفي سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م بدأ الأسقف ريكولف بإعادة بناء وترميم المدينة التي خربها المسلمون^(٤) .

أما أرسلان فيرى أن نهاية المسلمين في تلك المناطق جاءت بعد مقتل القديس مايول ٣٦٢هـ / ٩٧٢م فقد كان لهذا الحادث صدى عظيم في الأقطار وضع المسيحيون الصغار والكبار وهبوا طالبين الأخذ بالثأر وكان في نواحي سيسترون Siste-ron في قرية يقال لها نويرس Nayers رجل يقال له بوبون Bobon كان قد استنفر الناس لتخليص البلاد من العرب فانتهمز غضبهم لمقتل مايول وجمع كلمتهم وبنى حصنا في نواحي سيسترون Sisyeron بإزاء حصن كان ينزله المسلمون لمراقبة

(١) وهذا مثل على الغدر المتأصل في طباعهم .

(2) Fernand Nathen : op. cit., P. 44 - 45 .

(3) E. Poup. F. Mineur : Petite Histoire de Histoire de Draguignon . P. 4.

(4) Y. A. H. Hubenas : Histoire de Frejus P. 260 - 261 .

تحركاتهم حتى ينقضى عليهم فى أول فرصة ويقتحم أول ثلثة وحاول المسلمون أن يعرقلوا مساعيه فلم يفلحوا وكان الحصن الذى فى المسلمون على رأس جبل يقال له بيتراينيه Petra Empia وبينما الفريقان ويداور كل منهما الآخر إذ اغتصب قائد حصن العرب زوجة الحرس الموكول إليه باب الحصن فانتقم البواب عن هذه الفعلة (١) بأن عرض على بوبون ومعه رجاله بأن يفتكوا بالمسلمين ، وهكذا تم هذا بمساعدة بوبون بدور رجاله الذين وجدوا الباب مفتوحا فدخلوا وذبحوا المسلمين وهم غافلون .

أما الرواية الأخرى فتذكر : أن الذى جمع كلمة الأهلين وثار بهم على العرب رجل يقال له غليوم فكسبوا العرب بياتا فى جميع المراقع التى كانوا يحتلونها واستأصلوا شأنهم (٢) .

ويرى رينو : أنه من المحتمل أن المسلمين غادروا سويسرا خلال النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى وأن رجال الدين قد انبروا فى شتى البقاع لإثارة الحماس ضد المسلمين ومطاردتهم ، وأسر عدد كبير منهم ونجاح فريق من الإفلات من أيديهم .

ويرجح أنه فى عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م لم يعد للمسلمين صولة فى سويسرا أو فى مناطق الألب إذ كانت القلعة تعتبر عاصمة للممتلكات الإسلامية فى فرنسا وشمال إيطاليا وسويسرا وهى مشمولة برعاية خليفة قرطبة (٣) .

وهكذا خرج المسلمون من بلاد الدوفينه وأصبح خلاص مملكة البروفانس قريبا ويرجح أن سقوط حصن اكستيوم قد تم عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م وكان قد بقى هذا الحصن مدة ثمانين عاما أو أكثر بيدى المسلمين وبعد المركز الأساسى لجميع المسلمين المنتشرين داخل فرنسا وشمال إيطاليا وسويسرا ، فقد قام غليوم بتوزيع ما كان من أموال ونفائس فى تلك المناطق بأيدي المسلمين على معاونيه وكان المسلمون

(١) ويدور فى رأى أن هذه قصة مفتعلة لا اعتقد أنها تشكل سببا رئيسيا لتكتل أهل البلاد وأخراج المسلمين .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ . رينو : ص ١٨٧ .

(٣) رينو : الفترحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ١٩٠ .

قد جلوا عن مدينة ريز في الألب السفلى وقامت الكنيسة بالاستيلاء على الأراضي التي كانت بأيدي المسلمين وذلك لأن رجال الدين المسيحي وعلى رأسهم الأساقفة قد ناولا نصيبا كبيرا من تلك الأراضي^(١) وبمدها صار الكونت مكانة كبيرة في قلوب الناس وأطلق عليه اسم كبير في التاريخ وهو « أبو الوطن » .

ولكن برغم سقوط تلك المناطق إلا أنه بقيت جماعات عربية أو جيوب عربية في جبال الألب بعد تاريخ سقوط فراكتيوم فقد وجدت آثار للمسلمين في أرض أنطيب أو عين الطيب Antibes حيث نزل المسلمين هناك سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م وأخذوا بعض الرهبان أسرى .

وفي عام ٤١٠هـ / ١٠١٩م غزت جماعة مهم مدينة أربونة ، وفي عام ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م نزل مسلمون أندلسيون جزيرة لارين Lerin أمام سواحل غالة الجنوبية واستاقوا عددا من الرهبان فذهب رئيس دير سان فكتور في مرسيليا إلى الأندلس لافتدائهم^(٢) .

وكان بعض أمراء الأندلس يشنون الغارات البحرية على البلدان المسيحية وبقيت غارتهم تتوالى ولا تغيب .

وهكذا استمر الوجود الإسلامي في هذه المناطق رغم كل الأحداث السابقة وذلك يرجع إلى النشاط الإسلامي الكبير في بلاد الأندلس خاصة في عصر الحجابة حيث كان للمنصور ابن أبي عامر دور كبير في هذا المجال ، ولم يستطع ملوك النصارى أن يستردوا أنفاسهم أو يتنفسوا الصعداء إلا بعد استعادة أراضيهم وخروج المسلمين منها ،

(١) استيلاء الأساقفة ورجال الدين وبهالكهم على الأراضي يدل على روح الجشع والطمع التي غلبت على الذين يطلق عليهم رجال الدين ، في الوقت الذي كانوا فيه رجال الاطماع وهذا يدحض الفكرة التي انتشرت عن المسلمين في هذه الآونة .

(2) Limitws Probables de la congu ista arab enla gordillera pirenaic .
P.237 .

أرسلان : ص ٢٤٥ . رينو : إسماعيل ، ص ١٩٩ .

وكذلك الذين تولوا الحكم من بعد المنصور مما أدى إلى ثبات الوجود الإسلامى فى هذه المناطق ، وجعل فرنسا تهتم اهتماما بالغا بأساطيلها البحرية وتصمم على ضرورة الثأر من المسلمين والقضاء عليهم أينما كانوا فتجح المسيحيون الممثلون فى الإمارات النصرانية الشمالية فى القضاء على الإسلام وأهله فى دولة الأندلس .

وعلى هذا النحو امتد النفوذ الإسلامى فى أوروبا الجنوبية والوسطى وأعالى الراين وسويسرا الشمالية وهى أمضى ما وصل إليه المسلمون فى قلب أوروبا ثم اعقبت حركة المد تلك حركة انحسار فى جميع الجهات وأن لم تتم فى وقت واحد بل على فترات مختلفة .

(١) طرخان : المسلمون ، ص ٢٣٤ ، ريتو : الفتوحات ، ص ١٩٤ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثامن

أثر الحضارة الإسلامية في غرب أوروبا

أولاً : في الميادين المعنوية والثقافية .

ثانياً : في الجوانب المادية .

تمهيد :

يبدو لكل باحث بصير مدى ما أخذته أوروبا عن الشرق والحضارة الإسلامية في كل ميادين الحياة في العلوم والآداب والفنون والصناعات ، ويرى الكثير من المنصفين أنه حتى علوم الإغريق والرومان لم تصل أوروبا في عصر النهضة إلا عن طريق الترجمات العربية إذ أن الأندلس كانت بير شك هي أول ميدن امتزجت فيه العناصر العربية والأوروبية فاستطاعت أوروبا عن طريق الذين بقوا في الأندلس أو عبروا جبال البرتات أن تعرف الكثير عن حضرة العرب والإسلام على أساس ما تعلمته أوروبا من العرب المسلمين سواء عن طريق الفتح أو التجارة أو البعثات العلمية ، وليس بغريب أن تترك الحضارة العربية بصماتها في كل من الأندلس والبرتغال وفرنسا وإيطاليا وسويسرا والبروفانس وأن تظهر هذه البصمات في كل مظاهر الحياة في اللغة والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والثقافية والفكرية وفي الفنون كذلك .

وقد ترك المسلمون من الآثار ما هو أعمق بكثير مما يبدو في الظاهر ، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا أنه ينبغي أن نلتمس هذا الستار الخفى دائما إذا أردنا أن نلتزم طريق الصواب في تفسير أى ظاهرة كبيرة أو صغيرة لا في الماضي فحسب بل في الحاضر الواقع . إذ أن كل هذه الظواهر إما ذات مباشرة للإسلام والحضارة العربية أورد فعل غير مباشر لها^(١) ، وفي هذا الصدد يذكر غوستاف لوبون « أن العرب الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تتجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية كانوا مدينين لنا ، وأئمة لنا ، ستة قرون وظلت ترجمات كتبهم ولا سيما العلمية منها مصدرا وحيدا للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون ...

وإذا كانت هناك أمة تقرر بأننا مدينون لهم بمعرفتتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب

(١) محمود على مكي : مدريد العربية ، ص ٥ - ٨ .

عبد العزيز الأهواني : اللقاء الحضارى في الأندلس ، ص ١١٣ .

هم تلك الأمة فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة^(١).

وهكذا تبدوا عظمة الحضارة الإسلامية التى استطاعت أن تكون للأمم تلك الثروات البشرية والعلمية التى استطاعت أن تكون للأمم تلك الثروات البشرية والعلمية التى أسهمت إسهاما كبيرا فى الحضارة والتى يرجع لها الفضل فى بعثها بين الأمم^(٢).

وأخيراً لقد كان تأثير الحضرة الإسلامية فى العالم الغربى المسيحى كبيراً خلال العصور الوسطى إذا انتقلت كثير من المؤلفات العلمية فى مختلف العلوم والفنون إلى أوروبا ، وترجمت إلى اللغات اللاتينية لذلك يعد الدور الذى قامت به الثقافة الإسلامية فى إثراء الفكر الأوروبى دوراً من أعظم الأدوار^(٣).

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هل كان للمسلمين الذين عبروا جبال البريات دور فى تكوين الحضارة الأوروبية وخاصة بعد أن استقروا فى بلاد الفرنجة وبعض بلدان إيطاليا وسويسرا ؟

إن كثير من المؤرخين يرون أن مسالك الحضارة الإسلامية إلى أوروبا اقتضت على الحروب الصليبية حيث أخذ الأوروبيون الصليبيون عن الشرق العربى ما راق لهم من حضارة الإسلام ، كما تأثروا بالحضارة الإسلامية فى جنوب إيطاليا وصقلية ، أما الأندلس فهى بوابة الحضارة الإسلامية إلى أوروبا غير منازع ، ولكن يجب ألا تغفل مسلكا آخر رئيسيا وهما وهو تواجد لامسلمين أنفسهم فى أوروبا الغربية بعد عبورهم جبال البريات ، وقد كان هذا التيار الحضارى فى ذاته قويا بل كان الاحتكاك فيه بين المسلمين والأوروبيين احتكاكا مباشرا لذلك سأستعرض هنا للمجالات الحضارية التى تأثرت أوروبا الغربية من خلال هذا الاحتكاك بصورة موجزة ولن أوفى هذه المجالات الحضارية المختلفة حقها من الشرح فى هذا الفصل الموجز وإنما اكتفى بالإشارة إلى أبرزها .

(١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٠ .

(٢) إبراهيم الشريقى : أثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا الغربية ، ص ١٨٢ .

(٣) أحمد على الملا : أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية ، ص ٧ .

أولاً: أثر المسلمين في الميادين المعنوية والثقافية:

أ - اللغة :

تأثرت أوروبا بالعرب تأثراً بالغاً ظهرت إثاره في مختلف ميادين النشاط الإنساني ، وكان من مظهر هذا التأثير دخول كلمات عربية كثيرة إلى اللغات الأوروبية المختلفة ، وكان دخول هذه الكلمات إما مباشرة من العربية ، أو عن طريق اللغة الإسبانية أو اللاتينية^(١).

ولقد تركت لغة العرب أثراً مهماً في فرنسا فيذكر سيديو « أن اللهجات السائدة لولاية أو فرن دولابه ليحوزان الفرنسيين محشوة بالكلمات العربية وأن أسماء الأعلام فيها ذات مسحة عربية » .

ومن الطبيعي أن تقتبس فرنسا وإيطاليا من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادي أكثر الاصطلاحات اللغوية .

ففي مجال البحرية نجد ألفاظاً عديدة مثل Admiral أميرال و Escadre اسكدار Boussole بوصله^(٢).

ولقد اقتبست جيوشها ألقاب ضباط جيوش المسلمين وتعايير وغي الحرب واستعمال بارود المدافع والقنابل والحراقات والقذائف ، وأخذت من حكومة بغداد وحكومة قرطبة التعابير الإدارية مثل - Tarit - Taille - Syndic - Aides - Gabele - Bazar - وأن يقلد ملوك الأسر الفرنسية العرب في شتى نشاطهم فيأخذوا عنهم اصطلاحات الصيد مثل Maute - Laisse - Curee - Tournoio - Chasse التي عددها علماء اللغة المعاصرون مشتقة من كلمة Torneamentium وأهم من ذلك كله اصطلاحات العلوم التي اقتبستها أوروبا من العرب في علوم الفلك المملوءة بالتعايير العربية مثل Zenith - (السم) - Azimuts - (النظير) - Nadiro

(١) جلال مظهر : حضارة الإسلام ، ص ٤٦٩ .

(٢) روبرت لوي : التأثيرات الشرقية والنهضة الاقتصادية في الغرب ، ص ١٥٢ .

وبالإصطلاحات العربية لاجزاء الأسطرلاب مثل Alancabuth - Alidabe وأسماء الكواكب مثل (الزهرة) - Althair (الغول) - Aghol (الدبران) - Aldebaran - rigel .

وكل مثل ذلك فى الرياضيات حيث أخذوا عن العرب مثل مصطلح Alcool وغير ذلك كثير ، ومثل فى علم الكيمياء حيث أخذت أوروبا المصطلحين Alkali وقل ذلك عن التاريخ الطبيعى والطب وغيره من العلوم^(١) .

لذلك كان التأثير العربى فى مجال العلوم تأثيراً واضحاً وبرز ذلك إذا ما تصفحنا قاموساً للاشتقاقات . حيث نجد ألفاظاً مثل Bazar - Cheque - Aval وغيرها مأخوذة عن العربية ، وفى اللغتين الإنجليزية والألمانية نجد قائمة الألفاظ المأخوذة عن العربية قد تقرب فى طولها من قائمة الألفاظ الفرنسية المأخوذة عنها ، وهى فى اللغة الإيطالية أطول كثيراً وفى اللغة الإسبانية أكثر^(٢) .

وفى الحقيقة أن اللغة العربية كان لها أثر عميق فى معظم اللغات الأوروبية فعدد الألفاظ العربية لو نظرنا كمثال فى اللغتين الإسبانية والبرتغالية أضخم من أن يتصوره عقل ، أما اللغة الإنجليزية ففيها وحدها ما يقرب من ألف كلمة مشتقة من أصل عربى منها حوالى مائتين وستين كلمة من الكلمات الشائعة الكثيرة الاستخدام فى الحياة اليومية .

وفى الواقع أن فى اللغات الأوروبية كلمات عربية عديدة ، وأن التاريخ يشهد على ذلك^(٣) .

ويبدو أن الجامعات الأوروبية أدركت أهمية اللغة العربية كلفة للعلوم والمعرفة فحرص بعضها على إدخال دراسة اللغة العربية منذ القرن الثالث عشر^(٤) .

(١) روبرت لويز : التأثيرات الشرقية والنهضة الاقتصادية فى الغرب ، ص ١٥١ .

(٢) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، ص ٣٨ .

(٣) زيفريد هوتكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٠ .

(٤) سعيد عاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .

وليست العبرة بكثرة تلك المفردات فى اللغات الأوروبية ولكن العبرة من دخولها وأثرها فى الحياة الاجتماعية والمقاصد النفسية لا مجرد دخولها فى صفحات المعجم ، فإنها لم تتمثل إلا على الألسنة إلا بعد أن تمثلت فى أحوال المعيشة ونوازع الإحساس والتفكير ، ومن هنا يعزى إليها من فعل الإيحاء والتوجى أضعاف ما يعزى إليها من فعل النقل والتلقين^(١) .

وكان لفرنسا دور هام حيث أقام المستعربون والرهبن منشأتهم وبثوا الثقافة العربية فى تلك الأرض ، وفى الوقت نفس اشتدت العناية بفنون المخطوطات كتابة وتطويراً لا نظير له فى الأصالة وقوة التعبير . كما أن التأثير فى النظم واللغة وفى تعاون الحضرة الأندلسية العربية بحيث كان القرن العاشر الميلادى يمثل ذروة تفوق الأندلس على العالم الأوروبى كله^(٢) .

ومن هذا المنطلق فإن أوروبا تدين بالفضل للإسلام والمسلمين فى شتى ميادين الحضارة التى تشهدها اليوم فما هى إلا أثر من آثار الحضارة الإسلامية انتقل إلى الغرب الأوروبى عبر المعابر الإسلامية المعروفة : بلاد الشام زمن الحروب الصليبية وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الأندلس ، ولعل ما يعيننا لإضافته إلى جانب تلك المعابر هو الأثر الحضرى الذى تركه المسلمون الذين اخترقوا القارة الأوروبية من خلال أرض الفريجة ووصلوا إلى ربوع فرنسا الحالية وسويسرا وإيطاليا وألمانيا ، وكانت لهم بصمات حضارية هامة لا تخفى تدين بها أوروبا للمسلمين حتى يومنا هذا ، وبذلك يكون لنا معبر رابع وهام لا يقل أثراً عن تلك المعابر الثلاثة التقليدية .

ولقد تفرعت هذه الميادين الحضارية فروعاً عديدة واختلفت هذه الآثار لذلك سنلقى الضوء فى دراستنا هذه على تلك الآثار الحضارية طبقاً لأهميتها ولعل الآثار الأدبية واللغوية كانت هى أول أثر حضارى للمسلمين .

(١) عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ، ص ٧٣ .

(٢) مانويل مورينو : الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ص ٤٣٩ .

ب - الآثار الأدبية :-

لم يقتصر أثر العرب الحضارى على الشرق فحسب ، بل كان تأثيرهم فى الغرب لا يقل خطورة وأهمية ولقد ظهر ذلك بوضوح فى الآثار الأدبية ، فقد تأثر الأدب الأوروبى فى العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة تأثراً واضحاً بموضوعات فى الأدب العربى ، ذلك أن الأوروبيين فى تلك العصور لم يجدوا ما يشفى غليلهم فى الآداب المعاصرة المجدية التى أعوزها الخيال الخصب فأتجهوا إلى شطر الأدب العربى المعروف بالخصوبة والإبداع^(١) وخصوصاً أنه جاء وقت على غرب أوروبا فى العصور الوسطى ضاق فيه الناس بتزمت الكنيسة التى حصرت تفكيرهم داخل دائرة ضيقة ، فأصبحوا يتطلعون إلى حياة علمية وفكرية أخصب وأكثر تنوعاً . وكان مفكروا العرب قد ضربوا مثلاً فريداً فى حرية الفكر ، وكان أن ولى الأوروبيون وجوههم شطر حضارة العرب وانصرفوا إلى دراسة علومهم فى حماسة بالغة ما ترك آثاراً واضحة فى الفكر الأوروبى ، وأدى إلى إثارة غيره من رجال الدين المسيحيين على إقبالهم للغة العربية وآدابها^(٢).

يقول جب : « إن ما اسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بشقاقتها وفكرها العربى فى شعر العصور الوسطى »^(٣) ونشأ سواء أظهرت فى هذا الشعر أو النشر مواد أخذت عن مصادر عربية أم لم تظهر ، ولقد ظهرت نزعة جديدة فى الآداب الأوروبية فى شعر التروبادور^(٤) مما جعل الكثير يظنون أن هذ الظاهرة جاءت عن طريق

(١) معيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٢) لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ص ٢٨ . أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٥ .

(٣) شعر التروبادور أجمع مؤرخى الآداب الأوروبية أنه أقدم شعر غنائى عرف فى أوروبا وهو الذى نظمته شعراء التروبادور البروفانسيون (نسبة إلى بروفانس فى جنوب فرنسا) وول هؤلاء الشعراء هو جيوم التاسع .

دوق أكيثانيا وكونت بواتيه .

مهير القلماوى ومحمود مكى : الأدب ، ص ٥٣ - ٥٤ .

الاقتباس من الأدب العربى الذى امتاز بالرومانتيكية البالغة فى الغزل الرقيق والثناء ونحو ذلك .

والمعروف أن الأندلس امتاز بنوع خاص من الشعر الرقيق بدا واضحا فى صورة الموشحات والأزجال ويمتاز هذا اللون من فنون الشعر بصدق تمثيله لخواطر الإنسان . ولقد وجدنا لونا مشابها لهذا الشعر الأندلسى الرقيق ظهر فى شمال إسبانيا وفى جنوب فرنسا فى إقليم البروفانس منذ أواخر القرن الحادى عشر ، ومن ثم بدأ يشق طريقه إلى مختلف الدول الأوروبية وبخاصة فى إيطاليا .

بل أن العلماء اثبتوا أن غزل الفروسية الذى انتشر بعد ذلك فى ألمانيا كان متأثرا إلى حد كبير بأشعار التروبادور التى تغنى بها فرسان فرنسا ، وأن موازنة سريعة بين الأزجال الأندلسية التى كتبها الشاعر ابن قزمان فى أوائل القرن الثانى عشر وبين أشعار التروبادور فى البروفانس لتوضح لنا أن الأخيرة صيغ معظمه بالأوزان نفسها التى صيغت بها أشعار ابن قزمان . هذا فضلا عن وجود رأى يذكر أن أشعار التروبادور مأخوذة من الشعر الأندلسى (١) .

فإذا كان الزجل الأندلسى قد استند إلى موسيقى يوقع عليها فإن شعراء التروبادور فى البروفانس قد أخذوا يوقعون أشعارهم على آلات موسيقية .

وهذه الأدلة تشير إلى أن شعر التروبادور إنما جاء وليد مؤثرات عربية أندلسية جعلت بعض الباحثين يؤيدون رأى القائل بأن لفظ تروبادور ليس إلا تحريفا للفظ العربى دور طرب ، ولا سيما أن لغة البروفانس شأنها شأن كثير من اللغات الأوروبية تقدم الصفة على الموصوف إليه على المضاف ، فقالوا طرب دور التى حرفت إلى تروبادور (٢) .

(١) سعيد عاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ - ٤٩١ ، زكى حسن : تراث الإسلام ، ج ١ ، ص ١٩٠ .
لطفى عبد البديع ، الإسلام فى أسبانيا ، ص ١١٧ .

(٢) عاشور : أوروبا ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .

إذن لقد كان تأثير الشعر العربي الأندلسي في شعر المدجنين المعروفين بالتروبادور في اللانجدوك والبروفانس في القرن الثاني عشر الميلادي واتسعت دائرة هذا التأثير حتى شملت الشعر الأوروني المسيحي المعروف إلى عصر النهضة^(١) .

وهكذا تأثر الشعر الغنائي اللنجدوكي أو البروفنسالي بالشعر الأندلسي الإسلامي كثيراً . وفي هذا الصدد يذكر المستشرق الإسباني ج ريبيرا أن هناك توافقاً في أبنية المقاطع وفي القافية المتكررة في أواخرها . وأن التوافق الملحوظ بين الأثر المبكرة في الشعر الشعبي العربي الأندلسي وبين أغاني التروبادور في إكيتانيا (اقطانية) والبروفانس في العصر الوسيط لا يمكن أن تفسر على أنها محض مصادفة .

كما يؤكد ذلك^(٢) ما ظهر في جنوبي فرنسا على حين غرة وهو ضرب من الشعر جديد في صناعته وله موضوع جديد ونفسية اجتماعية جديدة . وفي الأدب الفرنسي القديم شيء قليل يمكن اعتباره ممهداً لهذا التطور على أننا نرى من جهة أخرى أن في هذا الشعر الفرنسي الجديد بعض وجوه شبه قوية بينه وبين نوع خاص من الشعر الذي كان معاصراً له في الأندلس . ثم هل هناك أقرب إلى العقل والبيدهة أن نظن أن الشعراء الأقدمين في إقليم البروفانس كانوا متأثرين بالنماذج العربية^(٣) .

نعم لقد أثر المجتمع العربي الإسلامي في ظهور شعر التروبادور ، وكان ظهور هذه الطبقة من الشعراء وليد تأثيرات عديدة مباشرة ناتجة رأساً عن المجتمع العربي الإسلامي ذاته . فالتروبادور شعراء الحب والحرية وأباء الأدب الأوروني الحديث ، وقد ظهر هذا النوع في مقاطعة البروفانس بجنوبي فرنسا تلك المقاطعة التي اندمج فيها العرب مع أهل البلاد اندماجاً كبيراً وكان نتيجة ذلك أن تغير هذا المجتمع تغيراً جذرياً .

وفي الحقيقة أن ظهور هذا اللون من الشعر البروفانسي كان تعبيراً عن مجتمع حر

(٢) ليثي بروفنسال : الشعر العربي والشعر الأوروني الوسيط ، ص ٢ .

(٣) زكي حسن : تراث الإسلام ، ج١ ، ص ١٥٧ .

(١) زكي حسن : تراث الإسلام ، ج١ ، ص ١٥٧ . لطفى عبد البديع : الإسلام في أسبانيا ، ص

١١٨ . ستانودك : تاريخ الحضارة : ترجمة محمد عثمان ، ص ٦٧ .

اعتنق أخلاقيات ومبادئ العرب كالشهادة والمروءة والنجدة وبذل الذات فضلا عن مختلف المعنويات العالية والمثالية العظيمة التي كان قد بدأ يدين بها وهي المقومات التي نشأ عنها هؤلاء الشعراء . وجدت ذلك كله تحت تأثير عربي إسلامي لا مرية فيه .

وفي ذلك يذكر جب : أنه نشأ في جنوبي فرنسا في نهاية القرن الحادى عشر هذا النوع من الشعر الذى سلك مسلكا جديداً يتميز بصفات نفسية واجتماعية جديدة وتصوير خيالى ، وأنه ليس فى الأدب الفرنسى إلا دلائل قليلة تشير إلى اتجاه هذا التطور ، ومن ناحية أخرى فإن الشعر الجديد كان شديد الشبه بنوع من الشعر الموجود فى الأندلس العربية ، فأى شىء أدعى إذن من الناحية الطبيعية لأن نفترض أن الشعر البروفانسى لم يكن مجرد تقليد للشعر العربى الأندلسى ولا محاكاة للنماذج العربية فقط ، وإنما أهم من ذلك أنه كان نتيجة عملية تطور طويلة فى داخل المجتمع البروفانسى ذاته استغرقت عدة قرون . أى عملية تطور فى الوجدان ومكونات النفوس والمعنويات ، على أن عملية التطور هذه ، لم تكن وليدة العبقريّة البروفانسية وحدها ولم تكن نابعة من سكانها الأصليين وحدهم وإنما كانت خاضعة لتأثيرات خارجية طبعت البيئة البروفانسية بطابع جديد ، وهى تأثيرات اجتماعية أصلها عربى إسلامى لا شك فيه . والواضح أن هذه الطبقة من الشعراء لم تظهر إلا عندما تمكن المجتمع البروفانسى تحت عملية الانصهار التى خضع لها من أن يخرج من ظلمات القرون السود وأن تشحذ عبقريته وتشرّب نفسه نحو مثاليات جديدة .

إذن كان ظهور شعر التروبادور نتيجة عملية تطور بطيئة فى جنوبي فرنسا بدأت من النصف الأول من القرن الثامن وبعد مرور حوالى ثلاثة قرون ونصف قرن كان المجتمع البروفانسى قد استعد لأن يخرج مثل هؤلاء الشعراء النبلاء ، على أننا ينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن ظهور هذه الطبقة من الشعراء الفرسان ، نبلاء المقصد ، أصحاب مثاليات ومعنويات عليا ، كان مستحيلا فى ظل الظروف الاجتماعية الأصلية التى كانت سائدة هناك فى البروفانس لأن جميع شواهد التاريخ قد دلت بوضوح على أنه

لم ينشأ مثل هذا الأدب فى ذلك الوقت فى أى جزء من أجزاء أوروبا فيما عدا إسبانيا وصقلية وكاتنا تحت النفوذ العربى الإسلامى المباشر^(١).

إذن كان لتأثير العرب فى تلك المجتمعات فضلا عن انبهار الجماعات العربية المتعددة التى استقرت هناك مع السكان الأصليين ، فأدى ذلك كله إلى عملية تكوين مجتمع جديد مختلف تمام الاختلاف عن أى مجتمع أوروبى آخر .

والحق أن لانجدوك والبروفانس التى سميت فى عصر التروبادور بأرض الأغاني والرجال الأحرار كانت قد نجحت فى سيادة الاخلاقيات وهى فى الواقع نتيجة للتأثيرات العربية فمعنويات السكان وأخلاقياتهم وطريقة تفكيرهم وقوانينهم وعاداتهم وفروسياتهم وشهامتهم وآدابهم وحسن ذوقهم وجميل تصرفاتهم لم تكن بحال من الأحوال لتنسب إلى تأثير آخر غير تأثير لامجتمع العربى الإسلامى سواء فى ذلك الذين استقروا واندمجوا مع السكان الأصليين ، أم الذين أقاموا عند حدودها فى إسبانيا عبر جبال البرتات .

أما الأثر العربى فى النشر الأوروبى فليس هناك مجال للشك ، فاهتمام الأوروبيين بالدراسات والكتب العربية العلمية صحبه اهتمام آخر بالمؤلفات الأدبية عند العرب وبصفة خاصة القصص الخرافية ذات المغزى الأخلاقى والتى تتخذ من الحيوان موضوعا لها . وهذا اللون من الأدب الشرقى عرفه الشعر العربى قبل أن يظهر فى الأدب الأوروبى بقرون طويلة ، وكان الأدب الأندلسى أول ما تأثر بالأدب العربى عن طريق ترجمة الكثير من القصص والمواضيع وبالتالي انتشر من هناك إلى أوروبا بوجه عام ولقد استمرت روح الأدب العربى فى الأندلس حتى بعد جلاء العرب^(٢).

ويذكر جب : أنه قل من يستطيع أن ينكر ما تمتاز به آداب الجنوب الأوروبى من انبساط وخيال خصب يرجع إلى تأثير تلك الآداب بالمؤثرات العربية كما يرجع إلى ما

(١) جلال مظهر : حضارة الإسلام ، ص ٤١٩ .

(٢) جلال مظهر : حضارة الإسلام ، ص ٤٢٢ . انجيل جتالت بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة

حسين مؤنس ص ٥٠٧ . لطفى عبد البديع : الإسلام فى إسبانيا ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

خلفته الثقافة العربية من آثار في أهل الأندلس . وقد لاحظ الباحثون أوجه شبه واضحة بين القصص العربي الخيالي وبين بعض القصص التي عرفت في أوروبا في العصور الوسطى ، واستطاع الأدب العربي أن يؤثر تأثيراً واضحاً في القصص الأوروبية ليس فقط في العصور الوسطى بل الوسطى والحديثة ، وتعتبر هذه القصص تعبيراً في مجموعها عن صدى الثقافة العربية الإسلامية في الفكر الأوروبي وهو الصدى الذي كان نذيراً بحدث وانقلاب هام في تاريخ الأدب الغربي الحديث لأنه أدى إلى مولد القصة الحديثة . ويرجع البعض أن المقامات العربية أثرت في الأخرى في الأدب الأوروبي في العصور الوسطى ومستهل العصور الحديثة^(١) .

ويذكر زكي حسن : أن الشعر الشعبي المعروف قد عرف أيضاً في إيطاليا وأنه للشعر العربي الفضل في إثارة العبقرية الشعرية في الشعوب الرومانية الجنوبية فأن ما تدين ب أوروبا في العصور الوسطى للنثر العربي لا يكاد يكون موضعاً لجدل ذلك بأن الإقبال على المؤلفات العربية من فلسفية وعلمية قد تبعه اهتمام بأنواع أخرى من الآداب العربية وخاصة ما كان منها موضوعه لحكايات ذات مغزى أخلاقي أو ما كان موضوعه القصص والخرافات وهي التي يتألف منها الجزء الأكبر من الآداب العربية الراقية ، وهناك ذبوع جملة عناصر من القصص العربي أو الشرقي نقلت بطريق الشفاه إلى بقاع واسعة من أوروبا . وظل القوم هناك إلى زمن قريب ينظرون إلى الشرق كأنه مصدر تلك القصص الشعبية التي ازدهرت في أوروبا طوال القرن الثالث عشر وكان ازدهارها على أشكال مختلفة^(٢) .

ولقد كان التأثير العربي في القصص الفرنسية واضحاً وبارزاً ، وهكذا كان نتيجة للاتصالات المستمرة بين مسلمي الأندلس وأوروبا وجدت ضروب من الرفاهية والذوق السليم وفوق ذلك كله أصول الفروسية العربية وأدب المجاملة الرفيع الذي قدر له أن

(١) عاشور : ج٢ ، ص ٤٩٤ - ٤٩٧ .

(٢) زكي حسن : تراث الإسلام ، ج١ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ . جلال مظهر : حضارة ، ص ٤٢١ . انجل جنثال بالثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٦١٤ . لطفى عبد البديع : الإسلام في أسبانيا ، ص ١٣٣ - ١٣٩ .

ينتقل من قرطبة إلى البروفانس إلى اللانجدوك ثم إلى غرب أوروبا كلها .

ويوضح ريبيرا Julian Ribera : أنه يوجد في إسبانيا إلى جانب اللغة العربية لغة عامية رومانية يتحدث بها قسم كبير من أهل الريف والمدن . ويرى أن هناك آثار قيام شعر من شعر الملاحم إلى جانب الشعر الغنائي الوصفى المعروف في الأدب الأندلسي الكلاسيكي المجدد . وهناك مؤثرات متبادلة بين شعر الملاحم الفرنسي وشعر الملاحم القشتالي .

وأنه لم يكد يمر قرن على ظهور التروبادور للبروفنسيين الأوائل حتى ازدهر في أوروبا الغربية وفي فرنسا نفسها شعر الفكاهة والازجال والأغاني . وقد قدر لهذه المقاطع الموريسكية أن تكون ذات ذبوع كبير في إسبانيا نفسها وأن تظهر في شعر من جاورها .

إذن كان نتيجة للجواري أن تداخلت الثقافات العربية الإسبانية والمسيحية الغربية ابتداء من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، فإن المسلم به اليوم أن إسبانيا كانت تعد في نظر أوروبا المحيطة بالبحر المتوسط موردا للحضرة اللطيفة والحياة المترفة الناعمة كما لو كانت معهداً فنيا للعادات الراقية والذوق الجميل^(١) .

ويؤكد ذلك محمد رجب البيومي حيث يذكر نقلاً عن جوليان ريبيرا : أن قراءة وتأمل ودراسة ديوان ابن قرمان فنيا ولغويا وعروضيا تكشف لنا الكثير من مفردات اللغة الشعبية التي كان يتفاهم بها المستعربون الإسبان وهي مزيج من العربية واللاتينية كما يؤكد وجود ملاحم شعبية أندلسية أثرت في الأدب العربي الأندلسي وجمعت الشعراء والأدباء إلى الأراجيز التاريخية .

وكان للمستعربين^(٢) دور كبير فقد لعب هؤلاء المسيحيون الأندلسيون الذين

(١) ليفي برونسفال : الشعر العربي والشعر الأوروبي الوسيط ، ص ٤٨ - ٥٣ . انجيل مثالث بالنتيا : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ .

(٢) لطفى عبد البديع : الإسلام في أمبانيا ، ص ٢٨ .

تعلموا العربية واحتفظوا بدينهم النصراني والذين عرفوا باسم Mozarabes وكانوا على ثقافة عالية واطلاع كبير فى اللغة العربية لعبوا دوراً كبيراً فى نقل بذور الثقافة الإسلامية إلى الممالك الشمالية ومنها انتقلت إلى أوروبا ولا ريب أن تبادل على هذا النحو أساساً لظواهر كثيرة فى تاريخ الشعر والأدب وتطوره^(١).

إذن كان للعبرية العربية الأندلسية أثر كبير فى تطور الأوزان الشعرية الغنائية إلا أن هذه التحسينات الفنية التى أدخلتها قوانين الأوزان الشعرية العربية على ذلك النوع الأدبى من الأغاني المعروف بالموشحات ، عاد القوم فأدخلوها على أغانيهم الشعبية التى استخدمت فيها العامية العربية والجليقية وعرفت باسم الزجل . ومن ثم نفذت تلك التحسينات الفنية كلها أخيراً إلى الشعر الذى قيل باللغة الجليقية وأخواتها . ويبدو أن ذلك الفن كان معاصراً للأوائل من شعراء البرবাদور وأن مقاومة بين هذه المقطوعات الشعرية وبين أوزان الشعر عند الأقدمين من شعراء الرومانس لتكشف لنا عن مشابهاة ذات أثر كبير^(٢).

وفى الحقيقة أن تأثير العرب فى الأدب والأخلاق والطبائع الراقية لا يخفى على منصف وفى هذا الصدد يذكر لوبيون « تخلص النصارى من همجيتهم بفضل اتصالهم بالعرب واقتباسهم منهم الطبائع النبيلة ومبادئ فروسيتهم التى منها مراعاة النساء والشيوخ والأولاد واحترام العهود والوفاء بالوعود » .

ثم يتساءل لماذا ينكر علماء الوقت الحاضر الذين يصنعون مبدأ حرية الفكر فوق كل اعتبار دينى تأثيراً العرب ؟

ويجيب بأنه لا يرى سوى جواب واحد عن هذا السؤال ، وهو أن استقلال الأوروبيين الفكرى لم يكن فى غير الظواهر ، وإنما لسنا أحرار الفكر فى الموضوعات وبنزاع لبعض الفضلاء أن من العار أن تكون أوروبا مدينة فى خروجها من دور

(١) محمد رجب البيومى : الإسبانيون يعترفون بثقافة الإسلام ، ٦٢٢ - ٦٣٠ .

(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، ج ١ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

الهمجية للعرب . ولكن من الصعب أن يحجب مثل هذا العار الوهمي وجه الحقائق^(١) .

ولعل ما يدل على مكانة العرب المكيّة في الصدد قصص الفرسان والفروسية التي كان يتغنون بها أهل فرنسا وجيرانها خلف عن سلف فقد كانت هذه القصص تكاد تكون الأسماء الوحيدة لعامة الشعب ، وإنما كان يعجب بتلك القصص ، وهاتيك الأخبار من سير الأبطال من كان يدعى نفسه ذا إحساسا مرهفا وتضائل كل تاريخ بجانبها وهزل كل أدب ما عداها .

وكان أكثرها شعرا ولهذه الشعر رواة اختصوا به يذهبون من بلدة إلى بلدة ومن قرية إلى قرية فينشدونها للجماهير . وكان لا يحتفل بعيد ولا بموسم إلا اندفع أولئك الرواة في إنشاد تلك القصائد عن سير أبطال الوطن . وكانت أكثر هذه السير تدور حول حروب المسلمين في غالة وعلى مجالدة الفرنسيين في دفع غاراتهم^(٢) .

وعموما فقد ضرب العرب الأمثلة العليا في الشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق والعفو عند المقدرة وقرى الضيف .

وهذا ينبغي أن نشيد بأن أول باحث أوروبي أشاد بالعرب في الحضارة الأوروبية ونوه بفضلهم على ثقافة عصر النهضة هو الأب اليسوعي الإسباني خوان أندريس Juan Andres (وقد كان من اليسوعيين الذين طردوا من إسبانيا سنة ١٧٦٧) . وقد نشر هذا القس المسيحي كتابا جليلا بالإيطالية في سبع مجلدات بعنوان (أصول كل الآداب وتطورها وأصولها الراهنة) وأكد في أن النهضة التي فاقت في أوروبا في كل ميادين العلوم والفنون والآداب والصناعات إنما كانت بفضل ما ورثته عن حضارة المسلمين .

ولقد أحدثت آراء خوليان ربييرا فيما بعد دوبا هائلا بعد أن أكد أن الشعراء

(١) لوپون : حضارة العرب ، ص ٢٩٦ - ٣٠٠ .

(٢) أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ .

البروفانسيين هم أول من عالج الشعر الغنائي في أوروبا ، ولم يفعلوا أكثر من تقليد نماذج الوشاحين والزجالين^(١) الأندلسيين الذين سبقوهم بقرنين على أقل تقدير .

وخلاصة القول : أن الأدب العربي في الأندلس قد أثر تأثيراً مباشراً في أوروبا فقد تعرض لتأثيرات عربية بشكل مباشر عن طريق المسلمين في أوروبا الغربية أو غير مباشر عن طريق ما تلقاه من الأندلسيين أو عن طريق التراث العظيم الذى ظل يغذى الثقافة الأوروبية بتيار مستمر لم ينقطع خلال العصور الوسطى^(٢) .

العلوم العامة :

كان أثر المسلمين واضحاً في شتى أنواع العلوم والمعارف ، فقد تفوقوا فيها وبرزوا ولم يعرف اعالم علماء بلغوا هذه الدرجة في إقبالهم على العلم ونشره كالعلماء المسلمين وكانت الرحلة في طلب العلم هي من السنن الحميدة في العالم الإسلامى ومن أقوى الأسباب التى أعانت على خلق البيئة الثقافية .

ولن نتعرض لتاريخ العلوم والآداب وإنما نذكر أن المسلمين لم يتركوا باباً من أبواب العلم إلا وطرقوه .

ففى مجال الشريعة فقد نبوا فى دراسة علم الفقه والحديث القرآن وعلوم وفى مجال العلوم العقلية والفلسفية نجد أن كبار الفلاسفة كانوا من المسلمين .

وفى مجال التاريخ فقد كان للتاريخ مكانة رفيعة تتجلى فى كثرة ما ألفوه .

وفى علوم اللغة فقد عناوا با منذ عصر مبكر وفاقوا كل من حولهم فى العلوم اللغوية من أدب وشعر ولغة وغير ذلك .

(١) عن الزجل فى الأدب الأوروبى . انظر انجل جنثال بالثيا : تاريخ الفكر الزندلسى ، ص ٦١٣ .
(٢) سهير القلماوى ودكتور محمود على مكى : الأدب ، ص ٤٣ . من مجموعة أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية .

وفى علوم الرياضيات نجد أثر العرب والمسلمين واضحاً سواء فى الحساب أو الهندسة أو الجبر أو حساب المثلثات أو الميكانيكا أو الفلك .

وفى علم الجغرافيا فإن فضل العرب والمسلمين على أوروبا واضحاً وتشهد عليه مؤلفاتهم الجغرافية الشاملة .

وفى مجال الطبيعة نقف على مدى تقدم العرب فى هذا العلم وما أفادته أوروبا من هذا التقدم .

وفى مجال الكيمياء وعلم الطب والصيدلة بلغ العرب شأنًا كبيراً أدى إلى تقدم العالم من حولهم .

ومن الواضح أن هذا التراث العربى العظيم فى مختلف العلوم التى ذكرنا كان له أثر كبير فى الية العلمية الأوروبية^(١) .

ثانياً : أثر المسلمين فى الحضارة المادية :

فى العمارة الأوروبية :-

بلغ الفن الإسلامى اسمى درجات الرقى والروعة وتأثرت العمارة الأوروبية فى اعصور الوسطى تأثراً بالغاً بالتقاليد المعمارية الإسلامية ، وكانت أولى المناطق تأثراً منطقة إسبانيا فى مقاطعات ليون وقشتالة وجليقية وقطالونيا ، وأقيمت فى ذلك العصر

(١) وللمزيد عن تلك العلوم التى نبغ فيها العرب .

انظر الحميدى : جذوة المقتبس - المراكشى : المعجب ، صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ، المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الأول - ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس . الضبى : بغية الملتبس . ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة . ابن بشكوال : الصلة . وانظر : عاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ولطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا . وغوستاف لوبون : حضارة العرب وهذه المصادر والمراجع على سبيل المثال لا الحصر . والمطالع فى كتب التراث الأندلسى يجد فيها بختته .

جملة من الكنائس أقامها المستعربون مثل كنيسة سان ميجل دة أسكالاد San Mi-guel De Escalade وستياجور د بنيا لبا Panalba - de - Santiago وعلى الرغم من محاولة المستعربين (وهم نصارى الإسبان الذين تعلموا العربية مع احتفاظهم بدينهم) من التخلص فى عمارتهم من التقاليد الإسلامية العربية إلا أنهم لم يستطيعوا اتمام أعمالهم بدوننا . أما أم مظاهر العمارة الإسلامية فى الانجازات المعمارية الأوروبية فتبدو فى النوافذ المزدوجة ، والعقود المنفرجة والعقود الثلاثية الفتات والعقود المفصصة أو المقصوصة Lobed auched . والعقود الصماء Blind arches والشرفات Cest-ings والكوابيل Consals والقباب Domes والقبوات Raults والزخارف المتعددة الألوان والمنحوتات المشطوفة Claped والمنحوتات الغائرة Incised وغير ذلك من العناصر والأشكال ، وسأجمل الحديث عن هذه العناصر باختصار .

العقود المنفوخة :

وى أكثر انتشاراً لذلك كانت عنصراً هاماً للعمارة الإسلامية ومن أمثلتها كنائس بوباسترو ، وسان خوان د لاينا San Juan de a Pena ومن الكنائس التى بناها المستعربون فى شمال إسبانيا انتقل العقد المنفوخ إلى غالة مثل سويلاك Souillac ثم إلى إيطاليا فى كنيسة سانتا مريان أن شلس Santa Maraincellis وفيرونا Verona ولقد اقتبس المعمار الأوروبى عنصراً زخرفياً متصلاً بالعقد المنفوخ وهو إحاطة هذا العقد بإطار مستطيل يوضح حدوده وو عنصر ابتكرته العمارة الإسلامية ونجد نظائره فى غالة وفى دير كلونى Cluny بالذات .

العقود الثلاثية الفتحات :-

انتشر استعمالها انتشاراً كبيراً لا فى الأندلس فحسب بل فى الكنائس الفرنسية والإيطالية وقد كان هذا العقد معروفاً قبل الإسلام ، أما فى العمارة الإسلامية العربية فمصدره فكرة هندسية بحتة ، وانتشر فى المغرب والأندلس ثم تسرب إلى أوروبا فى كاتدرائية سنت ياقب ، إلا أن هذا العقد انتشر فى فرنسا وتطور شكله حتى فقد صفته

الهندسية البتة كما فى كنائس سان فيدال Saint Vidal وفيين وفالنس Valence وعشرات غيرها ^(١) فى أواسط فرنسا وجنوبيا وريا ، ولا شك أن هذه الأماكن كانت مستقرة للمسلمين ^(٢).

العقود المفصصة :-

هى عقود قصت حوافها الداخلية على هيئة سلسلة من أنصاف دوائر على هيئة عقد من أنصاف فصوص ، وقد اشتق من شكل حافة المحارة ، وعم انتشاره فى المغرب والأندلس ومن هناك شق طريقه إلى فرنسا ، وإيطالى وإنجلترا ، وطر بمظيرين الأول هندسى بحث ، والثانى نباتى ، ومن أمثله كنائس مواساك Moissac ودير كلونى Cluny وكاتدرائية كلير مونت Clermont وفى جيرونده Gironde غربى فرنسا ، واتفظت جميع هذه العقود بطابعها الإسلامى ^(٣).

العقود المدببة :

انتقل العقد المدبب من العمارة الإسلامية إلى العمارة المسيحية وتطور تطوراً عظيماً بحيث أصبح مميزاً للعمارة القوطية ، وفطن المهندسون الأوروبيون إلى مزايا هذا العقد التى أتاحت الفرص لزيادة ارتفاعه مع الاحتفاظ بمناعته كما أتت الفرص لتوسيع فتحته اتساعاً كبيراً فاستخدموه بكثرة وحوروا فى أشكال رؤوس وحوافه تحويراً مختلف مظهره عن مصدر العربى الأصل ^(٤).

(١) سعيد عاشور : أوروبا ، جـ ٢ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ، أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧١ - ٧٢.

(٢) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧٢ - ٧٤ .

(٣) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧٤ .

(٤) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٣١٢ - ٣١٤ ، عاشور : أوروبا ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ - ٤٦٣ - أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٧٥ - ٧٨ .

العقود الصماء والعقود المنفرجة :

استخدمت العقود الصماء فى زخرفة الأبواب والواجهات والمحاريب فى العمارة الإسلامية وظهرت فى أشكال متشابهة ، ثم انتشر استعمالها فى مآذن الأندلس والمغرب ثم أصبحت عنصراً محبباً فى عمارة المدجنين ، ثم انتقل إلى العمارة الإنجليزية العقد المنفرج المسمى بالعقد التيودورى .

القبوات الوقاب :-

ولها أهمية كبرى بين عناصر العمارة والزخرفة الأوروبية ، فقد كان المتبع أن تستخدم المقرنصات المعقودة Squinches أو المثلثات الكروية Pendentatits لتحويل المربع إلى مئمن لتستقر عليها قاعدة القبة المستديرة ، ثم تطورت الفكرة الهندسية ، وبدأت آثار هذا التطور تظهر فى الكنائس المستعربة والإسبانية وكذلك اقتبست القباب العربية فى بناء القباب الفرنسية فى أواخر القرن الحادى عشر . وانتقل التأثير من القباب إلى القبوات واستخدمت أول ما استخدمت فى العمارة الأوروبية ، والحق أن العمارة الأوروبية اقتبست فى القرنين ٦ / ٥ هـ (١١ / ١٢ م) فكرة القبوات الوترية من مسلمى الأندلس وكان لا شأن عظيم فى أوروبا ، وابتكر البناء القوطيون فى فرنسا عنصراً معمارياً آخر ، وهو الدعامات المعقودة أو المنعزلة ، ولا يجوز الشك فى أن الفرنسيين قد اقتبسوا من العرب كثيراً من العناصر المهمة والزخارف المتعددة ، وأن تأثير العرب يتضح كثيراً فى الكنائس الفرنسية مثل كنيسة ماغلون . كما اقتبس الأوروبيون عناصر معمارية إسلامية أخرى فاستخدموا المشربيات وشرفات المآذن والأفاريز والجوامق والأبراج فى عمارات القرون الوسطى وقصورها وكنائسها ، ولقد كان للمدجنين وهم المسلمون الذين عملوا تحت سلطات الإسبان فضل فى التوفيق بين العمارة الإسلامية والعمارة المسيحية وفى الجمع بين الأساليب العربية والرومانسيكية والقوطية فى أسلوب واحد اتخذته البلاد الإسبانية طرازاً وطنياً وكان لهذا دور كبير فى تطور العمارة القوطية فى أوروبا الغربية^(١).

(١) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧٨ - ٨٠ .

أما الأبراج :

فقد انتشرت في أوروبا عن طريق عمارة المدجنين ومن أمثلتها ما نشاهده في أرغون Aragon وفي ترويل Teruel . وكان للمآذن الأندلسية أثر بالغ على أبراج الكنائس الأوروبية الغربية سواء من حيث أشكالها المربعة القاعدة ، الشاهقة الارتفاع ، أو من حيث امتداد الزخارف عليها من عقود مفصصة صماء متشابكة ونوافذ مزدوجة وكذلك أثرت هذه المآذن في أشكال الأبراج الإيطالية مثل ما يشاهد في كنيسة فيرونا .

وكذلك اقتبس الأوروبيون الشرفات في العمارة الحربية الأوروبية بعد ظهورها في العمرة الإسلامية العربية بأكثر من أربعة قرون ونصف كما نرى مثلاً في فرنسا في قصر جايالارد Chatwau وفي شاتيون Chatillon ولم تلبث الشرفات البارزة أن انتشر استعمالها في القصور والحصون الفرنسية والإنجليزية^(١) ومن المعروف أن الكواويل والمساند قد استخدمت لكلى تتكى عليها أطراف العقود المنفوخة وقد عم استخدامها في داخل العمائر الإسلامية داخل بيت الصلاة أى رواق القبلة وفي خارج أسوار المسجد وول الصحن ، وتحت الشرفات البارزة وقد تنوعت أشكالها ، وكان لهذا العنصر المعماري مظهر فخم اجتذب أنظار البنّاء الأوروبيين فاستخدموه في كنائسهم .

وتعتبر فرنسا ثاني موطن بعد إسبانيا لهذا العنصر وانتقل بأشكاله العربية التقليدية إلى منطقة الأوفرلى Auvergne كما في كنائس كليرمونت فراند - Clermant Ferrand التي تظهر فيها التأثيرات الإسلامية واضحة ، مما يؤكد انتشارها في العمارة المسيحية الفرنسية في العصور الوسطى .

وقد امتاز الفن الإسلامى بالعناية بالزخارف المعمارية وانفرد بها بين الفنون سواء من حيث تصميمها وتنفيذها أو من حيث موضوعاتها وأساليبها ومن أهمها :

(١) زكى حسن : تراث الإسلام ، ج٢ ، ص ١٣٩ .

تعدد الألوان :

فقد استخدمت المواد المختلفة الألوان في زخرفة المباني الإسلامية منذ أوائل القرن الثاني الهجرى واستخدمت في بناء عقود رواق القبلة ، وانتشر بعد ذلك استخدام المواد المختلفة الألوان في زخرفة الأبواب والقباب والواجهات والمآذن والأرضيات انتشاراً واسعاً . كما امتازت الزخارف الإسلامية المتعددة الألوان دون نظيرتها البيزنطية بتنسيق أشكالها في رسوم هندسية من مثلثات ومربعات ومعينات ودوائر ومضلعات نجمية تارة منفردة وتارة متداخلة^(١) ، ولقد اقتبس الأوروبيون الأسلوب العربى الإسلامى بشكل أعم وأبقى ، ويلاحظ ذلك في مدن ميلانو وفلورنسة وبيزا وجنوا وفي كنائس فيين (Vienne) وفالنس (Valence) وتجمع أشكال الزخارف المختلفة الألوان في مجموعة الكنائس البديعة في مدينة البوى Le Puy بفرنسا التي اقتبست الكثير من العمارة الإسلامية وازدهرت المباني العربية الإسلامية منذ القرن الأول الهجرى بالزخارف المنقوشة على الجص والحجارة والخشب ، وحدق رجال لافن تلك الصبغة وكانوا يميلون إلى أسلوب النحت الغائر ، وحاز هذا الأسلوب إعجاب رجال الفن في إيطاليا وفرنسا فاقبسوا أصول المتبعة ومن أمثلته الفرنسية دير مواساك وكاتدرائية تولوز^(٢) .

كما ابتكر رجال الفن الإسلامى نوعاً آخر من النحت يعرف بأسلوب النحت السلسى وتحت الزخارف فيه مسطحة مقطوعة الواف قطعاً مستقيماً لا انحناء ولا تقوير فيه بحيث يمتد على أرضية مسطحة فتظهر وكأنها مستقلة منبسطة على الأرضية وكأننا لصقت بها ولم تحت معها في قطعة واحدة من الخشب أو الحجارة ، وانتشرت هذه الطريقة في إيطاليا وفرنسا كما في سانت ماريا Santa Maria وسان بترو - San Petro ولعل من أكثر الآثار الأوروبية إعجاباً وتعبيراً عن التأثيرات الإسلامية مجموعة الكنائس التي بنيت في مدينة البوى Puy في وسط فرنسا في الربع الأول من القرن السادس الهجرى (١٢ م) .

(١) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٨١

(٢) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٨٣ - ٨٤ . عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة ،

ص ٣١٥ - ٣١٦ .

وقد تجمعت فى هذه المباني فى البوى جملة من العناصر الإسلامية لم يتجمع مثلاً فى أى أثر من الآثار الأوروبية فيعثر فيها على أمثلة عديدة من العقود المنفوخة والعقود الثلاثية الفتحات والعقود المفصصة مرسومة ومتسعة بالدقة الهندسية ، وتلقى فى آثارها وواجهات مبانيها وعقودا تناوب الألوان بطريقة منظمة ، بالإضافة إلى مجموعة من التيجان الحجرية المنحوتة نحتاً غائراً وفوق هذا اتخذت هذه التيجان أشكالاً فريدة ابتكروا رجال الفن الإسلامى ، وكل تلك الآثار طبعت بطابع أندلسى انتقلت من الأندلس إلى قطلونيا ومن هناك إلى أوروبا الغربية ومن منطقة البوى انتشرت أشكال التيجان العربية ، وتظهر كاتدرائية البوى بمجموعة مبانيها ومقرنصاتها كأنها بناء إسلامى عربى المظهر والتكوين وتنفرد فى ذلك بين جميع المباني المسيحية فى العالم الأوروبى ، وفوق هذا كله فالطابع الإسلامى موجود على أحد بواباتها حيث لا تقتصر الحلية على العناصر الزخرفية بل تعدتها العناصر الكتابية فذاك جملة عربية مقروءة واضحة وهى (الملك لله) وهى أول مرة تكتب فيها جملة عربية بالخط الكوفى كاملة ومقروءة ومفومة على أثر معمارى أوروبى ، لذا يعد نموذجاً فريداً واقتباساً جديداً يشهد على أن العمارة فى غربى أوروبا مدينة بدين كبير للعرب الذين عبروا البرتات^(١) .

الصناعات الفنية الأوروبية :

شهد علماء الآثار بعبقرية المعماريين المسلمين والعرب وأشادوا بابتكارهم واقتفوا أثرهم فى النهضة الأوروبية ، واعترفوا بعبقرية الفنان المسلم فى شتى أنواع الصناعات من فنية وزخرفية ، هذه العبقرية التى يظهر فيها الحسن والاتقان والاجادة ، إذ أنتج الصناع المسلمون مجموعة من التحف الفخارية والزخرفية والزجاجية والخشبية والعاجية والمعدنية بكل أشكالها بالإضافة إلى ما أنتجوا من أقمشة ثمينة وسجاد فاخر حتى وصلت منتجاتهم إلى أسواق أوروبا فاثارت الغيرة عند الصناع الأوروبيين الذين حاولوا محاكتها . فكانت تلك المحاكاة أول لقات التطور ، ثم أخذ رجال الفن الأوروبى

(١) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٨٥ - ٨٧ .

يستكشفون أساليب جديدة فى الصناعة ويضيفون الزخارف بصورة جديدة ويلبسونها صبغة أوروبية ، ولكنها ظلت تشف عن مصدرها الأصلى المقتبسة منه إلا وهو المصدر الإسلامى العربى .

أ- أثر الزخارف العربية :-

الزخرفة العربية وزخرفة التوريق العربية هما أسلوبان عربيان . وقد شاع هذا النوع من الفنون الإسلامية بصورة كبيرة حتى لقى إعجاباً فى الفنون الأوروبية وحاولا محاكاته ، وقد تنوعت أشكاله حتى شملت جميع التركيبات الهندسية من دوائر وحلقات ومثلثات ومضلعات ومعينات منبسطة ومتداخلة ومتراكبة^(١) .

وقد انتشر أسلوب التوريق بصورة كبيرة وشاع بين الأوروبيين وأكبر دليل على ذلك هذه الزخارف النباتية انتشارها واستخدامها فى الفنون الأوروبية من أنها مازالت تسمى فى إسبانيا باسم التوريق وقوامها الأغصان النباتية والأوراق والأزهار تنسق فى نظام هندسى بحيث تملأ الفراغات وتكرر وتتعاقب إلى ما لا ناية .

وقد أطلق الأوروبيون على الزخارف التقليدية التى تبدو بارزة بروزاً بسيطاً اسم الأرابيسك أى الزخارف العربية ، ومن المرجح أن الواجهات فى المباني الرخامية فى بيزا وجنوب فلورنسا وغيرهما من المدن الإيطالية قد اقتبست ذ الزخارف عن طريق العلاقات التجارية الوثيقة التى سادت فى العصور الوسطى بين إيطاليا والعالم الإسلامى ، ثم أن الغرب الأوروبى أخذ عن العرب استخدام زخارف الأرابيسك البارزة الموجودة فى العمائر القوطية ، وقد ظهر الأرابيسك فى الستائر الحجرية التى تملأ فتحات النوافذ وهى مأخوذة عما بالمساجد من نوافذ مفرغة^(٢) .

(١) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) هاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ . زكى حسن : تراث الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

ب - الخط العربى :-

كان للموضوعات الزخرفية العربية أثر عميق فى الفنون الأوروبية التى اقتبست اقتباساً واسع المجال من الأساليب العربية ، وأثل الخط الكوفى مكانة ممتازة بين الموضوعات الزخرفية العربية ، وقد بلغ إعجاب الأوروبيين بالزخارف الخطية العربية مع جهلهم بمعناها الشيء الكبير ، ولقد بهرهم مظهرها وجمال أنظار العرب والمسلمين وشاركهم الأوروبيون فى ذلك . وقد تعددت أشكالها فى إسبانيا أما فى فرنسا فنجد الكتابة الكوفية مسجلة فى عدة كنائس فى دير موساك وفى كاتدرائية بور دو - deaux ، ولم يقتصر الخط الكوفى على رجال النحت والعمارة فى أوروبا بل تعداهما إلى ميدان الفنون فى إيطاليا ، ولعل أغرب ما حدث من تأثيرات الخط الكوفى أنه كان حافزاً لتطور الحروف اللاتينية فاتخذت لها حلية زخرفية وصورت على غرار الحروف الكوفية ورسمت بأسلوب التكرار والامتداد والتشبيك والتعقيد ثم اختلطت بعد ذلك بالكتابة اللاتينية ولقد بلغ إعجابهم بالنقوش الكتابية العربية أن سكوا عملات ذات نقوش عربية وتواريخ هجرية كما التزم الملك اوففا Offa ملك مرسية (٧٥٧ - ٧٦٦م) ، بجنوب شرق إنجلترا . أن يدفع جزية للبابا كل عام بالدينار المقوش الذى يحمل كتابة عربية منقولة نقلاً دقيقاً تحوى عبارات دينية إسلامية تنص على شادة التوحيد كما تسجل التاريخ الهجرى ١٥٧ هـ ، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى . أما المثل الثانى فهو صليب إيرلندى مطلى بالبرونز البراق يرجع عهده إلى القرن ٩م وكتبت فى وسطه عبارة البسملة بالخط الكوفى^(١) .

ومهما يكن من أمر فإنه من الواضح أن استعمال الحروف العربية فى أغراض الزخرفة من الأشياء التى أخذها الغرب الأوروبى عن المسلمين وكانت ذات مسحة عربية بحتة .

(١) من تقليد غرب أوروبا للنقوش العربية المنقوشة . انظر بحث روبرت لويز : محمد وشارلمان إعادة نظر ، ص ١٠١ .

وهكذا أخذ استعما الحروف العربية بزاد انتشاراً في أوروبا مما فتح الطريق أمام الفن العربى ليغزوا أوروبا من أوسع طريق^(١).

جـ - الخزف والزجاج :

كان للخزف مكانة ممتازة وكذلك الزجاج وكانت منتجاتهما تثير الإعجاب فى أوروبا وخاصة الخزف ذ البريق المعدنى Lustred Pottery ، وفى هذا النوع ترسم الزخرفة بملح معدنى على سطح لامع ثم تثبت بتعريضها للنار بطريقة تكسبها بريقاً معدنياً يختلف لونه بين أحمر نحاسى وأصفر ضارب للخضر وتنبعث من هذا البريق ألوان قوس قزح ، ولقد كان له قيمة كبيرة فى العالم الإسلامى ، وقد استمرت صناعة هذا النوع من الخزف قائمة فى الأندلس وفى مدينة بلنسية Valencia التى كانت المركز الإسلامى لصناعة الخزف فى الغرب والثى صنعت فيها نماذج متعددة من أبدع ما أخرجته المصانع ، وسرعان ما اشتهر هذا الخزف المعدنى مما جعل كبار الأمراء فى إيطاليا وفرنسا يوصون مصانعهم بصنع أوانى خاصة بهم . ومن مسلمى الأندلس اقتبست إيطاليا أسلوب الخزف المعدنى ونشأت فى مدينة جويو مصانع نهضت بهذه الصناعة كذلك قلد الإيطاليون صناعة الخزف المعوف بطريقة الرسم بالحفر Graffito^(٢) وكانت هذه بداية لاشتقاقات أخرى من أساليب صناعة المسلمين ، فنشأ مثلاً الصناعة المعروفة باسم (البارو) Albarello وربما اشتق هذا الاسم من الكلمة العربية (البرنيه) التى تطلق على الأوانى (البرطمانات) المخصصة لحفظ

(١) عن أول من كتب عن استخدام الأوروبيين الغربية للحروف العربية راجع :

Long Perier (Adriende), De L'emploi des Caractres arabes sars L'ornementation ches les peuples chre' tiens de l'ocadent . Revue archoo logique II annee - 1845, PP. 696 - 706 .

(٢) كلمة إيطالية تستعمل غالباً فى صيف الجمع والمقصود بها رسوم ترسم باليد على الحجر أو الجص أو الجص ثم تحفر بالحك والمكشط ، كما يقصد بها أحياناً أسلوب الزخرفة قوامه رسوم سوداء على أرضية بيضاء أو العكس على أن يحصل عليها فى الحالتين برسم الأشكال وتظليلها . للمزيد انظر زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

الأدوية وازدهرت هذه الأواني في مدينة فاينزا Faenza الإيطالية^(١).

وهكذا اقتبس الأوروبيون صناعة الخزف واشتملت المتاحف الأوروبية على كثير من الأواني الخزفية التي صنعت تقليداً للأواني الإسلامية ، وسهل معرفة هذا التقليد من حروف الكتابات العربية الممزوجة بالزخارف فقد حرف صانعوا الخزف في غرب أوروبا هذه الكتابات التي اتخذوها أساساً للزينة حين اقتباسها في زخرفة كنائسهم وقصورهم وساهم مسلموا الأندلس في صنع الأواني الخزفية خصيصاً للبابوات والكرادلة والأسر النبيلة في البرتغال وفرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية^(٢).

ويدو أن آنية الخزف قد أثارت غيرة في نفوس الإيطاليين فحاولوا محاكاتها حتى نجحوا في القرن ١٦م في صناعة نوع من الخزف ذى البريق المعدنى أطلق عليه اسم (ماجوليك) نسبة إلى جزيرة ميورقه التي قام بها مصنع عربى هام ذلك النوع من الخزف ، ومازالت المتاحف الأوروبية تحوى الكثير من الأواني الخزفية التي صنعت تقليداً للأواني الإسلامية^(٣).

د - التحف الزجاجية :

تعد إيطاليا وخاصة البندقية الأولى في صناعة الزجاج المتأثر بالأساليب العربية ، وسرعان ما تفوق الصناع الإيطاليين في صناعة الزجاج المطلى بالمينا ، ومن البندقية انتشرت طريقة الصناعة الفنية إلى أوروبا التي يظهر أثر الفن الإسلامى عليها واضحا^(٤).

وهكذا نظراً لابتكار العرب للأواني الزجاجية المذهبة والمطلية بالمينا أصبح للزجاج العربى قدر كبير فى بلاد أوروبا الغربية وقد حاكى الأوروبيون وخاصة بعض المدن

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٢٨٨ . أحمد فكرى : التأثيرات ص ٩٠ .

(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، ج٢ ، ص ٤٢ - ٤٩ .

(٣) عاشور : أوروبا ، ج٢ ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧ .

(٤) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٩٠ - ٩١ .

الفرنسية والإيطالية الإنتاج العربى ، وبلغت البندقية أوجهها إلا أن إنتاجها لا يمكن أن يرقى إلى مستوى النماذج الشرقية التى أخذت عنها فى جمال شكلها ودقتها وسلامة ذوقها^(١).

هـ - الصناعات المعدنية :

أحرز الصناع المسلمون تقدماً ملحوظاً فى صناعة المعادن وبلغت مهارتهم مبلغاً فائقاً وأنتجوا مختلف التحف من أوان وصينيّات وصحون وأباريق وشمعدانات واتفنوا صناعتها من البرونز وتكفيّتها بالذهب والفضة والنحاس وبلغ فن تكفيّت المعادن عند المسلمين غايته من الاتقان وظل محافظاً على هذه المنزلة حقبة طويلة ، ومن التحف التى تمثلت فيها هذه الصناعة أصدق تمثيل تحفة تعتبر من أجمل ما وصل إلينا وهى إبريق من النحاس مغطى كله بأشكال مكفّنة بالفضة ، وجسم الإبريق وعنقه مضلعان لهما عشرة أوجه وفيهما مناطق أفقية عديدة ومسافات محجوزة ومقلّمة مصنوعة من النحاس المكفّت بالذهب والفضة وجميع ذلك موجود فى المتحف البريطانى^(٢).

وكانت أول الاقتباسات الأوروبية من هذه الصناعة المعدنية أشكال الأباريق البرونزية أو النحاسية ، وكانت التحف الإسلامية المعدنية تلقى رواجاً كبيراً فى بلاط الملوك والأمراء ونتيجة لذلك ظهرت بمدينة البندقية مصانع للتحف النحاسية اتخذت صناعتها من التحف الإسلامية نماذج استوحوا منها أساليب الصناع ، واتباع الفن الأوروبى أسلوباً مماثلاً للتكفيّت الإسلامى واستبدلوا بالأسلاك الفضية والذهبية لدائن زجاجية من المينا الملون ، فأصبح فن أخراجا مقتبساً من فن التكفيّت المعروف باسم Clossi-sonne أو Champlev Inlay^(٣).

(١) عاشور : ج٢ ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧ . زكى حسن : أثر الفن الإسلامى فى فنون الغرب ، ص ٦١٥ - ٦١٧ .

(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، ج٢ ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٩١ . زكى حسن : تراث ، ج٢ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

د - الرنوك :

وقد اتخذ المسلمون الشعارات والشارات التي عرفت بالرنوك فكانوا يرسمونها على أملاكهم وأثاثهم وأدواتهم وأوانيهم على هيئة دائرية أو بيضاوية أو مخصصة ينحصر في داخلها صورة زهرة أو طائر أو حيوان يرمز على وظيفة الأمير أو الحاكم ، وكانت تلون بألوان براقية ومن المسلمين انتشرت هذه الشعارات إلى أوروبا الغربية وأصبح لكل أسرة شارة أو رنك خاص بها^(١).

ز - النسيج :

ذاعت في أوروبا في العصور الوسطى شهرة المنسوجات الإسلامية ودور الطراز التي كانت منتشرة في البلاد الإسلامية العربية والتي كانت تنتج من المنسوجات أنواعاً فاخرة متموجة بالألوان ومنقوشة بخيوط الذهب والفضة وأخذت مصانع النسيج في أوروبا تعمل على تقليده ، وكان هذا التقليد ينبع من مصادر ثلاثة مصدر مباشر نتيجة لاستيراد الملوك والأمراء الأقمشة الفاخرة من بلاد المشرق ، والمصدر الثاني ناشئ عن استمرار المراكز الصناعية الإسلامية في إنتاجها فترة طويلة من الزمن وفقاً للتقاليد الإسلامية حتى بعد خضوعها للحكم المسيحي .

٣ - تأثير المصانع البيزنطية بالأساليب الإسلامية وإنتاجها أقمشة تحمل الطابع العربي راجت في أوروبا .

ومن الأمثلة البارزة على التأثيرات العربية العباءة التي نسجت في صقلية للملك روجرز الأول في سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٤م . وقد قلد الإيطاليون النسيج الحريري الذي كانت تنتجه المصانع العربية وأصبحت لهذه الصناعة مراكز في إيطاليا حرصت على أن تستمد أسلوبها الصناعي والزخرفي من المنسوجات العربية ومن أمثلة ذلك حلة فاخرة من الديباج الموشى بخيوط الذهب وهي من صناعة إيطاليا بلغت صناعة الأقمشة

(١) زكى حسن : أثر الفن الإسلامى فى فنون الغرب ، ص ٦١٦ - ٦١٧ . أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٩٢ .

الحلّة بزخارف إسلامية حد كبيراً من الاتقان بحيث يتعذر التفرقة بين الأقمشة الإسلامية والإيطالية . وظلت شهرة المنسوجات قائمة .

ومن المهم أن كثيراً من الأسماء المتخذة في اللغات الأوروبية مشتقة من أسماء بعض المدن الإسلامية التي كانت مشهورة بصناعة النسيج مثل فستيان Fustian مشتقة من الفسطاط ، والدامكس Damascus مشتقة من دمشق والموسلين Musso-lin مشتق من الموصل والبلد اكيو Balacchino مشتقة من بغداد وكذلك تأثرت صناعة السجاد الأوروبي من صناعة السجاد الإسلامية سواء في إيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا^(١) .

ونتيجة لنمو التجارة مع الشرق زاد طلب المنسوجات الحريرية الفاخرة ازدياداً سريعاً في أوروبا وطفئت الأقمشة الإسلامية النفيسة بكميات وافرة على أوروبا ، حتى أدرك الغربيون أهميتها فأقاموا مصانع النسيج في مراكز مختلفة وبدأوا جدياً في منافسة المصانع الشرقية . وكان العرب قد أقاموا في صقلية مصانع شهيرة للنسيج ظلت عامرة بعد أن تقوض سلطان المسلمين في الجزيرة فتعلم الإيطاليون في هذه المصانع أسرار النسيج الإسلامي ودقائقه ونقلوه إلى بلدان إيطاليا المختلفة وحفلت المنسوجات الحريرية الإيطالية في القرن الرابع عشر بالزخارف الشرقية حتى الكتابات العربية منها^(٢) .

ولقد وجد في كنيسة (كور) من بقايا القرون الوسطى أشياء نفيسة للغاية يتندر وجود مثلها في البداعة فمنها حلة من الحرير يلبسها القسيس في القداش تختلف عن بقية الملابس الكنسية وهي مطرزة بآيات قرآنية مكتوبة بحروف عربية ، ويروجح أنها كانت في أيام وجود العرب في سويسرا ، بالإضافة إلى ذلك فإن في الكنائس كثيراً من الحلل الدمشقية التي جاءت في زمان وجود العرب في فرنسا^(٣) .

(١) أحمد فكري : التأثيرات الفنية ، ص ٩٢ - ٩٣ ، عاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٥٣ .

(٢) زكي حسن : تراث الإسلام ، ج ٢ ، ص ٧٦ - ٧٧ . زكي حسن : أثر الفن الإسلامي ، ص ٦١٨ .

(٣) أرسلان : غزوات ، ص ٣٣٨ .

ج - السجاد :

جاء إلى أوروبا على يد المسلمين ، وكان من الكماليات التي لا يصل إليها إلا الموسرين ، وذاعت شهرته في العصور الوسطى ، وتأثرت صناعة الجلود الأوروبية بالسجاد الإسلامي فتعلم الصانع الغربيون صناعته من المسلمين واحتفظوا مدة طويلة بالأساليب العربية في زخارفه .

وعرف السجاد الإسلامي في إيطاليا وفرنسا وألمانيا ، وتدل رسوم السجاجيد في إيطاليا على أنه كان معروفا منذ القرن الرابع عشر على أقل تقدير^(١) .

فن التجليد :

امتدت التأثيرات العربية إلى فن تجليد الكتب ورجع الفضل في ذلك إلى العرب الذين أدخلوا صناعة الورق إلى أوروبا ولهم الفضل في توجيه العناية إلى التجليد وإلى زخرفة الكتب .

واشتق الأوروبيون أيضاً من العرب طريقة تذهيب المجلدات بإذابة صفائح ذهبية في الفراغات الناجمة عن ضغط الزخارف وكبسها وكانت هذه الطريقة قد ابتكرت في قرطبة التي كانت ومازالت مشهورة بصناعة الجلود ، حتى أن صانع الأحذية بالفرنسية يطلق عليه Cordonnier اشتقاقاً من قرطبة . وانتقلت طريقة التذهيب إلى أوروبا وشاع استخدامها منذ القرن الخامس عشر . وكذلك كان بالبندقية مركز هام للتجليد وكان القائمون عليها مسلمين وإليهم يرجع الفضل في إحياء طرق التجليد الإسلامية واستمرارها في أوروبا وبلوغها شأواً كبيراً في العصور الوسطى^(٢) .

- ومهما يكن من شيء فإننا نرى مسحة شرقية غالبية تبدو على الكتب المجلدة في

(١) زكى حسن : أثر الفن الإسلامي على الغرب ، ص ٦١٨ .

زكى حسن : تراث الإسلام ، ج ٢ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) أحمد زكى : التأثيرات الفنية ، ص ٩٢ - ٩٣ . عاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ . زكى

حسن : أثر الفن الإسلامي في فنون الغرب ص ٦١٨ .

مصانع التجليد الإيطالية . وقد ظهرت فى بعض المجلدات إذ ذاك ظاهرة شائعة فى طرق التجليد الإسلامية وهى (اللسان) الذى يطوى لحماية الأطراف الأمامية من الكتاب ولا تزال هذه الظاهرة باقية فى تجليد بعض الكتب المصنوعة مثل كتب الحسابات ودفاتر المصارف المعروفة باسم Pass Books ووجود اللسان يذكرنا بأثر الصناعة الشرقية فيها . ولقد أوصل الصناع المسلمون إلى صناع الغرب طريقة جديدة فى زخرفة جديدة فى زخرفة جلود الكتب ففى العصور الوسطى كان المجلدون الأوروبيون يزخرفون جلود الكتب بطبع رسوم عليها مستعينين بمكابس معدنية . وكانت الزخارف التى تصنع بهذه الطريقة بارزة حتى بدأ الصناع الشرقيون يزينون الرسوم المطبوعة بملء أجزائها المنخفضة بصبات ذهبية وقد أدخل هذه الطريقة المسلمون الذين أقاموا فى إيطاليا وقد نشأ هذا التطور فى البلاد الإسلامية ووصل إلى مصانع التجليد الأوروبية حالياً معه عناصر وموضوعات زخرفية أصبحت مندمجة فى الصناعة الحديثة بكل الاندماج دون أن يعتريها أدنى تغيير . وما يزال التذهيب والكتابة شائعين فى عصرنا هذا على جلود الكتب الجميلة ، ولا يزال الأوروبيون يؤدونها بوسائل كان لصناع المسلمين فضل لإيلاجها درجة الكمال^(١) .

واشتهرت قرطبة بصناعتها ودينها حتى أطلق الأوروبيون على النوع الممتاز من الجلود اسم الجلد القرطبي Cordovan وفيما عدا المصنوعات العادية المعروفة استغل العرب الجلود فى تغليف الكتب ونبغوا فى ذلك نبوغاً أدهش الأوروبيين المعاصرين^(٢) .

صناعة الورق :

كانت أولى المصانع التى أقامها العرب لصناعة الورق فى الأراضى الأوروبية فى صقلية وإسبانيا ومن هناك انتقلت صناعة الورق إلى إيطاليا وفرنسا .

وعندما تعلم الأوروبيون صناعة الورق أحلوه فى الكتابة محل الرقائى الجلدية

(١) حسن زكى : تراث الإسلام ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) هاشور : أوروبا ، ج ٢ ، ص ٥٣٢ .

الباهظة التكاليف ، وهكذا أدى العرب خدمة جليلة لأوروبا وللحضارة الإنسانية لأنهم علموا الغربيين طريقة أسهل وأفضل لتسجيل العلوم والمعارف ويشهد على أثر العرب فى هذه الناحية كثرة المصطلحات العربية المتعلقة بالورق وصناعته والتي مازالت بعضها مستعملا بنطقه العربى فى اللغات الأوروبية مثل رزمة^(١).

النقود العربية فى أوروبا :

استطاع العرب أن يوطدوا الصلات التجارية مع الأمم الأخرى^(٢) فازدهرت تجارتهم مع الغرب وحقت إقبالا منقطع النظير ، ولقد وصلت متاجر المسلمين فى العصور الوسطى إلى جهات نائية عن طريق التجارة مثل السويد والنرويج والدنمارك عن طريق الفولجا ، ويؤيد ذلك مئات القطع من النقود العربية التى وجدت فى المدن الواقعة على بحر البلطيق وخليج فنلندا مثل نوفجورود وشلوزيغ وجزيرة جوتلاند Gotland وجزيرة الاند Aland من جزر البحر البلطى^(٣).

وكان العالم الإسلامى هو المصدر الرئيسى للنقود فى القرنين التاسع والعاشر فلقد عرفت الدراهم الفضية فى أوروبا عند علماء النميات^(٣) بالنقود الكوفية Cufie لأن الكتابة عليها بالخط الكوفى ومما زاد فى أهميتها أنها تحمل سنوات الضرب وقد عثر حتى الآن على حوالى ٦٢٠٠٠ قطعة نقد عربى فى بلدان اسكندناوة وهى مضروبة فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وفى القرن العاشر اتسعت رقعة الأماكن التى عثر فيها على دفائن من العملات الأوروبية معظمها فى شرق البلطيق وشرق السويد كما عثر بعضها فى أطراف الجزر البريطانية أى فى الأماكن التى تعرضت لغارات الفايكنج Viking .

ومعظم نقود القرن ٩م صدر عن الخلفاء الأمويين والعباسيين مما يدل على اتساع

(١) عاشور : أوروبا ، جـ ٢ ، ص ٥٣٥ .

(٢) الويون : حضارة العرب ، ص ٢٧٣ .

(٣) عاشور : أوروبا ، جـ ٢ ، ص ٥٣٢ .

حجم التجارة بين العالم الإسلامي وبين شمال أوروبا قبل القرن ١١ م . وهذه الكميات الهائلة من النقود التي عثر عليها في أجزاء مختلفة من شمال أوروبا وقرب سواحل البلطيق مصدرها التجار المسلمون الذين كانوا يدفعون ثمنها لما يحصلون عليه من السلع الأولية وخاصة الفراء .

وقد وصلت بعض النقود العربية إلى ألمانيا في القرن ١٠ م ، فالرحالة الأندلسي الطرطوني رأى حوالى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣ م بمدينة مينز Mainz دراهم ضربت في سمرقند في سنتي ٣٠١ - ٣٠٢ هـ . وقد كان للنقود العربية تأثير على العملات المضروبة في الأراضي المتاخمة لدار الإسلام حتى البلاد النائية وقد رأينا الملك أوفّا Offa ملك مرسية Mercia في إنجلترا (من ٧٥٧ إلى ٧٩٦ م) يدفع جزية للبابا كل عام بالدينار المنقوش وذلك تقليداً للدينار العباسي المضروب عام ١٥٧هـ / ٧٧٤ م بالإضافة إلى ذلك عثر على أحد عشر قطعة نقدية عربية من عملة أقریطش في موضع السوق في مدينة أثينا في كورنت ولعل وجودها هناك له صلة بالنقوش الكتابية المهمة في المسجد العربي بأثينا .

أما بالنسبة لمدينة كورنت فإنه من المؤكد أن القطع النقدية التي عثر عليها في المدينة ترجع إلى القرن ٩ م . وتشير المصادر الكتابية إلى قيام العرب بالإغارة على منطقة كورنت عام ٢٦٦هـ / ٨٧٩ م ولعلهم احتلوا المدينة فترة من الزمن ويعتقد عالم النميات Miles أن عملات أمراء كورنت هي دليل على وجود صلة تجارية بين المدينة وجزيرة أقریطش العربية (كريت) أكثر من كونها أثر للنشاط الحربي في المكان^(١).

(١) علم النميات :

تدرج دراسة النقود تحت هذا العلم الذي يسمى La Numismatique وهو العلم الذي يبحث في النقود والأوزان والأختام والأنواط .

للمزيد انظر عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، ص ٦ .

(٢) أمين الطليبي : النقود العربية ، ص ١٩٩ - ٢٠١ . عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .

روبرت لويز : محمد وشارلمان ، ص ١٢٧ .

أما صقلية فنتيجة لحكم النورمان ظلت تضرب عليها كتابات عربية بالخط الكوفي. وبعضها يحمل التاريخ الهجرى وعبارة (محمد رسول الله) كما فى نقود عهد روجرز الثانى التى سجل عليها لقبه العربى تقليداً للعرب (ناصر النصرانية) أى لقب مسيحي باللغة العربية . وفى عهد ملوك النورمان الثلاثة الأوائل ظل الرباعى أى ربع الدينار الفاطمى متداولاً على منواله ضربت عملة تعرف باسم Tari طرى . وكانت هذه العملة كلارباعى شكلاً وقيمة .

ويسدو أن كلمة طرى Tari مشتقة الاسم من كلمة عربية (طرى) بمعنى حديث الضرب وهى صفة استعملت للرباعى فى لهجة صقلية العربية^(١) وظلت كلمة طرى إلى عهد قريب هناك . وانتقل الطرى إلى مالطة سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م . وظلت كلمة طرى إلى عهد قريب تعنى عملة فضية قديمة . ومن إيطاليا انتقلت الكلمة إلى جنوب فرنسا فهى فى البروفنسالية تابعة لارجوان منذ أواخر القرن ١٣م .

فإن من الطبيعى أن تظهر الكلمة فى النصوص القطلانية حيث يرد ذكرها لأول مرة سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م وعلى صورة Tari للمفرد و Tarins للجمع وهى فى القشتالية Tarin ثم أصبحت الكلمة تستعمل للدلالة على عملة إسبانية ، وفى الأمثلة الدارجة ، وقد وردت كلمة طرى فى عدد من الكتابات العربية على أوراق البردى المصرية^(٢) .

وفى سويسرا عثر قرب قرية شتسكبون (Stecbon) على ثلاثين درهما فضياً عربياً ، يحمل أقدمها سنة الضرب ١٦٩هـ ، ويحمل أحدثها سنة ١٨٢هـ . ولكنها مضروبة فى القيروان ، باستثناء درهم واحد ضرب فى عهد الإدارة فى شمال المغرب الأقصى^(٣) .

ويوجد فى سويسرا مسكوكات عربية من الفضة غير قليلة تستجلب النظر ، ولقد

(١) أمين الطليبي : النقود العربية ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) أمين الطليبي : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٣) أمين الطليبي : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

تمكن العلماء العرب من إثبات سكاكها وضربها وزمانها وهذه المسكوكات مغطاة بالكتابة التي تشير إلى اسم الأمير ، ومكان الضرب وتاريخه وبعض آيات من القرآن وأكثر الكتابة بالخط الكوفي . أما كيفية دخولها فجاءت عن طريق فرنسا ، لأنه وجدت مع هذه الدراهم مسكوكات مضروبة باسم كارلوس الأصلع ملك فرنسا (٨٤٣ - ٨٧٧م) ونظرا لأن العرب قاموا زمنا طويلا في سويسرا لا يبقى محل للشك في أن المسكوكات التي وجدت في سويسرا قد دخلت عن طريق العرب الذين أقاموا هناك (١) .

كما عثر على دفينه أخرى في مودرن بسويسرا ويرى البعض أنها وصلت بطريقة سلمية ثمنا لبضائع بينما يرى أرسلان أنها من آثار العرب الذين فتحوا سويسرا عن طريق جنوب فرنسا .

وفي عهد ملوك الطوائف في القرن ٥هـ / ١١م ضربت أول عملة سنة ١٠٣٥م باسم منقوش Mancuss وهو الاسم الذي أطلقه النصاري على الدينار العادي مقلدا بذلك عملات ملوك الطوائف في شرق الأندلس .

ويبدو أن الدينار المنقوش كان أكثر هذه النقود المختلفة شيوعا ، ولم يكن الصلدي ينتهي سكه تماما حتى كان الدينار العربي قد انتشر في الغرب كله فنجده في إيطاليا منذ ١٦٢هـ / ٧٧٨م .

وفي عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م دفعت أستريا ضرائبها لبيت المال الكارولنجي بالدينار المنقوش .

ولقد وجدت الدنانير مع عملات ، ولقد كانت إيطاليا وأغرب من ذلك إنجلترا وهي البلاد التي كثرت فيها العملات الأجنبية طيلة قرون إذ تذكرها الوصايا الأنجلو سكسونية في كل صفحة منها تقريبا . وألفها الإنجليز إلى حد أنهم جعلوا منها وحدة الأوزان المعتادة في وزن معدن الذهب ولم تجهل بلاد غالة ولوثارينجيا (اللورين) والمانيا

(١) أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

هذه العملة المنقوشة وقد حاول المتقاضون رشوة تيودولف رسول الامبراطور بتقديم قطعة ذهبية عليها حروف عربية منقوشة .

وقام أسقف مدينة مريبجرد كنيسة سان ترون سنة ٨٧٠م ولم يجد فيها من العملة إلا خمسة دنانير منقوشة ، وهذا الدينار المنقوش عملة المسلمين عرف في أوروبا المسيحية معرفة واسعة إلى حد أن قيمته تحددت بالنسبة للنقود القومية (الأوروبية) تحديدا ثابتا تقريبا ، فقدر في الغالب بثلاثين دانقا (١) .

وعلى ذكر المنقوش الفضى والصلدى الفضى استخدام المنقوش والصلدى وحدة حسابية ، أما الدفع فكان يتم بعملة من معدن آخر . كذلك كان الحال في جنوه أو مرسيليا . أما في البروفانس فقد دفع كونت بروفانس للبلاط الامبراطوري ٥٠٠٠ مرابطة . وهكذا فالأدلة كثيرة على مدى تغلغل العملة العربية في الغرب والآثار التي تركها المسلمون هناك (٢) .

ولقد عشر سنة ٢٦١هـ في إنجلترا سنة ٨٠٧م على درهم أندلسي في إطلال دير بمقاطعة دورسيت والدرهم يحمل سنة الضرب ٣٩٠هـ أى في خلافة هشام الثاني ولا يستبعد أن تكون تلك الدراهم قد وصلت إلى إنجلترا مباشرة من غرب الأندلس نظرا للعلاقات التجارية . وتذكر الحوليات القشتالية عن عدة عملات أولها العملة المستعملة المسماه (Eldinero de Plata) أى الدينار من الفضة وهو متوسط ويشار إليه أحيانا باسم Adarham الدرهم ، وقد استعمل الدينار المرباطي كما ذكرنا كوحدة نقد في أوروبا المسيحية وهذا يدل على مدى تأثير الدينار المرباطي على أوروبا المسيحية . وقد استعملت تلك الدنانير في البروفانس وفي دير في جنوبي اللون وفي فيرنو وفي سانت روكان . وكان لقيام دولة الموحدين أثر كذلك على نظام العملة في الممالك النصرانية فظهرت العملة المعروفة باسم Doble (المربعة) وحلت محل الدينار المرباطي ، كذلك كانت نصف الدويلة وتعرف باسم Muzmudina مشتقة من اسم قبائل

(١) مارك بلوك : مشكلة الذهب في العصر الوسيط ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) بلوك : مشكلة الذهب ، ص ٢٣ - ٢٨ .

المصامدة التي قامت على اكتافها دولة الموحدين ، وظلت هذه العملة إلى أن هزم الموحدون سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م فاضطر الفونسو العاشر إلى ضربها في مملكتها وظلت الدولة مع ذلك متداوية كوحدة للذهب حتى أواخر القرن ١٥ م .

وبحلول الدولة محل الدينار المرابطي أصبحت التسمية Maravdi تطلق على العملة الذهبية في أواخر القرن ١٣م^(١) .

ولقد تداولت النقود الإسلامية في أوروبا الشمالية والشرقية عن طريق الأنهار الروسية ، وفي أوروبا الغربية عن طريق البحر المتوسط . وقلد ملوك الغرب في سكتهم الذهبية شكل العملة الإسلامية .

أما الدينار التي أطلق عليها المنقوش Mangons أو Mancusus كما وردت في النصوص اللاتينية فهو الاسم الذي أطلقه الأوروبيون ، ولا يعرف اشتقاقه على وجه التحديد . وعلى الدينار الذهبية التي سكتها الخلفاء العرب ثم سكتها الأمراء في سوريا والمغرب وأسبانيا وزالت هذه التسمية من النصوص في نهاية القرن الحادي عشر وحلت محلها تسمية أخرى Marabotins وكانت تطلق خاصة على عملة المرابطين^(٢) .

ولعل ما يجدر التنويه عنه وجود عدد من المفردات العربية الاقتصادية في اللغات الأوروبية فهي دليل على أنه كان للتجارة والتقاليد العربية الإسلامية تأثيرا عميقا على الحياة الاقتصادية وتطورها في معظم البلدان الأوروبية فالكلمة الإيطالية Zecca مشتقة من دار السكة ولكمة Cheque مشتقة من كلمة صك العربية والكلمة Slerling الإغريقية الأصل وصلت اللغة الإنجليزية عن طريق العربية والمصطلح الجمركي Tariff من العربية تعريف ولعل كلمة Traffic بمعنى المتاجر مشتقة من الكلمة العربية تفريق .

وفي اللغة الأسبانية العديد من التسميات لمناصب ذات صبغة مالية وتجارية ما زال

(١) أمين الطليبي : النقود ، ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

(٢) بلوك : مشكلة الذهب ، المقدمة ، ص ١٩ .

بعضها مستعملا وعى من أصول عربية منها Almojarife من المشرف . وكان فى العهد الإسلامى مراقبا للخزانة وللشئون المالية Alcabala وفى الفرنسية Gabelle من كلمة القبالة العربية ، وكانت ضريبة تفرض على المبيعات فى الأسواق Alfalfa من العربية (الفرضه) وكانت ضريبة فرضها المرابطون على اليهود للمساعدة فى تجهيز الحملات العسكرية للجهاد^(١).

وهكذا كان للعملة العربية أثر كبير على اقتصاد أوروبا الغربية ولعبت دورا رئيسيا فى المبادلات التجارية كوسيلة للمبادلة قلده الأوروبيون فى عملاتهم كالفلورين والدوقة الإيطاليتين كما قلده الصليبيون فى المشرق الدنانير الفاطمية^(٢).

وانتشرت النقود العربية خارج نطاق العالم الإسلامى وأصبحت فى دور المنافسة للعملة البيزنطية فى أوروبا الغربية ، واستمرت العملات متداولة فى أوروبا حتى بعد انتهاء سيادة العرب على تلك المناطق .

وهكذا لعب العرب دورا كبيرا فى التجارة وتبنى الكثير من الأوروبيين مظاهر الحضارة الإسلامية ، وهذا دليل على أن التواجد الإسلامى كان تواجدا حضاريا راقيا لا مجرد تواجد عسكري سياسى^(٣).

(١) أمين الطليبي : النقود ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) عبد الرحمن لهقى : النقود الصليبية تحت تأثير النفوذ الإسلامى ، ص ٢٧٨ .

(٣) مونتجمرى وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص ٢٦ .

الختام

أولاً : ملخص بأهم النتائج

ثانياً : التوصيات .

أولا : نتائج البحث :

ويحسن بنا فى نهاية المطاف أن نلخص ما انتهينا إليه من نتائج فى هذه الرسالة
وهى كما يلى :-

١ - اتصف الإسلام بالشمول والعموم فأخذ طابع الذبوع والانتشار حتى يعم نور الحق ويتنشر العدل فى كل مكان دون حرب أو قتال وذلك واقع محسوس منذ جاء نبي الهداية محمد ﷺ حيث دخل فى الإسلام كثير من الناس بمجرد معرفتهم حقيقته .

٢ - مشروعية الجهاد فى سبيل الله دفاعاً عن الحرمات وإعلاء كلمة الله وتحقيقاً للعدل ودفعاً للظلم وإقراراً للحق سواء أكان ذلك باللسان أو بالسنان تأمينا للمجتمع وإقامة الدولة الإسلامية الصحيحة .

٣ - بيان أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما زعموا ، وإنما جاء سيدنا محمد ﷺ بالخير والرحمة الشاملة لبنى البشر فانتقلت الأمم إلى الإسلام بتأثير شرائعه والإعجاب بخصائصه .

٤ - استهدف فتح الأندلس تأمين الحدود الإسلامية فى شمال إفريقيا خوفاً عليه من أعداء الإلام ، ورغبة فى الوصول إلى القسطنطينية عن طريق الغرب بعد فتح بلاد الأندلس ، وجعل البحر المتوسط بحيرة إسلامية يصلون منها إلى مركز الخلافة الإسلامية بدمشق .

٥ - استمر الفتح الإسلامى لبلاد الأندلس حيث تمكن الفاتحون من الوصول إلى بلاد الفرنجة واختراق جبال البرقات بفضل جهود القواد الذين تخلقوا بأخلاق الإسلام وتمسكوا بتعاليمه فكانوا خير قدوة مع إلقاء الضوء على أحوال هؤلاء الفرنجة فى الوقت الذى اتجه إليهم المسلمون .

٦ - استطاع عنبسة بن سحيم الكلبي أن يخترق جبال البرقات فى أواخر سنة ١٠٥ هـ (أوائل سنة ٧٢٤ م) وأن يوطد الأمر للمسلمين فى جنوب شرقى غالة وذلك

بفضل جرائته وبراعته وحسن سياسته ومعاملته لسكان هذه البلاد إلا أن الأمور اضطربت من بعده إذ تولى ولاية لم يكونوا على درجة عالية من الدراسة وأن تمكنوا من ضم مناطق جديدة من أوروبا الغربية للنفوذ الإسلامى أمثال عدرة الفهرى والهيثم الكنانى حتى تولى عبد الرحمن الغافقى أمرة البلاد فوطد الأمر للإسلام وفتح البلاد حتى وصلت فتوحاته نهر اللوار .

٧ - اتسم عهد الغافقى بالعدل ورد المظالم والتمسك بالعهود المبرمة مع المسيحيين فصفت له القلوب فوجه جهوده لفتح البلاد بيسالة وإقدام .

٨ - استصرخ أودو دوق إكيتانيا بشارل مارتل رئيس بلاط مملكة الفرنجة متتاسياً ما كان بينهما من عداوة وخصام فاجتمع الجيشان بغية القضاء على عبد الرحمن وجنده ، وعكسكرك الجيش فى موضع بين مدينة تور وبواتيه فى عام ١١٤هـ / ٧٣٢م وتمكنوا من تحقيق بعض الانتصارات على المسلمين وقتل قائدهم بعد معركة ضارية كاد النصر يتم فيها للمسلمين .

٩ - اعتبر البعض موقعة بلاط الشهداء حداً فاصلاً وحاجزاً منيعاً لانتشار الإسلام فى بلاد فرنسا وخلف البرتات ولولاها لتغير الحال ولو كان النصر حليفاً للمسلمين فيها لرأينا القرآن يتلى ويدرس فى جامعات الغرب أو كما قال أحدهم . وقد قمت بالرد على ذلك وتفنيد مختلف الآراء حول هذا الموضوع مع إيضاح الأبعاد التاريخية لمعركة بلاط الشهداء .

١٠ - اعتبر بعض الكتاب الغربيين المنصفين هزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء نكبة كبيرة أصابت أوروبا وضربة عنيفة حرمتها من الحضارة المنيرة وكرامة الإنسان بما فى الإسلام من روعة مبادئه وصدق عقيدته ورفعة شريعته وجمال روحه ، بينما اعتبر البعض أن انتصار الفرنجة انقاذ وخلص للدول الأوروبية من خطر المسلمين .

١١ - كشفت الفتوحات الإسلامية خلف جبال البرت عن بطولات نادرة وشجاعة فذة تشربت روح الإسلام فى كل مكان وأثمرت الشجرة التى ترعرعت فى أحضان

الإسلام ثمرتها حين تشربت لبان الشجاعة والفداء في كل ميادين الحياة فكانت النماذج الحية للقادة العظام أمثال السمح بن مالك وعنبة بن سحيم ، وعبد الرحمن الغافقي .

١٢ - نبهت معركة بلاط الشهداء الخلافة الإسلامية في دمشق بضرورة الاهتمام بلأندلس والثأر لبلاط الشهداء فكانت ولاية عبد الملك ابن قطن ، واستمرار جهاد المسلمين خلف البرتات بأسرع صورة لم يتصورها الفرنجة وأحرار النصر والتقدم وضم مدن جديدة ، والتوغل حتى الوصول إلى يدمنت على حدود إيطاليا .

١٣ - مجيء عقبة بن الحجاج السلولى قائداً من طراز الاقفي فأقام النظم ونشر العدل ، ورد المظالم ، وقمع الرشوة وأنشأ كثيراً من المساجد والمدارس واستنفر الناس للجهاد ونظم الجيش وحسن جميع المواقع الإسلامية على ضفاف نهر الرون واتخذ منها معقلاً للفتوحات الإسلامية ، ثم توفي بعد خمسة أعوام من ولايته قضاها مجاهداً فاتحاً مظفراً باسم الإسلام ، وقيل أنه عزل وولى مكانه عبد الملك بن قطن الفهري مما كان سبباً لإثارة الفتن والدسائس والحروب الأهلية بين العرب والبربر التي انتهت بمقتل ابن قطن .

١٤ - اضطراب الأمور في الأندلس بعد مقتل ابن قطن وخروج جيش سبثمانيا (الثغر الإسلامي الحصين) من موقعه للثأر من مقتل ابن قطن ، وتجرأ الفرنجة والنصارى على المسلمين ، واحتلوا أجزاء من أرضهم تدريجياً لإخراجهم من معاقلهم .

١٥ - أسباب تعثر الطلائع الإسلامية خلف البرتات :

تضافرت عدة أسباب أهمها توزع السلطة بين ثلاث جهات دمشق والقيروان ، وقرطبة بالإضافة إلى روح العصبية القبلية التي ظلت حية في الصدر ونقلوها أينما حلوا وسببت لهم المحن والمشاكل وتفريق الصف ثم التجمع المسيحي في اشتوريش وغاليسيه ونافار منتهزا فرصة انشغال المسلمين بمشاكلهم وعصبيتهم

فى ضم مناطق جديدة من مناطق المسلمين ، والتفكير فى القضاء عليهم ثم الفتنة التى قامت بين العرب والبربر وتضافرت عدة أسباب لقيامها وكان على رأسها تحريض البربر على العرب تلك الأسباب مجتمعة ذات أثر كبير فى تعثر الجهاد وعدم تحقيق ما كان يصبو إليه المسلمين .

١٦ - اضطراب الأمور بعد مقتل ابن قطن ، وتشابك الأحداث التى أدت إلى انتهاء عصر الولاة فى بلاد الأندلس ، واستيلاء الفرنجة على كثير من المواقع الإسلامية الهامة فى سبتمانيا واللانجدوك حتى ظهور عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) فبعث الإمارة من جديد للدولة الأموية ، واستأنف الأمراء الأمويون الجهاد خلف البربات .

١٧ - الاهتمام بالبحرية الإسلامية وخصوصاً فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد هجوم النورمان على بلاد الأندلس سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م .

١٨ - تم للمسلمين الاستيلاء على جزر الفرنجة ووصلوا إلى مصب نهر الرون كما وصلوا إلى سواحل غالة الجنوبية وموانئ إيطاليا ، واتخذ المسلمون لهم معقلاً حصيناً يسمى حصن (فراكسيتوم) تمكنوا بفضلهم من التحكم فى البروفانس والدوفينه واستولوا على فالانس وفيين ووصلوا إلى اكس كما استطاعوا الاستيلاء على سويسرا وبسطوا نفوذهم فيها عن طريق ممر سان برنارد الذى يربط بين قالة السويسرية وبين شمال إيطاليا ، كما فتح المسلمون جزءاً كبيراً من سويسرا الألمانية (يقع بين مدينة كور وبين أعالي الراين) وتوغلوا فيه .

١٩ - ترك المسلمون من الآثار الحضارية ما شهد لهم بأنهم لم يكونوا كما وصفهم بعض المغرضين بالهمجية والوحشية .

ويتضح من هذه الدراسة أن الذى حجب الجهاد إلى نفوس المسلمين وجعلهم يسبغون باسم الإسلام فاتحين حتى وصلوا إلى غرب أوروبا بهذه الصورة المشرفة إنما هو روح الإسلام التى تمكنت من نفوسهم والرغبة فى إعلاء كلمة الله ، ولو أن الفتوحات الإسلامية فى تلك الأراضى كانت مجرد أعمال عسكرية لما

وضحت تلك الآثار البعيدة المدى فى حضارة تلك المعازل . فالفتوح الإسلامية فى الأراضى الأوروبية وأن انتهت سياسيا وحربيا إلا أنها لم تنته حضاريا وإنسانيا وهذا هو الفتح الحقيقى والأبقى .

ولعل فى هذه النتائج التى توصلت إليها ، ودونتها ما يكفى . وفى اختصار ما يغنى .

وفى ثنايا البحث أشرت إلى نتائج أخرى ، لا أرى داعيا لإعادتها فى هذا المقام ، وأرجو من الله القبول والرضا .

التوصيات :

تتمثل توصيات البحث فى الأمور الآتية :

١ - مشروعية الجهاد فى سبيل الله حتى يمكن المحافظة على ما تبقى من هذا الصرح الخالد من مجد الإسلام وعدم التهاون فى ضياعه والإبقاء عليه كما تركه لنا الصحابة والتابعون بعد رسول الله ﷺ .

٢ - ختمية الدراسة التاريخية للإسلام حتى يتضح للأجيال الجديدة ما قام به المسلمون فى مستهل إسلامهم مع التركيز على الحضارة الإسلامية وأنها الأساس لكل حضارة وازدهار فى القرن العشرين .

٣ - تنقية التاريخ الإسلامى من الدسائس التى تهدف إلى النيل من المسلمين والتشهير بهم مع ضرورة تبسيط الدراسة التاريخية للأطفال فى مختلف مراحل التعليم حتى تحبب إليهم قراءته .

٤ - تسهيل الدراسة التاريخية للطلّاع الإسلامية حتى يقفوا بها على أمجاد آبائهم وأجدادهم فيتأثروا بأفعالهم ويقتدوا بسلوكهم فيدافعوا عن أوطانهم .

٥ - طبع ما نفذ من كتب التاريخ الإسلامى مع طبع كتيبات تاريخية فى نشرات دورية بأسعار رمزية هدفها تمكين المسلم من الاطلاع على تاريخ المسلمين .

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد كما أسأله أن يعيننى على شكره وذكّره وحسن عبادته ، وأن يرزقنى الشهادة فى سبيله ، إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ملحق .

١ - كشف بتعريفات المدن التي وردت في البحث

٢ - خريطة العامة لبلاد الأندلس وغالة

- آجد Agde :

مدينة بنواحي ييزيه ، كانت لها أهمية كبيرة بسبب مينائها ، وبها كنيسة عظيمة، وتقع على الضفة الشمالية من نهر هيرولد ، كانت إحدى المدن السبع التي نسبت إليها مقاطعة سبتمانية التي معنى اسمها السبعية .

Ancyclopedie Larousse - editionlarousse - Paris 1982 Volume I. P. 168 .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٨ . Volume I. P. 168 .

أربونه Narbonne

بفتح أوله ويضم ، ثم السكون ، وضم الباء الموحدة ، وسكون لاواو ، ونون وهاء بلد فى طرف الثغر من أرض الأندلس ، وهى الآن بيد الأفرنج ، بينها وبين قرطبة على ما ذكره ابن فقيه ألف ميل . وكانت قاعدة الثغر الشمالى مدة نصف قرن ، وهى مدينة قريبة من البحر وهى آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلى بلاد الأفرنجة ، وقد خرجت عن أيدي المسلمين سنة ثلاثين وستمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن الحصون ، وقيل أنها من مدن الأندلس وقيل خارجة عنها وإلى أربونه انتهى موسى بن نصير وبقيت أقصى ثغور المسلمين من الأندلس ومنها مشرق بلاد الإفرنج ، وهى على نهاية الشرقية .

للمزيد : انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ١٤٠ .

ومحمد عبد المنعم الحميرى : الروض الماطر فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ص ٢٤ . عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين على بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب : تقويم البلدان ، طبع فى مدينة باريس ، دار لطباعة السلطانية ١٨٥٠م ، ص ١٨٣ .

Encyclopedi Larousse Volume 7, PP. 7278 - 7279

- أرغون (Aragon) -

هو اسم بلاد غرسية بن شائجه ويشتمل على بلاد ومنازل وأعمال .

الحميري : الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، ص ٢٧ .

- ارل Arles

تأسست مملكة ارل عام ٩٣٣م عندما وجدّ رودلف مملكة برغنديا ومملكة البروفانس ثم ضمها الإمبراطور كونراد الثاني ١٠٣٨م إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وكان الحكم بطريق المعتمدين الإمبراطوريين اسمياً . كان لفرنسا وسافوى وسويسرا وبرجنديا سلطان فعلي على المناطق المؤلف بها ، ويعد أن عين ولي العهد (شارل السادس) ملك فرنسا فيما بعد) أصبح وجود هذه المملكة اسمياً . وتقع على ضفاف الرون وهي مركز صناعات ، وقد احتفظت بطابعها الروماني ، حيث توجد فيها أجمل الآثار ذات الطابع الروماني البروفانسي .

Encyclopedie Larousse - Volume I. P. 185 .

- أريهولة Arihuela

بالضم ثم السكون ، وكسر الراء وياء مضمومة ، ولام وهاء ، مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية تدمير بسائينها متصلة ببساتين مرسية .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ص ٢٨٠ .

- استراسيا Austrasie

مدينة في شرقي فرنسا ، وقاعدتها منز

أرسلان : غزوات ، ص ٣٣ .

- اشتورقه Astorga

من بلاد ليون شمالي إسبانيا .

أرسلان : زوات ، ص ١٠٢ .

- أفرنجيه :

أرض واسعة فى آخر غربى الإقليم السادس ، ذكر المسعودى أن بها نحو مائة وخمسين مدينة ، قاعدتها باريس وأن طولها مسيرة شهر وعرضها أكثر وأنها خصبة لكونها رديئة المحرت قليلة الكرم معدومة الشجر ، وأهلها الأفرنج وهم نصارى أهل حرب فى البر والبحر ولهم صبر وشدة فى حروبهم لا يرون الفرار أصلا لأن القتل عندهم أسهل من الهزيمة ومعاشهم على التجارية والصناعة ، وتعتبر من الأمم العظيمة ، وبلادهم واسعة ، وممالكهم كثيرة ، وهم نصارى وينسبون إلى جد لهم واسمه أفرنجش وهو يقولون فرنك وهم مجاورون للروم والروم من شمالى الأندلس نحو الشرق إلى روميه ، ودار ملكهم نوكرده وهى مدينة عظيمة ولهم نحو مائة وخمسين مدينة ، وقد كانت قبل ظهور الإسلام أول بلاد من جهة المسلمين جزيرة رودس قبالة الإسكندرية فى وسط بحر الشام .

انظر القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٧٦ .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

- أفينون Avignon

مدينة هامة تقع على بعد ٦٩٧ كم شرق جنوب باريس ، اشتهرت بصناعة الحرير ، ولها نشاطات سياحية وثقافية وتجارة الخضروات والفواكه وتحوى بعض المصانع الحديدية والغذائية وصناعة النسيج ، وتشتمل المدينة على مقرين أحدهما قديم والثانى جديد ، وتوجد فيها عدة كنائس كما أن فيها منزلا يعود عهده للقرنين ١٧ - ١٨ ، وميناءها سان بنارات Saint Benrt موجود منذ القرن الثانى عشر والعرب تطلق عليه ابنيون كعادة العرب جعل الفاء باء .

Ency Larousse - Volume I. P82 .

- اكس اون بروفانس Aixen - Provence

تقع فى الجنوب الشرقى من فرنسا من محافظة بروفانس - مركز قضاء (بوش دو

- رون (تأسست عام ١٢٣ ق.م عدد سكانها ٨٠ ألف مشهورة بالسياحة وخاصة
بالنشاطات افنية ، أشهر آثارها كاتدرائية سان سوفون (القرن الحادى عشر) .

Encyclopedie de alfa edition, Garange Patelier Paris. 1972.
Volume I. P. 110 .

- اكيثانيه L'Aquitaine (Aquitaine)

منطقة تاريخية فى غالة ، اقطانيه الأولى كان يطلق عليها فويتان Guyeune
وتمتد من اللوار إلى البرتات Pyrennees ومن المحيط الاطلسى إلى الكافنس Ca-
veunes فى القرن الثامن كانت تشمل على بواتو Poitou وليموزان Limosin
الأمانشى La Maunch لوييرى Le Bery واوفرينا Lauvergne السانتونج La
Sawtange وتمتد بين نهر الرون شرقاً وخليج غسقونيه غرباً وبين نهر اللوار شمالاً
ونهر الجارون جنوباً تشمل من مقاطعات فرنسا الحديثة جويان وبيرجور وسانتونج وبواتو
وفنده وجزءاً من انجو .

Ency. L. V. 11. P. 68 - 78 .

أرسلان : غزات ، ص ١٤٢ .

- البينغا Albenga

مدينة إيطالية تقع فى الطرف الجنوبي لاشرقى من منطقة ييامونت على ساحل البر
المتوسط إلى الشرق من سان ريمو (على شاطئ الريفيري الإيطالية) وهى مركز
سياحى مشهور خاصة فى الصيف .

Encyclopedie de Alfa . Volume . I. P. 112 .

- الفا Alava

إحدى مقاطعات شمالى إسبانيا تقع فى جنوب البرتات يسكنها البشكنس .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٧٨ .

- انتيب Antibes - عين الطيب .

مدينة فرنسية فى محافظة يروفانس وقضاء ألب مارثيم (جبال الألب البحرية) أسسها اليونانيون فى القرن الخامس . ق. م . ودخلها المسلمون فى القرن التاسع ، وهى مركز سياحى بارز على البحر المتوسط (كوت دازور) . ويبلغ عدد سكانها ٦٥ ألفا . وهى بلدة على شاطئ البر يقرب نيقيه أونيس

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٤٢ . Eney Alfa vol. 10 P. 319 .

- الأندلس :

قال ابن سعيد : وما سوى الأندلس من شمال المغرب يعرف بالأرض الكبيرة وإذا عرفت أركان الأندلس وأنها على صورة مثلث عرفت ثلثه أضلاع المثلث أضلاع المثلث فالضلع الأول من الركن الجنوبى الغربى ، وهو الذى يقع عند جزيرة قادس إلى الركن الشرقى الذى عند جزيرة ميسورقه وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبى الشرقى الممتد على بحر الزقاق ، والضلع الثانى من الركن الشرقى المذكور إلى الركن الشمالى عند سانتياغو (شكيب يعقوب) وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالى ويمتد على الجبل الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر يرديل (بوردو) والضلع الثالث من الركن الشمالى المذكور إلى الركن الأول الجنوبى المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربى الممتد على البحر المحيط .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

- أوتون Autun

مدينة على مسافة ١٠٦ كم إلى الشمال الغربى من ماسون ، وتعتبر مركزاً ثقافياً واقتصادياً كبيراً ، ولقد اعتنقت المسيحية منذ عهد مبكر ثم تخطمت سنة ٢٦٩ على يد الإمبراطور الفولى تيتري Tetriens ثم اتفها البربر والنورمانديين والمارازان - Sarra sins عدة مرات .

Ency. Larousse - Vol. I. P. 880 .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٤ .

- اوزيس Uzès

مدينة صغيرة من نيم Nîmes تحتفظ بكاتدرائية قديمة يعود عهدها للقرن ١٨
وبرج روماني

Ency Larousse - Vol. 10 - P. 19585 .

- أوسما Osma

وهي بلدة أيبيرية عتيقة كان لها ذكر في الدور العربي ، وبالتقرب منها على شفير
واد عميق ومن حصن عربي قديم .

أرسلان : الحلل ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .

أرسلان : الحلل ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .

- اوكسير Auxerre

مدينة على بعد ١٧٠ كم إلى الجنوب الشرقي من باريس .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٤٠ .

- بازل Basel

أو بال من أشهر مدن سويسرة تقع على الحدود الألمانية .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٣٣ .

- بریطانية Bretagne

بفتح الباء الثانية وطاء وألف ونون مكسورة وياء خفيفة وهاء ، مدينة كبيرة
بالأندلس تتصل بعمل لارده ، وكانت سدا بين المسلمين والروم ، ولها مدن وحصون ،
وفى أهلها جلاده وممانعه للعدو ، وهي فى شرق الأندلس اغتصبها الإفرنج فهى اليوم
فى أيديهم .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

- بريتيان Prepignan -

هى المقاطعة المسماة بالبيرانه الشرقية Pprennes وعاصمة روسليون Rousillon
ثم مملكة الماجور Majoroue من عام ١٢٧٦ إلى عام ١٣٤٤ ، وهى مدينة قديمة
فى صناعة الجوخ ، استولت عليها فرنسا سنة ١٦٥٩م

Ency La Rousse. Volume i P. 8003 .

- جبال البرت Port -

هو حد الأندلس عن الركن الشرقى ويتصل بالأندلس وبين الأرض الكبيرة ولما
أحاط البحر بالأندلس ولم يبق إلا المدخل أعنى جبل البرت سميت جزيرة والا فهى
متصلة بالبر الطويل . وجبل البرت متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، وطوله
أربعون ميلا . وقد قيل أن طول الأندلس ربا وشرقا من أشبونه وهى فى غرب الأندلس
إلى أربونه وهى فى شرق الأندلس مسيرة ستين يوما وقيل شهر ونصف ، وأن طول
الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة وهو فى نهاية الأندلس
الشرقية إلى أشبونه وهى فى نهاية الأندلس الغربية ألف ميل ونيف ، أما عرض وسط
الأندلس فمسيرة ١٦ يوما من بحر الزقاق إلى البحر المحيط وذلك عند طلطله ، وجبل
البرت المذكور يقال له الحاجز . قال وفيه أبواب فتحها الأوائل حتى صار للأندلس
طريق فى البر من الأرض الكبيرة ، وقيل فتح الأبواب المذكورة لم يكن للأندلس من
الأرض الكبيرة طريق .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٦٩ .

أما يوسف اشياخ فيذكر أن جبال البرت تسمى بجبال البرنيه فى العربية أو
البرقات ، أو البرت Pyrenees Port بالاشتقاق من كلمة Puertes أى الأبواب ،
ومن ثم قد سميت بجبال الأبواب ، ويشار إليها أحيانا بأنها الجبل الحاجز بين
الأندلس وبين بلاد الفرنجة العظمى أو جبل البرت الحاجز بين الأندلس والأرض
الكبيرة ، أو يقال لها الحاجز .

يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عثان ، ص ٨ .

أما رينو فيذكر جبال البيزنيز Les Pyrenees سلسلة من الجبال تمتد على مسافة ٤٥٠ كم من خليج جاسكون حتى خليج ليون يبلغ ارتفاعها فى أعلى قممها ٣٤٠٤ أمتار وسفوحها الشمالية تقع فى فرنسا بينما تقع سفوحها الجنوبية فى إسبانيا .
رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ١٧ .

- برذيل (بوردو) Bordeaux

مقر ولاية جيرونده ، وتقع على مسافة ٥٦٢ كم جنوب غرب باريس وهى مدينة قديمة أنشئت فى نقطة التقاء الملاحة النهرية والطريق المؤدى إلى إسبانيا بعدما ازدهرت فى القرون الوسطى ، وأصبحت ثانى ميناء فى أوروبا فى القرن ١٨ . وهى حاضرة الأقطانية الثانية وقيل : مدينة من إقليم برغش كاملة شاملة بضروب النعم ، كثيرة الفواكه بينها وبين البحر اثنا عشر ميلا وهى فى بلاد جليقية ، وهى من أشرف أقاليم تلك الناحية ، كثيرة الكروم وتقع على نهر عجاج يسمى جرونه ، وأهلها على أخلاق الجليقية وعلى سواحلها يوجد العنبر ، وهى من نواحي إفريقية وهى من المدن العظيمة فى غرب فرنسا على مسافة ٣٧٨ كم إلى الجنوب الغربى من باريس وهى قاعدة مقاطعة الجيرونده التى كان العرب يقولون لها جيرونده ويقولون لبوردو برذيل .

للمزيد انظر الحميرى : الروض المطار ، ص ٨٦ - ٩٠ .

القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٧٩ .

شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١١٨ .

Ency Larousse . Vol. I. P. 82 .

- برشلونه Barcelona

مدينة للروم بينها وبين طركونه خمسون ميلا ، وبرشلونه على البحر ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة وبها رىض وعليها سور منيع والدخول إليها والخروج

عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة ويسكن برشلونه ملك إفرنجة
وهي دار ملكهم وله مراكب تسافر وتغزو وللإفرنج بها شوكة لا تطاق وبرشلونه كثيرة
الحنطة والجوب والعسل ، واليهود فيها يعدلون النصراني كثيرة وهي في القسم الثالث
من الأندلس وهي مسورة كبيرة .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٦ .

- برغونية Bourgogne

مقاطعة ذات شأن في شرقي فرنسا قاعدتها ديجون ، كانت مملكة مستقلة ثم
صارت دوقية كبيرة ، وكانت تجاذب ملك فرنسا ، ولم تخضع للتاج إلا
سنة ١٤٧٧ .

أرسلان : غزوات ، ص ٣٣ .

- بروفانس Provence

منطقة فرنسية تقع في جنوب شرق فرنسا بين نهر الرون وسلسلة جبال الألب
البحرية ، تضم خمس محافظات وهي :-

١ - الب - دو - هوت بروفانس

٢ - الب ماريتيم

٣ - بوش - دور رون

٤ - الفار

٥ - فولكوز .

مناخها متوسطي ، معتدل شتاء حار صيفا ، تكثر فيها المراكز السياحية (كوت
دازور) مزروعاتها الأساسية القمح - الكروم - الزيتون .

وأشهر مدنها مرسيليا - طولون - سحان ، نيس - اكس - افنيون - انتيب

Ency Alfa . Vol. 12. PP. 4873 - 4874 - 4875 .

- بريتاني (برطانيه) Brittany

مقاطعة فى شمال غرب فرنسا

البكرى : جغرافيه الأندلس وأوروبا ، ص ٨٢ .

- بامبلونه : Pamplona

مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلا ، وقيل هى فى غرب الأندلس خلف جبال الشارة وهى قاعدة نبره Navar أحد ملوك الفرنج ، وهى بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات أهلها فقراء جياح - لصوص ، ويتكلمون بالبشقيه لا يفهمون . وخيلهم أصلب الدواب حافر لخشونة بلادهم ، ويسكنون على البحر المحيط فى الجوف .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٠٤ .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨٢ .

- بواتيه Poitiers

مدينة على مسافة ٣٣٢ كم إلى الجنوب الغربى من باريس وهى عاصمة قديمة يكتاف Dictaves وأصبحت بواتيه بسرعة منبعاً دينياً للقول . أوقف بها شارل مارتل العرب سنة ٧٣٢م بالقرب من بواتيه وهى مدينة غنية بالنصيب التذكارية التاريخية .

Ency. Larousse . Vol. 8. P. 8252 .

- بون Bon

مدينة على مسافة ٣٨ كم إلى الجنوب الشرقى من ديجون

أرسلان : غزوان ، ص ١٠٤ .

- بونيه :

هى قاعدة مدن منكبرديه وهى مدينة مبنية بالحجر والآجر والكلس . كبيرة جدا ، كثيرة الأهل تنفرد داخلها العيون ، وهى على نهر يجتمع تحتها بمقدار نصف ميل

بنهر آخر ، وفي هذه المدينة قصر حسن على بابه صورة فارس من نحاس ، متناهية العظمة بعثها فى الدهر القديم ملك القسطنطينية إلى بلد لنكبرديه . وبهذه البلدة ثلثمائة فقيه من المسلمين ، وعندها سيحاكم أهل لنكبرديه وهم يعتقدون لهم وثائق اشريتهم وبيوعهم وفيها من المسلمين تجار أغنياء عددهم أزيد على أربعمائة ولهم مبان سرية ، ومتاجر قوية ، ولذلك صار المتوجهون من التجار إلى رومه لا بد لهم من المرور من يونيه .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

- بيامونت Piemont

منطقة إيطالية تمتد من حدود سويسرا شمالا حتى البحر المتوسط جنوبا وتحاذى الحدود الفرنسية عند سلسلة جبال الألب وهى تتألف من قسمين اثنين . جبال الألب (من الجانب الإيطالى) سهل بادان - ويعتبر سهل بادان من أخصب سهول إيطاليا . أما الجزء الجبلى (الألب) فيشتهر بأماكنه السياحية سواء فى الشتاء أو فى الصيف ولقد تعرضت فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد إلى صراع بين الفرنك واللومبارد وتجزأت إلى ست إمارات اقطاعية . وفى القرن الثالث عشر الحققتها اسرة (سافوا) بمملكتهما وأصبحت منذ ذل الوقت تدعى بيامونت .

للمزيد Ency Alfa . Volume . 12 P. 4662 - 4663 .

- بيزى Beziers

تقع على القناة المسماة بقناة الجنوب عاصمة اللفندوسيان Languedocaeune ولقد تعرضت هذه لامدينة للسلب مرتين الأولى عن طريق الالبيجو Les Allbgeois ثم سلبت عن طريق الصليبيين ، وهى ذات آثار قديمة .

Ency Larousse - Volume . w. P. 1222 .

أرسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .

- تدمير Tudmir

بالضم ثم السكون وكسر الميم وباء ساكنة وراء ، ولاية تدمير تتصل بأحواز كوره

جيان وتقع فى الشرق من قرطبة . ولها معادن كثيرة ومعامل ومدن وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد ، وتسير العساكر أربعة عشر يوما ، وتجاوز لدمير الجزيرتان وجزيرة يامه .

ابن غالب : فرة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٨٤ .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩ .

- تطليبة Tudela

بالضم ثم الكسر وياء ساكنة ، ولام ، مدينة بالأندلس فى شرقى قرطبة تتصل بأعمال وشقه وهى اليوم بيد الروم ، وتقع جنوبى جبل الشارة ، وهى من الشغور المقاربة لمدينتى سالم وسرقسطه وأراضيها طيبة للزراع وهى على نهر ابره وعليها قرى كثيرة ، وهى مدينة محدثة بنيت فى أيام مروان قال ابن سعيد : هى من المدن الجليلة بثغر الأندلس الشرقى .

مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة لويس مولينا ، ج ١ ، ص ٧٤ .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٣ .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨١ .

- تور Tours

مدينة فرنسية تقع على نهر اللوار ، وهى مركز ولاية اندروو لوار L'Indre el lore على بعد ٢٣٧ كم جنوب باريس تقع بين نهر اللوار والشار Cher أى على المفرق الحوضى الباريسى Bassin Parisieu وأقطنانية وشواطئ بروتن وفنديان L'e Liltoral Baton et Venden وكانت مركزا تجاريا هاما ، ثم نشأت بها صناعة الخشب والخزف. وتعد أحد المراكز الدينية الهامة لغاله ، وتحتفظ البلاد بعدة كنائس هامة يعود عهدها إلى القرن الثالث عشر ككنيسة سان جوليان Saint - Juleiu وكنيسة سان فاسيان Saint Gaten كما اشتهرت بمتاحفها الثمينة

Ency Larousse - Volume 10. P. 10327. - 10328 .

- تولوز (طولوشه) Toulouse

تقع على بعد ٦٨١ كم جنوب باريس ، نشأت على ضفاف الجارون على مفترق الميذى الأوسط وحوض اقطنانية والجارون Garonne وكانت تولوز من المدن الهامة بعدما أصبحت عاصمة مملكة اقطنانية وللمدينة آثارا تاريخية هامة وكنائس مشهورة بالإضافة إلى ما اشتهرت به من متاحف ثمينة . وكانت تولوز لفترة طويلة سوقا تجارية هامة تمتاز بتجارة الجبوب والجلود والصوف .

Ency Larousse - Volume 12. P. 128 .

- جاب Gap

قصبية مقاطعة الألب العليا حاليا ، وتقع على مسافة ٦٦٠ كم فى الجنوب الشرقى من باريس على ضفة نهر (لوى) Luye ، أد روافد نهر دورانس عدد سكانها فى الوقت الحاضر ٢٥٤١٧ (١٩٧٩) نسمة وقد ظل المسلمون يملكونها مدة طويلة .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العرب ، ص ١٨٨ .

- جلقية Calicia

بكرستين ولالام مشددة وباء ساكنة وقاف مكسورة ، وباء مشددة وهاء ، وهى تقع ناحية قرب ساحل المحيط من ناحية شمال الأندلس من أقصاه من جهة الغرب . وقيل أنها بلدة من بلاد الروم متاخمة للأندلس وسمورة قاعدتها ، وقيل أنها بلد يطلق العرب على سكانه اسم الجلالقة وهؤلاء سوى السوييف Suevi الجرمان الذين دخلوا إسبانيا فى مطلع القرن الخامس الميلادى وتمتد من نهر دويره جنوبا Duero حتى الساحل الشمالى لشبه الجزيرة الأيبيرية والساحل الغربى لها حتى قشتالة وفيها لقي العرب أشد المقاومة .

وصل إليها موسى بن نصير لما فتح الأندلس وهى بلاد لا يطيب سكانها لغير أهلها . ويحدها من الشمال والغرب وبحر الاوقيانوس ، ومن الجنوب البرتغال ومن

الشرق ليون وجبال اشتوريش .

انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨٥ .

البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، حاشية ١

الحميرى : جزيرة الأندلس ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

Ency la rousse . Vol. I. P. 601 .

- جبيرونده أو جيرونه أو جرنده - Cironna - Giron - Gerunda ولاية الحوض الاقطناني مقر لولاية بورديو ، أما نسابات الولاية فهي بلاى Blaye لانجون Langon - ليسبارى Les Parre ميدوك Medoc ليبورن Liborne . وتنتهى عند الطرف من الولاية إلى سهل اللاند Landes ، ومحاطة بشاطئ مستقيم مفتوح بحوض الاركستور C'arcactor ، ويحتل البوردلى Bordelais بقية الولاية التى تشمل فى جزء كبير خاصة .

وكان اسمها هذا مستعملا عند العرب حينما فتحوها وهى من المدن التى فى الشمال الأندلسى وتقع شمالى برشلونه وتسمى جرنده البيضاء ، وقد ذكرها البكرى فى تقسيمه لمدن الأندلس ، وقد خرجت من أيديهم سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م ، وهى إحدى مقاطعات فرنسا الجنوبية الغربية يحدها اليوم من الشمال شارانت Charente السفلى ومن الغرب خليج غاسقونيا ، ومن الجنوب مقاطعة اللاند Landes ، ومن الشرق مقاطعة لووغارون Lot et. Garonne ومقاطعة دور دون Dordogne .

البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٦١ - ٦٢ .

ابن خرداذبه : المسالك ، ص ٩٠ .

أرسلان : غزوات ، ص ٩٠ .

Ency . Larousse . Vol. I. P. 701 .

- دوفينيه Dauphine

مقاطعة من فرنسا قاعدتها (غوينوبل) تتألف منها الآن ولايات الازير والدوم ، والألب العليا ، وهى شمالى بروفانس وغربى سافوا وشرقى ليون . وقيل هى مقاطعة فرنسية تقع فى الجزء الجنوبي الشرقى من فرنسا تمتد من جبال الألب شرقاً حتى وادى نهر الرون غرباً وتحدها شمالاً منطقة سافوى وجنوباً منطقة بروفانس ، وتنقسم إلى قسمين دوفينيه العليا : المناطق الجبلية والوديان العليا ودوفينيه السفلى ، الوديان المنخفضة وضاف نهر الرون .

Ency Larousse . Vol. 3 P. 2961 .

- ديجون : Dijon

عاصمة قديمة لبرجونيا Bourgogne ، وعلى مسافة ٣١٥ كم من الجنوب الشرقى لباريس ، وأصبحت إحدى العواصم التى ازدهرت ثم انضمت البلاد إلى التاج مع دوقيه برجنديا ، وقاومت المجريين فى عام ١٥١٣ م .

Ency Larousse . Vol. 3. P. 2900 .

- روسليون Roussilon

وهى المقاطعة المسماة بالبيرانه الشرقية ، استولت عليها فرنسا سنة ١٦٥٩م وقاعدتها برينيان Parpignan
أرسلان : غزوات ، ص ٧٢ .

- روميه

بتخفيف الياء من تحتها نقطتان ، قال الأصمعى انطاكية ، ونيقيه وهما روميتان أحدها بالروم ، والأخرى بالمداين وبنيت وسميت باسم ملك ، فاما التى فى بلاد الروم فهى مدينة رئاسة الروم وعلمهم وهى شمالى وغربى القسطنطينية بينهما مسيرة خمسون يوماً أو أكثر وهى بيد الإفرنج ويقال لملكهم ملك المان وبها يسكن البابا الذى تطيعه الفرنج ، وهو عندهم بمنزلة الإمام الذى يكون واجب الطاعة .

ومدينة روميه من عجائب الدنيا لعظم عمارتها وكثرة خلقها .
القزويني : آثار البلاد ، ص ٥٩١ ، ٥٩٥ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٠٠ .

- سافوى Savoie

المنطقة القديمة لمملكة ييامونت وتوازي اليوم السافوى ، والسافوى العليا وتمتد من بحيرة جنيف شمالا إلى جبل تابور جنوبا ومن الحدود الإيطالية (الالية) شرقا إلى وادى نهر الرون غربا . ومناخها هو مناخ جبال الألب ، منعش فى الصيف ، شديد البرودة فى الشتاء وتكسوها الثلوج عدة أشهر فى السنة .

Ency Alfa . P. 5538 .

- سانت جال Saint Jal

تقع مدينة سانت جال جنوب بحية كونستانس .
إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٦٣ .

- سان ريمو Saint Remo

مدينة إيطالية تقع فى الطرف الجنوبى من منطقة ييامونت على ساحل البحر الأبيض المتوسط (الريفيرا الإيطالية) وهى منتجع سياحى مشهور فى أسفل جبال الألب الجنوبية والريفيرا الإيطالية هى امتداد لكوت دازور فى فرنسا ، وتبعد عن سان ريمو بضخ عشر كيلو مترا عن مونت كارلو فى إمارة موناكو .

Ency Alfa . P. 5339 .

- سانس Sens

قصة مقاطعة فرنسية تسمى (يوند) Yond ، مقر المطارنه - كاتدرائية قوطية
قديمة انجزت عام ١١٦٨ م .
ارسلان : غزوات ، ص ١٠٦ .

Ency Larousse . P. 68 .

- سرقسطة (Zeragoza) (Saragosh)

بضم أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة ، بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيله وهى من المدن الكبيرة ومن أطيب بلاد الأندلس بقعة واحسنها بنيانا وأكثرها ثمارا وأغزرها مياها وهى بيد الإفرنج ملكوها سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وهى على ضفة النهر الأعظم المسمى نهر ايره الذى ينبعث من بلاد البشكنس ويصب فى البحر المتوسط ولها أعمال كثيرة ومدن وحصون وقرى منها مدينة وشقه ومدينه سالم ، وغافق ، وجراوة وغيرها .

القزوينى : آثار البلاد ، ص ٥٣٤ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤١٢ .
مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تقيق لويس مولينا ، ص ٧٠ - ٧١ .

- سرقوسة

بفتح أوله وثانيه ثم قاف ، وبعد الواو سين أخرى ، أكبر مدينة بجزيرة صقلية وكان بها سرير ملك الروم قديما .

ياقوت : معجم ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

- سوز - لا - روس Suze - La - Rousse

قرية فرنسية تقع فى محافظة (دروم) وادى نهر الرون وعدد سكانها ١٤٠٠ نسمة .

Ency Alfa : V. 14. P. 5626 .

- سمورة Zamora

بفتح أوله وتشديد ثانيه وضمه ، وبعد الواو راء ، مدينة الجلالقة وقيل سمرة ، دار مملكة الجلالقة عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان وقد احكمتها الملوك السالفة ، على مسافة ستين كم من طلمكنه مدينة سمورة مبنية فوق صخرة عالية يجرى تحتها الوادى الجوفى ، وكانت من قديم الزمان قلعة منيعة تتصادم أمامها الجيوش وطالما وقعت عندها الملاحم بين العرب والإفرنج .

ياقوت : معجم ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ، ٥٥ .

— سويسرا Suisse

دولة فى وسط أوروبا ، تقع فى قلب جبال الألب ، مساحتها ٤١٢٨٧ كم عدد سكانها ٦٠٠.٠٠٠ نسمة

تغطى جبال الألب ٦٢٪ من أراضيها ، وتعتبر خزان مياه لأوروبا لأن بعض أنهار أوروبا الكبرى مثل الرودان (فى فرنسا) والراين (بين ألمانيا وفرنسا) وغيرهما ، تنبع من جبالها . وتكسو الثلوج جبالها عدة أشهر فى السنة .

Ency Alfa. Vol. 14. P. 5626 - 5627 .

— شذونه Sidonia

مدينة بالأندلس وهى كورة متصلة بكورة مورو وعمل شذونه خمسون ميلا وهى من الكور المجنדה نزلها جند فلسطين من العرب ، وسمورة شذونه وكوره جلييلة القدر ، جامعة الخيرات والبر والبحر سحرة البقعة عذبة التربة تفيض مياهها فلا تذوى مع الحبل ثمارها وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة ست وثلاثين ومائة . وكانت الهزيمة على لذريق حتى افتتحت الأندلس سنة ست وتسعين بقرب شذونه .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٩ .

— شنترين Santarem

مدينة شنترين مدينة عظيمة أزلية وبها جامع عظيم ، وحمامات وأسواق واسعة مرتبة ، ولها عمل كثير يزيد على ألف قرية تشرب كلها بنهر يأتى إليها يسمى نهر آنة يفيض كما يفيض النيل فيحرثون به وهذا النهر كثير الحوت فائض البركة ، ولهذه المدينة سور عظيم وأبراج منيعة لا تدرك بقتال .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تحقيق لويس مولينا ، ص ٥٣ .

— شنتبريه Sante Bria

من بلاد جوف الأندلس ، مدينة قديمة البناء من بنيان الأشبان ، وهى شرق من

قرطبة مائلة إلى الجوف ، ولها حصون كثيرة وبينها وبين طليطلة سبعون ميلا ،
وشتره جمعت كرم الأرض واتساع المزارع والمسارح والزرع والضرع والكرم ، ومن
مدنها مدينة السكون ، وهي مدينة متوسطة خصيبة بها غياض . ومن مدنها مدينة قلعة
أيوب ومدينة اقليش وهي كورة شنتيره .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تقيق لويس مولينا ، ص ٥٨ .

- طرسونه Tarazona

وقد ورد ذكره في الفصل الثاني

- طرطوشه Torragona

وقد ورد ذكرها في الفصل السابع

- طركونه Torragona

وقد ورد ذكرها في الفصل السابع

- طلمنكه

مدينة بشغر الأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وبينها وبين وادي الجارة
عشرون ميلا .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٣ .

- طليطلة Toledo

مدينة بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلا وهي
مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل ومنها إلى المريه في البحر
الشامي تسع مراحل أيضاً . وطليطلة عظمة القطر . كثيرة البشر ، وهي كانت دار
الملك بالأندلس حين دخلها طارق . وهي حصينة لها أسوار حسنة وقصبة حصينة ،
وتقع على ضفاف النهر الكبير .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٣ .

- غافق

بالأندلس بقرب حصن بطروش وهو صن حصين ومقل جليل في أهله نجده

وحزم وجلاده وعزم وكثيراً ما تسوى إليهم سرايا الروم فيستقذون منهم غنائمهم ويخرجونهم من أرضهم والروم تعلم بأسهم وبسالتهم فيتجنبونهم .

الحميري : الروض ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

- غريزون Grisons

مقاطعة من مقاطعات سويسرا مركزها كوار .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٢١ .

- عشقونية Gascony

دوقية فرنسية تمتد بين البيرنى Pyrennees والمحيط الأطلنطي والفارون Ga-rinne (على سال نهر تولوز)

وقد تداول اتلاها العديد من الأقوام كالايبيريون والرومان والقوط والوسكون .

وهؤلاء الايبيريون ليسوا لاتينيين ، ومن اسمهم جاء واسكون Vasconis أو عشقونية Gascony هذا الاسم الذى سميت به المدينة إلى يومنا هذا .

ولقد فتحها المسلمون فى القرن الثامن ثم أعيدت إلى الإفريج بعد الانتصار لاذى أحرزه الفريجة فى معركة بواتيه سنة ٧٣٢م وأصبحت جزءا هاما فى مملكة اكيثانية ، وأصبحت دوقية وراثية مع بوردو كعاصمة فى منتصف القرن التاسع

Ency : Larousse Vol. I. P. 683 .

- غرناطة Granada

غرناطة مدينة بالأندلس بينها وبين وادى آشى أربعون ميلا وهى من مدن البيرة ، وهى محدثة من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة ومدنها وحصن أسوارها ويشقها نهر يسمى حدره وبينها وبين البيرة ستة أميال وتعرف باغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا وهى مدينة كبيرة ، وقد لحقت بأمصار الأندلس المشهورة وقصبتها بجوفها وهى من القصبات الحصينة وجلب الماء إلى داخلها عين عذبة تجاورها والنهر المعروف بنهر غلوم وينقسم عند مدينتها قسمين ،

قسم يجرى فى أسفل المدينة ، وقسم يجرى فى أعلاه يشقها شقا فيجرى فى بعض حماماتها وتطحن الارحاء عليه خلال منازلها .

الحميرى : الروض المعطار ، تحقيق حسان عباس ، ص ٤٥ .

- فاله Valais

إحدى الكونتاتات (Couton) هى تؤلف الاتحاد السويسرى ، يقع فى الجنوب الغربى من سويسرا بين إيطاليا جنوبا وفرنسا غربا . دخل كونتون فاله الاتحاد السويسرى سنة ١٨١٥ ويتكلم سكانه اللغة الفرنسية فى القسم الغربى ، واللغة الألمانية فى القسم الشرقى وتشرف على وادى نهر الرون فى فرنسا وتشتهر بالسياة خاصة فى الشتاء .

Ency Alfa : Ed. V. 15. P. 6000 .

- فرانشى كونتى Franch Comite

مقاطعة فى شرق فرنسا قاعدتها بيزانسون تحتوى على ولايات الساؤون العليا ودوبس Doubs وجورا Jura
أرسلان : غزوات ، ص ١٠٥ .

- فيين Vienne

مدينة على وادى الرون تبعد ٨٠ كم عن (غرينوبل) إلى الشمال الغربى وولاية فيين هى ولاية للمنطقة الشرقية لبواتو Poitou مركز ولاية بواتيه Poiteis . يمتد الجزء الأكبر من الولاية على سهول بواتو العليا ، وهى منطقة زراعية تشتهر بزراعة الحبوب والعلف والكروم وفى عام ٨٧٩م أصبحت عاصمة مملكة برغنديا والبروفانس وأصبحت فى القرن العاشر عاصمة الارل (Arles) .

Ency. Larousse. Vol. 2. P. 823 .

أرسلان : غزوات ، ص ١٠٤ .

- قرقشونه Carcassonne

مدينة على نهر الأود Aude . وقناة الجنوب وهى قسمان الأول عبارة عن قلعة ،

والثاني يتكون من البيوت والشوارع والكنائس ومن أشهر كنائسها كنيسة سانت نزيير Saint - Nazaire افتتحها العرب سنة ٧١٣م وبقيت في أيديهم إلى سنة ٧٥٩م .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٨ .

- قرمونه Carmona

مدينة بالأندلس في الشرق من أشبيله وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا وهي مدينة كبيرة قديمة ، وهي باللسان اللاتيني كارب - مويه وهي الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة معناها (صديقي) وهي سفح الجبل عليها سور حجارة من بنيان الأول ومدينة أشبيليه بغربها وبينهما عشرون ميلا . ولقد افتتحها عبد الرحمن من محمد سنة خمس وثلاثمائة .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٦١ .

- قشتاله Castella

يطلق عليها اسم ألبيه والقلاع على ولايتي قشتاله القديمه Castile وألفا Alava معربيه من اللاتينية القديمة Alavaet Castella Vetula فقد كانت تشمل باقي المنطقة في برغش شمالا إلى ما بعد نهر دويره وجبال وادي الرمله جنوبا -Guadarrama وحتى موقع مدينة مدريد عاصمة إسبانيا الحالية .

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

- لارده Lerida

بالراء مكسورة والذال المهمله ، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل بأعمالها بأعمال طركونه منحرفه عن قرطبة إلى ناحية لاجوف ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون وهي بيد الإفرخ الآن .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧ .

- لانجر Langres

تعتبر هضبات اللانجر حد لتوزيع المياه بين الخاضعين للمانش Mauche والخاضعين للبحر المتوسط .

وتشتهر بوجود الكاتدرائيات منها سان ماماس Saint Mammes وتحافظ المدينة على ثروة هامة ، ففيها أبواب وأبراج رومانية منذ القرن (١٤ - ١٦) بها نزل برای سان جرمان Breui - de Saint Germain وتقوم بها صناعات معدنية

Ency . Larousse . Vol. 2. P. 99 .

- نبله Niebla -

بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى ، قصبة كوره بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل اكشونيه وهى شرق من اكشونيه ، وغرب من قرطبه بينها وبين قرطبه وبين قرطبه على طريق أشبيلية خمسة أيام أو أربعة وأربعون فرسخا وبين أشبيلية اثنان وأربعون ميلا . وهى قرية بحرية غزيرة الفضائل والثمار والزروع والشجر .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠ .

- لشبونه Lisboa - Lisbon

بالفتح ثم السكون وباء موحد وواو سكنة ونون وهاء . ويقال اشبونه بالألف ، وهى مدينة بالأندلس يتصل عملها بأعمال شنترين ، وهى مدينة قديمة قريبة من البحر غربى قرطبه . وتشتهر بالعسل وهى مبنية على نهر تاجه والبحر قريب منها . وبها معدن التبر الخالص ويوجد بساحلها العنبر الفائق ، وقد ملكها الإفرنج سنة ٥٧٣ هـ .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٦ .

- لوجو Lugo

مدينة بالأندلس من مدن جليقية تقع بالقرب من شنت يافت ، فوق ربوة مرتفعة من الأرض ، ومن ورائها السهل الأخضر ، وكانت من أوائل المدن التى خرجت من أيدي المسلمين وأصبحت فى حوزة النصارى سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢ .

- ليجوريا Liguria

منطقة فى شمال إيطاليا على ضفاف خليج جنوه ، ويبلغ عدد سكانها حسب

تعداد سنة ١٩٧٩م قرابة مليونى نسمة ، وقد كانت فى العصر الوسطى تشكل ولايات
جنوه .

رينو : الفتوحات الإسلامية ، ترجمة إسماعيل العرب ، ص ١٦٢ .

- ليون Lyon

من بلاد الجلالقة - باللام والىء المثناة التحتية والواو والنون فى الآخر عاصمة
قسم الرن Rhone مكان التقاء نهري الرن وروافده الساؤون Saone ٤٧٦ كم
جنوبى شرقى باريس كانت مستعمرة رومانية تأسست سنة ٤٣ ق. م . وأصبحت تحت
يد اوغست Auguste والعاصمة الإدارية للإقليم الليونى . ثم تحولت إلى عاصمة
دينية ثم أصبحت من أغنى مدن غاله وتشتهر بصناعة الحرير ، ويوجد فيها آثار قديمة
وكنائس ومتاحف هامة . وهى من أجل مدن الجلالقة ومسكن سلطانهم وعمدتهم
وهى ثالث مدينة فى فرنسا فى عدد السكان واصل اسمها (لودونوم) يمر بها نهر
الرن والصارون ويقسمها إلى ثلاثة أقسام وهى من أعظم المدن الصناعية فى أوروبا
ولا تزال من أمهات مدن فرنسا

Eny L. Ed. V. 2. P. 157 .

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٠٦ -

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨٥ .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٧٣ .

- ليون Leon

مدينة ليون من المدن الشهيرة ، ولها مقاطعة يقال لها مقاطعة ليون ، وهى من
المدن القديمة التى استولى عليها الرومان ، ثم استولى عليها القوط وليشت فى أيديهم
إلى أن فتحها العرب سنة ٩٨٣ ، ثم استرجعها الاسبانىون . وعظم أمرها فى القرن
الحادى عشر إلى الثالث عشر ثم انضمت إلى قشتاله فصارت مملكة وادة ، وفيها
كنائس وأديار متعددة وآثار تدل على عظمتها السالفة .

شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٥١ .

- لوديف Lodeve -

مركز قضا . ناحية الهيرولت Herault على اللارق La Lergue

- ماجلون Maguelone -

قرية الساحل من اللانقدوك Languedoc جنوب مونيولي Montpellier وهي من المدن الهامة فى القرون الوسطى لموقعها على البحر فقد كانت ترفأ إليها سفن المسلمين الواردة من الأندلس وإفريقيا .

Ency L. V.2. P. 366 .

أرسلان : غزات العرب ، ص ١٣٩ .

- ماكون Macon -

فى مقاطعة الساون Saonne واللوار La Loire تبعد بـ ٤٠ كم جنوب باريس ، عاصمة قديمة لكماكونيس بها آثار للكاتدرائية قديمة (لاقرنين ١٢ - ١٣) وهى مدينة بحرية ومركز تجارى وصناعى .

Ency Larousse - Vol. 6. P. 6509 .

- مرسية Murcia -

بالأندلس وهى قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت دار العمال وقرار القواد .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٣٩ . ياقوت : معجم ، ج ٥ ، ص ١٧ .

- مرسيليا Marseille -

مدينة فرنسية على البحر الأبيض المتوسط ، قاعدة محافظة (بوش - دو - رون) يعود تاريخ وجودها إلى القرن الخامس ق. م . ازدهرت فى الحروب الصليبية باعتبارها كانت نقطة الانطلاق للغزوات البحرية . انضمت إلى الدولة الفرنسية ، مع كامل منطقة بروفانس سنة ١٤٨١ م . وفى عهد توسع الاستعمار الفرنسى فى إفريقيا ، وبفضل شق قناة السويس فى العصر الحالى أصبحت مرسيليا فى القرن التاسع عشر

أكبر مرفأ فرنسى ، وعدد سكانها حوالى مليون نسمة ، وتبعد عن باريس ٧٧٦ كم .
Eny Alfa . P. 3836 .

- مونفيرات Montferrat

بلدة فرنسية صغيرة تقع فى محافظة الفار () فى منطقة بروفانس تبعد
٨٧٨ كم عن باريس ، ٩٦ كلم عن مرفأ طولون على البر المتوسط ، وعدد سكانها
٢٦٣٦ نسمة

Ency Alfa . P. 3837 .

- ميورقة Meporca

بالتفتح ثم الضم وسكون الوار والراء يلتقى فيه ساكنان وقاف . وهى جزيرة يقال
لها منورقه بالنون ، كانت قاعدة ملك مجاهد العامرى .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦ .

- نستريا Neustrie

بلاد واقعة بين نهر اللوار وبريتانيا الفرنسية وبحر المانش ونهر الموز
أرسلان : غزوات ، ص ٣٣ .

- نيم Nimes

وهى مقر ولاية الفار Garo تبعد ٧٠٤ كم جنوب باريس ، وهى مدينة مشهورة
بجمال آثارها الرومانية ، وهى من المدن الرومانية المشهورة التى أصبحت تابعة لمدينة
تولوز .

Ency . Larousse . Vol. 7. P. 7390 - 7391 .

- وشقه Huesca

مدينة حصينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطه خمسون ميلا ،
ووشقه مدينة حسنة متضررة . ووشقه بشرقى مدينة سرقسطه ، وهى مدينة كبيرة أوليه
قديمة رائعة البنيان .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦١٢ .

- نهر ابره Ebre

وهو النهر الذى يمر بسرقسطة ويسميه العرب ابره .

أرسلان : غزوات ، ص ١٥١ .

- نهر الدانوب Danou

ينبع من جبال الألب ويصب فى البحر الأسود

أطلس العالم ص ١٥٨ .

- نهر دراك Drac

نهر يتلقى موارده من جبال الألب وينصب فى نهر (ايسرا Isere) على مسافة ١٥ كم من مدينة جويول .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العرب ، ص ١٨٥ .

- دورولس Durance

نهر يجرى فى منطقة بروفانس ، ينبع من جبال الألب الجنوبية ويصب فى نهر الرون ، مجراه عباره عن وادى ضيق بين الجبال وتوجد فى ذلك الوادى بعض المدن الصغيرة مثل اومبرون سيسترون - مانوسك ، ويبلغ طوله ٣٠٥ كم .

Ency Larousse . Vol. 4. P. 3453 .

- نهر دويرو Duero

نهر يجرى فى إسبانيا والبرتغال ، تقع منابعه فى قشتاله القديمة ، ويبلغ طول مجراه ٨٥٠ كم وينصب فى المحيط الأطلسى عند مدينة بورتو Perto البرتغالية .

رينو : الفتوحات ، ص ١٩٥ .

- نهر الراين Rhine

نهر أوروبى كبير ، يبلغ طول مجراه ١٢٩٨ كم يتكون من رافدين أساسيين فى سويسرا ينزل أحدهما من سانت (جوتارد) والثانى من جبل (أدولا) ، ويعدده يقطع النهر بحية (كونستانس) يقطع (الجورا) (مساقط شافهاوزن) يلتقى فى مجراه نهر (آر) قبل أن يصل إلى مدينة بال ، وبعد ما يلتقى بأنهار أخرى مثل (الموزل)

(لاهن) وغيرها . ويدخل فى الأراضى المنخفضة ويصب فى بحر الشمال . ومنبعه جبال الألب ومصبه بحر المانش .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ٢٨ .

الأطلس العربى ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م . ص ١٦ .

- نهر الرون Rhone

أصل اسمه هورود أنوس باللاتينى وسماء العرب ردونه اشتقاقا من هذا الاسم ، وهذا النهر يخرج من جبال الألب الفرنسية والسويسرية ويصب فى بحيرة ليمان ثم يخرج منها عند جنيف ويدخل أرض فرنسا ، وينصب إلى البحر المتوسط ، وطول مجراه ، ٨١٢ كم .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٥١ .

أطلس العالم ، بيروت ، ص ١٥٨ .

- نهر الساون Saonne

وينبع هذا النهر من جبال الفوج ويصب فى البحر المتوسط

أطلس العالم ، ص ١٥٨ .

- نهر السين Sin

نهر السين وينبع من جبال الفوج وهضبة مؤرفان وهضبة الكونت دور ويصب فى البحر المتوسط .

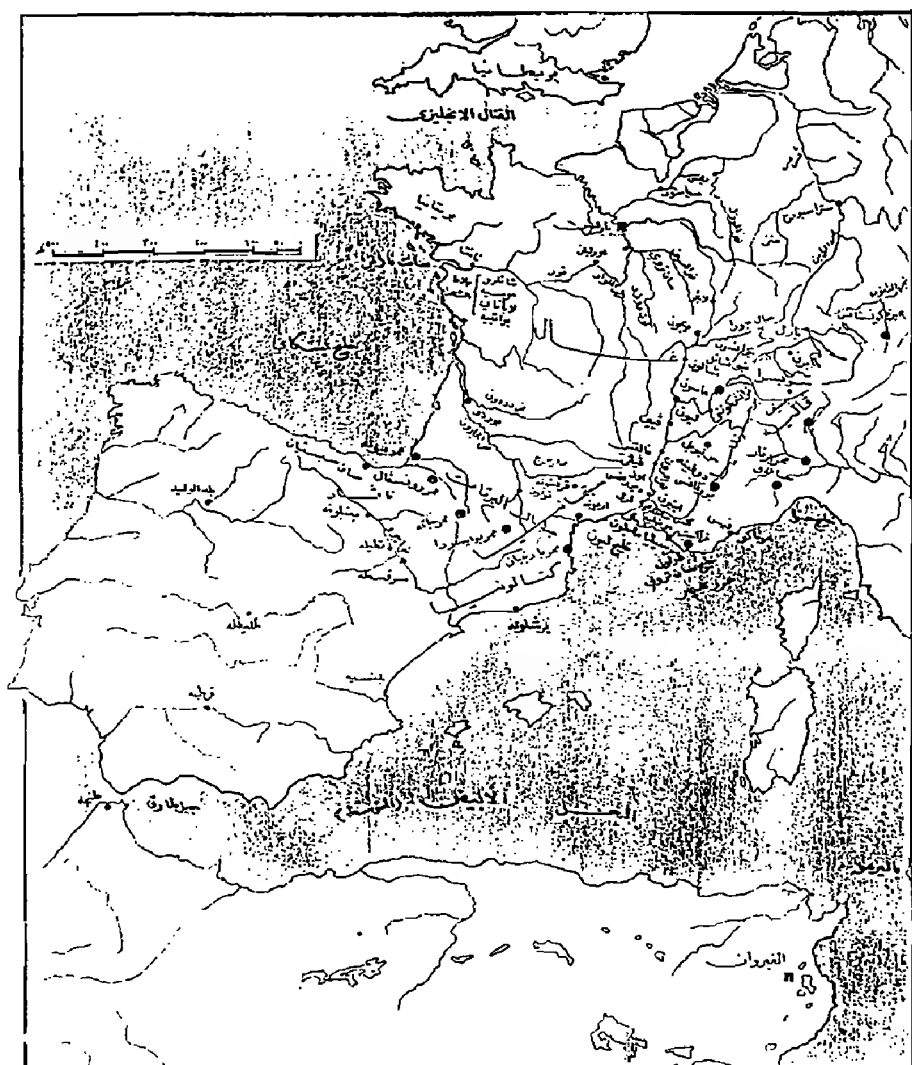
أطلس العالم ، ص ١٥٨ .

- نهر اللوار Loire

أطول نهر فى فرنسا (١٠١٢) كم ويمتد وضه على ١٥٠٠٠ كم مربع (حوالى خمس فرنسا) تقع منابعه على ارتفاعه ١٤٠٠ متر فى جبال (جبرى دوجوبك) فى هضبة فرنسا الوسطى ويصب فى خليج سكاى .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ١٧ .

أطلس العالم ، بيروت ، ص ١٥٨ .



جماد المسلمين خلف جبال البرقات
من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس الهجري

٩

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفهارس

أولاً : فهرس المصادر والمراجع

أ - المخطوطات .

ب - المصادر العربية .

ج - المراجع العربية .

د - المقالات والبحوث .

و - المراجع الأجنبية .

ثانياً : فهرس الموضوعات .

أولاً : المخطوطات :

- ١ - الدرجيني : أبو العباس أحمد (ت في منتصف القرن ٧ هـ) :
طبقات الأباضية ، مخطوطه دار الكتب المصرية .
- ٢ - السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور :
الأنساب ، ليدن ، ١٩١٢ م .
- ٣ - القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) :
ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك ، مخطوطه بدار
الكتب ، القاهرة .
- ٤ - النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ) :
نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، مخطوطه
مصوره بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، رقم ٢٢ م .

ثانياً : المصادر العربية :

- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨ هـ)
التكملة لكتاب الصلة ، نشر كوديرا ، الجزء الخامس والسادس من مجموعة
المكتبة الأندلسية ، مدريد ، ١٨٨٧ م .

الرحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس - نشر الشركة العربية للطباعة والنشر ،
الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، جزءان ١٩٦٣ م .

- ابن أبي الضياف (ت ١٢٩١ هـ)

اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق لجنة الدولة للشؤون
الثقافية والأخبار ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ)

الكامل في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، تسعة
أجزاء ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ، ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م

- ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى (ت ٦٠٦ هـ)

النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمد الطناحى ، و طاهر الزاوى ، دار الفكر ، بيروت .

- الأدريسى : أبو عبد الله محمد الشريف السبى (ت حوالى ٥٦٤ هـ)

المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذه من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » طبع فى مدينة ليدن ، بمطبعة بريل ١٨٦٤م .

- البكرى : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو : أبو عبيد البكرى (ت ٤٨٧ هـ) :

جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب (المسالك والممالك) تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن على الحجى ، ساعد المجمع العلمى العراقى على نشره ، الطبعة الأولى ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٣٨٧هـ . ١٩٦٨م .

- البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى (ت ٢٧٩ هـ) :

فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٣٢م .

- ابن تغرى بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (٨٧٤ هـ) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ج ١ ، القاهرة .

- الجرجانى أبو الحسن على بن محمد الجرجانى المعروف (بالسيد الشريف) (ت ٨١٦ هـ)

التعريفات - الدار التونسية للنشر .

- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) :
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف الطبعة الرابعة ،
القاهرة .

- الحميدى أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت ٤٨٨ هـ) :
جلدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،
١٩٦٦ م .

- الحميري عبد المنعم السبتي الحميري (ت ٩٠٠ هـ) :
صفة جزيرة الأندلس ، منتخبه من كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار »
جمعه سنة ٨٦٦ هـ ، عني بنشره وتصحيحه أ . ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مكتبة
لبنان - بيروت ، ١٩٨٤ م .

- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبى (ت ٣٨٠ هـ)
صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الياه ، بيروت ، لبنان .

- ابن حيان أبو مروان (ت ٤٦٩ هـ) :
المقتبس في أخبار بلد الأندلس (قطعة خاصة بخمس سنوات من حكم المستنصر
بالله) نشر عبد الرحمن علي الحجى ، المكتبة الأندلسية - بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبه (ت حوالى ٣٠٠ هـ)
المسالك والممالك ويليهِ نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتاب لأبى الفرج قدامة
بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٠ هـ) مكتبة المثنى ، بغداد .

- ابن اخطيب لسان الدين بن اخطيب محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦ هـ) :
كتاب أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الانلام من ملوك الإسلام (القسم الثانى

- تاريخ إسبانيا الإسلامية (تحقيق وتعليق أ. ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ،
الطبعة الثانية لبنان ، ١٩٥٦ م .

تاريخ المغرب فى العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)
تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكنانى ، دار الكتاب ، الدار
البيضاء ، ١٩٦٤ م .

الإحاطة فى أخبار غرناطة ، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) :

العبر وديوان المبتدأ والخير فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى
السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان . سبعة أجزاء .

- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمرى - مؤسسة الرسالة -
بيروت ، دار القلم . الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

- الدباغ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى (ت ٦٩٦ هـ) :

معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان ، تحقيق إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي
بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

- ابن دقماق (ت ٨٥٩ هـ) :

الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، بولاق ، ١٨٩٣ م .

- الرقيق القيروانى (ت ٤١٧ هـ) :

تاريخ إفريقيه والمغرب ، تحقيق المنجى الكمى ، مطبعة رفيق السقطى ، تونس .

- ابن سعيد المغربي على بن موسى (ت ٦٧٣هـ) :
المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقى ضيف ، الطبعة الثالثة ، دار
المعارف . جزاءن .
- الشهرستاني أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني
(٥٤٨هـ)
الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر
والتوزيع .
- الاصطخرى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ان حيا فى النصف الأول من القرن
الرابع الهجرى)
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى دار القلم ، القاهرة ،
١٩٦١ م .
- صاعد الأندلسى أبو القاسم صاعد الأندلسى (الطليطلى) ابن أحمد ابن عبد
الرحمن بن محمد بن صاعد (ت ٤٦٣هـ)
طبقات الأمم ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، شارع محمد على (بدون سنة طبع) .
- الضبى أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي (ت ٥٩٩هـ)
بغية الملتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- الطبى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) :
تاريخ الأمم والملوك ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان . عشرة أجزاء .
- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن (ت ٢٧٦هـ) :
فتوح إفريقيه والأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبنانى
للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مطبعة لجنة البيان العربى ،
القاهرة ، ١٩٦١ م . جزاءن

- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) :

الأموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل الهراس ، در الشباب للطباعة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي ابن عذارى (من كتاب القرن ٧ هـ)

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، جزءان ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وليفى برورنسال ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

- العذرى أحمد بن عمر بن شمس المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨ هـ) :

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، بمدريد ، ١٩٦٥ م .

- ابن العماد الحنبلى أبو الفلاح عبد الله بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ)

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جزءان ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان .

- ابن غالب محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى (ت ٥٧١ هـ) :

نص أندلسى جديد ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلسى ومدنها بعد الأربعمئة ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، مدريد ، ١٩٥٦ م .

- الغسانى محمد بن عبد الوهاب الغسانى (ت ١١١٩ هـ)

رحلة الوزير فى افتكاك الأسير ، تقديم الفريد البستاني ، دار الكتب الوطنية ، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو تطوان .

- ابن الفرضى أبو الوليد عبد الله محمد الأزدى (ت ٤٠٣ هـ) :

تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة جزءان ، ١٩٦٦ م .

- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) :

الإمامة والسياسة ، تحقيق محمد طه الزين ، جزءان . مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع .

- قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٠ هـ) :
الخراج وصناعة الكتاب ، طبعة ليدن ، هولندا .
- القزويني زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) :
آثار البلاد وأخبار العباد ، قزوين ٦٠٠ - ٦٨٢ هـ ، بيروت ١٣٨٠ هـ /
١٩٦٠ م .
- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) :
صبح الأعشى في صناعة الانشا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ج ١ ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- ابن القوطية أبو بكر محمد المعروف بابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) :
تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ١٩٥٨ م (يليه نبذة من
أخبار فتح الأندلس مأخوذة من الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية) .
-
- تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة
الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- القنوي قاسم القنوي (ت ٩٧٨ هـ) :
أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، تحقيق الدكتور أحمد
ابن عبد الرازق الكبسي .
- ابن كثير : عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٧ م .
- ابن الكردبوس الشباط (ت ٦٨ هـ) :
تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نسان جديان ، تحقيق
أحمد مختار العبادي ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمطريد .

- الكندى أبو عمر بن يوسف الكندى (ت ٣٥٠ هـ) :

ولاة مصر - تحقيق حسين نصار ، دار بيروت للطباعة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ .

- المالكي أبو عبد الله بن عبد الله المالكي (ت ٤٥٣ هـ) :

رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقيه وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم ، نشر حسين مؤنس ، دار النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥١ م .

- الماوردى أبو الحسن على بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠ هـ) :

الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ .

- المراكشى محيى الدين بن محمد عبد الواحد بن على التميمى (ت ٦٢٠ هـ) :

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

- المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على الخسنى (ت ٣٤٦ هـ) :

« مروج الذهب ومعادن الجوهر » طبعة الهيئة المصرية . القاهرة ، ١٩٤٦ هـ .

- مسلم الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) :

صحيح مسلم ، نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة ، المملكة العربية السعودية .

= المطرزي أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٦ هـ) :

« المغرب فى ترتيب المغرب » ، مكتبة أسامة ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٠٩ م .

- المقرئ ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى : (ت ١٠٤١ هـ) :

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربى - بيروت .

- الملك المزيّد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين على ابن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه :

تقويم البلدان ، طبع في مدينة باريس ، بدار الطباعة السلطانية ١٨٥٠ .

- مؤلف مجهول :

« أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم » ، طبع في مدينة مجريط بمطبعة ريدنير ، سنة ١٨٦٧ م .

- مؤلف مجهول :

ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة لويس مولينا ، جزءان . المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، ١٩٨٣ م .

- ابن منظور (ت ٧١١) :

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥ هـ)

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ)

نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق على محمد البيجاوي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م . الجزء الحادي والعشرين .

- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)

معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٢ هـ)

تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، لندن ، ١٩٨٣ م .

- أبو يعلى الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ)

الأحكام السلطانية ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٧ هـ .

- أبو يوسف القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبو حنيفة (ت ١٨٢هـ).

الخراج ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، طبعة دار الإصلاح للطباعة / الدمام .

ثالثاً : المراجع العربية :

- إبراهيم بيضون : الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ م.

ملاح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ م.

- إبراهيم طرخان :

المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م.

- إبراهيم العدوي :

المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦١ م.

موسى بن نصير ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ م.

المسلمون والجرمان ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ م - ١٣٨٠ هـ.

الاساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

- أحمد إبراهيم الشريف :

دراسات في الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

- أحمد بدر :

دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها - دمشق ، ١٩٧٥ م.

- أحمد الشعراوى :

الأمويون أمراء الأندلس الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٩ م.

- أحمد على الملا :

أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية - دار الفكر .

- أحمد مختار العبادى :

فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية .

دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية .

فى التاريخ العباسى والأندلسى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ م.

- أحمد مختار العبادى ، والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

- أكرم ضياء العمرى :

المجتمع المدنى فى عهد النبوه ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ .

- بطرس البستاني :

معارك العرب فى الشرق والغرب - دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩ م.

- السيد عبد العزيز سالم :

تاريخ مدينة المريه الإسلامية ، بيروت ، ١٩٦٩ م.

المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ١٩٦٦ م.

تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م .

- جلال مظهر :

مآثر العرب على الحضرة الأوروبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ،
١٩٦٠ م .

حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العالمى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- جودة حسين :

جغرافية أوروبا الإقليمية ، منشأة المعارف ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية ،
١٩٧٧ م .

- حسن الباشا :

دراسات في الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

- حسين مؤنس :

فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،
١٩٥٩ م .

معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مطابع المستقبل ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،
١٩٨٠ م .

- خالد الجنابى :

تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى ، دار الحرية للطباعة ،
بغداد ، ١٩٨٤ م .

- خاد الصوفى :

حضارة العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٧ هـ .

-
- تاريخ العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة ، بغداد .
- خليل إبراهيم السمرائى :
- الشجر الأعلى الأندلسى ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٢٦م .
- خير الله طفاح :
- معارك العرب الكبرى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣م .
- خير الله طلفاح :
- حضارة العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة . بغداد ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- دولت صادق وآخرون :
- جغرافية العالم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- رجب عبد الحليم :
- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .
- زكى حسن :
- تراث الإسلام ، جزآن ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦م .
- سعد زغلول عبد الحميد :
- تاريخ المغرب العربى من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال . الإسكندرية ، ١٩٧٩م .
- سعيد عاشور :
- أوروبا العصور الوسطى - مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢م .
-
- بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، دار الأحد - بيروت ، ١٩٧٧م .

- شكيب أرسلان :

الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، ١٩٧٩ م.

- شوقى أبو خليل :

عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامى ، در الفكر ، دمشق ، ١٠٤١ هـ / ١٩٨١ م.

- صالح اللحيدان :

الجهاد فى الإسلام بين الطلب والدفاع ، دار اللواء . الرياض ، ١٣٩٧ هـ.

- عباس العقاد :

أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م.

- عبد الحليم عويس :

دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

- عبد الرحمن على الحجى :

التاريخ الأندلسى ، دار القلم - بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ .

- عبد الرحمن على الحجى :

التاريخ الأندلسى ، دار القلم - بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ .

- عبد الرحمن فهمى :

النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤ م.

- عبد العظيم رمضان :
- الصراع بين العرب وأوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
- عبد القادر أحمد اليوسف :
- العصور الوسطى الأوروبية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٨م.
- عبد الكريم التواتي :
- مأساة-أنهيار الوجود العربى فى الأندلس - مكتبة الإرشاد ، الطبعة الأولى - الدار البيضاء - ١٩٦٧م.
- عبد الكريم على باز :
- افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- عبد المحسن رمضان :
- تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ضد المسلمين فى الأندلس ، ج١ ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٧م.
- عبد المنعم ماجد :
- العلاقات بين الشرق والغرب ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م.
- عز الدين فراج :
- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية . دار الفكر العربى .
- عصام سالم سيسالم :
- جزر الأندلس المنسية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.
- عفاف صبره :
- الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية الغربية فى زمن شارلمان ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- على حبيب :
- دولة الأمويين ، مكتبة الشباب ، القاهرة

مع المسلمين فى الأندلس ، الطبعة الثانية ، دار الشروق . جدة .

- على الغمراوى :

مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط ، ط ٢ . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

- عماد الدين خليل :

ملاحم الانقلاب الإسلامى ، مؤسسة الرسالة - الطبعة السادسة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- عمر فروخ :

العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر المتوسط ، دار الكتاب العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- لطفى عبد البديع :

الإسلام فى إسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م .

- محمد إبراهيم نصر :

منهج الإسلام فى تربية الجندى المسلم ، در الفكر العربى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- محمد حميد الله :

مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوى والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

- محمد عبد الحميد عيسى :

الفتح الإسلامى للأندلس ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٥م .

- محمد عبد الله عنان :

مواقف حاسمة فى الإسلام ، مؤسسة الخانجى - الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية والعربية ، منشورات
المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ، ١٩٧٦م.

دولة الإسلام فى الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر ، مكتبة الخانجي ،
الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٨٩ - ١٩٦٩م.

- محمد على دبور :

تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، عيسى الباي الحلي وشركاه ، الطبعة الأولى
١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

- محمد كرد على :

الإسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

- محمد نعيم ياسين :

افتراءات حول غايات الجهاد ، دار الأرقم للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٤هـ .

- محمود سعيد عمران :

معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
١٩٨٢م.

- محمود شيت خطاب :

قادة الفتح الإسلامى للمغرب العربى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٧٣م
١٣٩٣هـ .

- محمود على مكى :

مدريد العربية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة .

- مصطفى أبو ضيف أحمد :

القبائل العربية فى الأندلس ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٣م.

- منى حسن محمود :

المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٦م.

أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبنى مرين ،
١٩٨٢م.

- ناجى معروف :

أصالة الحضارة العربية ، الطبعة الثالثة ، در الثقافة بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

- نبيه أبو عاقل :

تاريخ خلافة بنى أمية ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٤هـ /
١٩٧٥م.

- وفاء عبد الله المزروع :

الخلافة الأموى الحكم المستنصر (٣٥٠هـ - ٣٦٦هـ) رسالة ماجستير بكلية
الشرعية جامعة أم القرى غير مطبوعة ، ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ .

رابعاً : المراجع الأجنبية المترجمة :-

- ارشيبا لدولويس

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ،
مراجعة وتقديم محمد شفيق غريال . مكتبة النهضة المصرية .

- أشباخ يوسف :

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ،
القاهرة ، ١٩٥٨م.

- أميركو كاستر :

حضارة الإسلام فى إسبانيا ، ترجمة وتعليق سليمان العطار ، دار الثقافة للنشر
والتوزيع .

- انجل جنتال بالثيا :

تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥ م.

- بروكلمان :

تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي ، الطبعة العاشرة ، در العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ م.

- توماس ارنولد :

الدعوة إلى الإسلام ، طبع بمصر ، مطبعة الشيكشي بالقاهرة ، نشر مكتبة النهضة المصرية .

- جوزيف رينو :

الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادى ، تعريب إسماعيل العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م.

- جيبون :

اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة لويس إسكندر - در الكاتب العربى للطباعة والنشر .

- حتى - فيليب :

تاريخ مسلمى إسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف .

- دوزى رينهارت :

تاريخ مسلمى إسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف .

- رودلف بترز :

الإسلام والاستعمار ، عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث در شهدى للنشر ، جامعة امستردام .

- زامبار :

معجم الأنساب والأمراء الحاكمة فى التاريخ الإسلامى أخرجه زكى حسين ، حسن محمود - القاهرة ، ١٩٥١ م.

زيفريد هوتكه :

شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق ييضمون ، كمال الدسوقي ،
منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ،
١٩٧٩م .

ستانوود كيب :

المسلمون فى تاريخ الحضارة ، ترجمة محمد فتحى عثمان ، الدار السعودية للنشر
والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- ستودارد لوثر :

حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويض ، مجلدان ، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .

- سيد أمير على :

مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي

- فشر . هـ . أ . ل . :

تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زياده ، إبراهيم العدوى ،
السيد الباز العرنى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م .

- لويون - غوستاف :

حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابى الحلبي .

- مانويل جوميث مورينو :

الفن الإسلامى فى إسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع ، السيد عبد العزيز سالم ،
مراجعة جمال محرز - الدر المصرية للتأليف والترجمة .

- مونتهجرى وات :

فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين ، دار الشروق ،
الطبعة الأولى ، بيروت ، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- موسى . هـ . سانت . ل . ب :

ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، راجعه الباز العرينى ، عالم الكتب ، ١٩٦٧ م .

- نور الدين حاطوم :

تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .

- هارديل ج . م . والاس :

أوروبا العصور الوسطى ، تعريب وتقديم وتعليق حياه الحجى ، جامعة مانشستر ، طبعة الكويت ، ١٩١٩ م .

- هامرتن . جون . أ :

تاريخ العالم ، المجلد الرابع ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم ، مكتبة النهضة المصرية .

خامسا : المقالات والبحوث :

- إبراهيم مذكور :

الفلسفة ، عن أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية ، أعدت هذه الدراسة بأشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (يونسكو) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ م .

- أحمد فكرى :

التأثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوروبية ، مجلة سومر ، الجزء الأول والثانى ، المجلد ٢٣ ، بغداد ١٩٦٧ م .

- أمين الطليبي :

النقود العربية ، انتشارها وأثرها فى أوروبا فى القرون الوسطى ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٩ ، إصدار الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، العراق ، ١٢٨١ م .

بروفنسال ، ليفى :

الشعر العربى والشعر الأوروبى الوسيط ، من مجموعة سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره ، عبد الحميد العبادى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١ م.

- جمال الدين الرمادى :

الإسلام فى أوروبا ، مجلة الحج ، العدد ١١ ، السنة ١٧ مكة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.

- حسين مؤنس :

تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان الحادى عشر ، والثانى عشر مدريد ، ١٩٦٣ م - ١٩٦٤ م.

بلاى وميلاد اشتوريش ، مجلة كلية الآداب . جامعة فؤاد الأول ، مجلد ١١ ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٩ م.

المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية من المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، مايو ، ١٩٥١ م.

- روبرت لويز :

محمد وشارلمان - إعادة نظر . بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٦١ م.

اثر الشرق فى نهضة الغرب الاقتصادية بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٦١ م.

- رجاء غارودى :

حوار مع المفكر الفرنسى المسلم ، مجلة الإصلاح ، السنة الثامنة ، العدد ٩٢ محرم ١٤٠٦ هـ - سبتمبر ١٩٨٥ م.

- زكى محمد حسن :
 اثر الفن الإسلامى فى فنون الغرب ، مجلة الرسالة ، العدد ٩٣ ، السنة الثالثة ،
 ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م .
- سهير القلماوى ومحمود مكى :
 الأدب . دراسة عن أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية ١٩٧٠م .
- عبد الرحمن فهمى :
 النقود الصليبية تحت تأثير النفوذ الإسلامى ، مجلة كلية الشريعة ، العدد
 السادس ، السنة السادسة ، مكة ، ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ .
- عبد الله عبد الرحيم عسيلان :
 كتاب الإمامة والسياسة فى ميزان التحقيق العلمى ، مجلة كلية اللغة العربية ،
 الرياض ، العدد الثانى ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- عبد الواحد ذنون طه :
 قيام الممالك الإسبانية وعلاقتها مع العرب فى الأندلس ، مجلة أوراق ، مجلة
 ثقافية يصدرها المعهد الإشبانى العربى للثقافة بمدريد ، ١٩٨٢م / ١٩٨٣م .
- مارك بلوك :
 مشكلة الذهب فى العصر الوسيط ، بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق
 إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٦١م .
- محمد رجب البيومى :
 الأدب الأندلسى بين التأثيرات والتأثر ، مجلة الحج ، ١٩٦٥م .

جارودى والإسلام ، مجلة التضمن الإسلامى ، السنة ٣٨ الجزء ٩ ، ربيع الأول
 ١٤٠٤ ، ديسمبر ١٩٨٣م .

الإشبانيون يعترفون بشقافة الإسلام ، مجلة الحج ، العدد ١٠ / السنة ١٩ /
 ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م ، اصدار وزارة الحج والأوقاف .

- محمود إسماعيل عبد الرازق :

التفسير الاجتماعي لشوكة المغاربة في القرن الثاني الهجري ، اشغال المؤتمر الأول
لتاريخ المغرب العربي وحضارته ، الجزء الأول ، سلسلة الدراسات التاريخية ، ١ ،
١٩٧٩ م.

- يوسف حسن نوفل :

إنسانية الحضارة العربية وإبداعها ، مجلة الأزهر ، ج ٤ . السنة السادسة
والثلاثون ، ١٣٨٤ هـ . جمادى الآخر / نوفمبر ١٩٦٤ م.

فهرس الموضوعات

رفع
عن الرحى النجدي
أسكنه الله الفردوس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
المقدمة	١٧ - ٥
الفصل الأول : جهاد الطلائع الإسلامية فى الأرض الكبيرة	٥٤ - ١٨
أولاً : أحوال الفرنجة فى غالة	٢١
جدول بأسماء الولاة	٣٣
الخريطة رقم (١)	٣٥
ثانياً : طلائع الجهاد من موسى بن نصير إلى الحر بن	
عبدالرحمن الثقفى	٣٦
الفصل الثانى : جهاد السمع بن مالك اخولانى	٦٧ - ٥٥
الخريطة رقم (٢)	٥٦
أولاً : ولاية السمع بن مالك	٥٧
ثانياً : إستقرار المسلمين فى المدن الفرنجية	٥٩
ثالثاً : الإهتمام بتحصين المراكز الإسلامية	٦١
الفصل الثالث : جهاد عنبسة بن سحيم الكلبي	٩٤ - ٦٨
الخريطة رقم (٣)	٧١
أولاً : تقدم المسلمين حتى مدينة سانس فى حوض ألرون	٧٢
ثانياً : عودة عنبسة لضبط أحوال الأندلس وإستشهاده فى	
الطريق إليها	٧٨
الخريطة رقم (٤)	٨٣
ثالثاً : جهاد عذره بن عبد الله الفهرى	٨٤
خريطة رقم (٥)	٩٠

٩١	رابعاً : جهاد الهيثم بن عبيد الكنانى
١٣٩ - ٩٥	الفصل الرابع : جهاد عبد الرحمن الغافقى فى غالة
٩٧	خريطة رقم (٦)
٩٨	أولاً : اتجاه الغافقى إلى قلب غاله
١٠٨	ثانياً : معركة بلاط الشهداء واستشهاد الغافقى
١٢٠	ثالثاً : الأبعاد التاريخية لمعركة البلاط
١٦٤ - ١٢١	الفصل الخامس : جهاد المسلمين بعد معركة البلاط
١٤٣	خريطة رقم (٦)
١٤٤	أولاً : جهاد عبد الملك بن قطن الفهرى
١٥٢	خريطة رقم (٧)
١٥٣	ثانياً : جهاد عقبة بن الحجاج السلولى
٢١٤ - ١٦٥	الفصل السادس : أسباب تعثر الجهاد خلف البرت
١٦٧	أولاً : أثر توزيع السلطة فى جهاد الطلائع خلف البرت
١٧٢	ثانياً : أثر العصبة القبلية
١٨٣	ثالثاً : أثر ثورة البربر فى تعثر الجهاد خلف البرت
٢٠١	رابعاً : أثر التجمع المسيحى فى اشتوريش وغاليه
٢٧٤ - ٢١٥	الفصل السابع : جهاد أمراء الأمويين ضد الفرنجة
٢١٧	أولاً : استئناف الجهاد خلف البرت
٢٣٨	ثانياً : الجهاد البحرى فى جنوب غالة
٣١٤ - ٢٧٥	الفصل الثامن : أثر الحضارة الإسلامية فى غرب أوروبا
٢٧٩	أولاً : أثر المسلمين فى الميادين المعنوية والثقافية
٢٩٢	ثانياً : أثر المسلمين فى الحضارة المادية
٣١٥	الخاتمة :

٣١٧ أولاً : ملخص أهم النتائج
٣٢٢ ثانياً : التوصيات
٣٢٣ الملاحق
٣٢٥ أولاً : كشف بتعريف أهم المدن التي وردت
٣٥٣ ثانياً : خريطة رقم (٩)
٣٥٥ الفهارس
٣٥٧ ثبت المصادر والمراجع
٣٨١ فهرست الموضوعات

ته والحمد لله

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس